المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فهذا تعليق مختصر على كتاب (لمعة الاعتقاد) الذي ألفه أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي المولود في شعبان سنة 541هـ بقرية من أعمال نابلس، المتوفى يوم عيد الفطر سنة 620هـ بدمشق رحمه الله تعالى.

وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه زبدة العقيدة، ونظراً لأهمية الكتاب موضوعاً، ومنهجاً، وعدم وجود شرح له فقد عقدت العزم ـ مستعيناً بالله مستلهماً منه الصواب في القصد والعمل ـ على أن أضع عليه كلمات يسيرة تكشف غوامضه، وتبين موارده، وتبرز فوائده.

والله أرجو أن لا يكلني إلى نفسي طرفة عين، وأن يمدني بروح من عنده، وتوفيق، وأن يجعل عملي مباركاً ونافعاً إنه جواد كريم.

وقبل الدخول في صميم الكتاب أحب أن أقدم قواعد مهمة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته.

القاعدة الأولى:

"في الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته": الواجب في نصوص الكتاب والسنة إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير، لأن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والنبي صلى الله عليه وسلم ، يتكلم باللسان العربي، فوجب إبقاء دلالة كلام الله، وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على الله بلا علم،

وهوحرام لقوله تعالى:قل إنما حـرم ربي الفـواحش مـا ظهــر منهــا ومــا بطن والإثم والبغي بغــير الحــق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون[[1]].
مثال ذلك قوله تعالى:]بل يداه مبسـوطتان ينفـق كيـف يشاء[[2]. فإن ظاهر الآية أن الله يدين حقيقيتين، فيجب إثبات ذلك له.
فإذا قال قائل: المراد بهما القوة.
قلنا له: هذا صـرف للكلام عن ظـاهره، فلا يجـوز القـول به، لأنه قول على الله بلا علم.

القاعدة الثانية:
في أسماء الله. وتحت هذه القاعدة فروع:
الفرع الأول: أسماء الله كلها حسـنى، أي بالغـة في الحسن غايته، لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيهــا بوجــه من الوجــوه قــال اللــه تعــالى:]ولّلــه الأســماء الحسنى[[1].
مثال ذلك: "الرحمن" فهو اسـم من أسـماء اللـه تعـالى، دال على صـفة عظيمـة هي الرحمـة الواسـعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: "الـدهر" لأنـه لا يتضـمن معـنى يبلـغ غايـة الحسـن، فأمـا قولـه صـلى اللـه عليـه وسلم: "لا تسبوا الدهر، فـإن اللـه هـو الـدهر" فمعنـاه: مالـك الـدهر المتصـرف فيـه، بـدليل قولـه في الروايـة الثانية عن الله تعالى: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار".
الفرع الثاني: أسماء الله غـير محصـورة بعـدد معين لقوله، صلى اللـه عليـه وسـلم ، في الحـديث المشـهور: "أسألك اللهم بكل اسـم هـو لـك، سـميت بـه نفسـك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقـك، أو اسـتأثرت به في علم الغيب عندك"، ومـا اسـتأثر اللـه بـه في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 33.
[2] سورة المائدة، الآية: 64.
[1] سورة الأعراف، الآية: 180

والجمع بين هـذا، وبين قولـه في الحـديث الصـحيح: "إن لله تسعة وتسـعين اسـماً من أحصـاها دخـل الجنـة": أن معنى هذا الحـديث: أن من أسـماء اللـه تسـعة وتسـعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخـرى أعددتها لغير الصدقة.

الفـرع الثـالث: أسـماء اللـه لا تثبت بالعقـل، وإنمـا تثبت بالشرع فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على مـا جـاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقـل لا يمكنـه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على الشرع، ولأن تسميته بما لم يسم به نفسـه، أو إنكار ما سمى بـه نفسـه جنايـة في حقـه تعـالى فـوجب سلوك الأدب في ذلك.

الفرع الرابع: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات اللــه، وعلى الصــفة الــتي تضــمنها، وعلى الأثــر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمـان بالاسـم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباتـه اسـماً من أسـماء اللـه دالاً على ذاتـه تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: "الـرحمن" فلا يتم الإيمـان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء اللـه دالاً على ذاتـه تعالى، وعلى ما تضـمنه من الصـفة وهي الرحمـة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

القاعدة الثالثة:

"في صفات الله" وتحتها فروع أيضاً:

الفرع الأول: صفات اللـه كلهـا عليـا، صـفات كمـال ومــدح، ليس فيهــا نقص بوجــه من الوجــوه كالحيــاة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحكمـة، والرحمـة، والعلو، وغير ذلك لقوله تعـالى:]وللـه المثـل الأعلى[[1]. ولأن الرب كامل فوجب كمال صفاته.

---

[1] سورة النحل، الآية: 60 .

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حقه كالموت والجهل، والعجز، والصمم، والعمى، ونحو ذلك لأنه سبحانه عاقب الواصفين له بالنقص، ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، ولأن الرب لا يمكن أن يكون ناقصاً لمنافاة النقص للربوبية.

وإذا كانت الصفة كمالاً من وجه، ونقصاً من وجه لم تكن ثابتة لله، ولا ممتنعة عليه على سبيل الإطلاق بل لابد من التفصيل فتثبت لله في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة مثلها، لأنها تدل على أن فاعلها ليس بعاجز عن مقابلة عدوه بمثل فعله، وتكون نقصاً في غير هذه الحال فتثبت لله في الحال الأولى دون الثانية قال الله تعالى:]ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين[[2].]إنهم يكيدون كيداً. وأكيد كيداً[[3].]إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم[[4]. إلى غير ذلك.

فإذا قيل: هل يوصف الله بالمكر مثلاً؟

فلا تقل: نعم، ولا تقل :لا، ولكن قل: هو ماكر بمن يستحق ذلك والله أعلم.

الفرع الثاني: صفات الله تنقسم إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبتها الله لنفسه كالحياة، والعلم، والقدرة، ويجب إثباتها لله على الوجه اللائق به، لأن الله أثبتها لنفسه وهو أعلم بصفاته.

والسلبية: هي التي نفاها الله عن نفسه كالظلم، فيجب نفيها عن الله لأن الله نفاها عن نفسه لكن يجب اعتقاد ثبوت ضدها لله على الوجه الأكمل، لأن النفي لا يكون كمالاً حتى يتضمن ثبوتاً.

---

[2] سورة الأنفال، الآية: 30.

[3] سورة الطارق، الآيتان: 15-16 .

[4] سورة النساء، الآية: 142.

مثال ذلـك قولـه تعـالى:]ولا يظلم ربـك أحـداً[[5]. فيجب نفي الظلم عن اللـه مـع اعتقـاد ثبـوت العـدل للـه على الوجه الأكمل.

الفرع الثالث: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية، وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بهـا كالسـمع والبصر.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشـيئته إن شـاء فعلهـا، وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش، والمجيء.

وربما تكون الصفة ذاتية فعليـة باعتبـارين كـالكلام فإنـه باعتبـار أصـل الصـفة صـفة ذاتيـة، لأن اللـه لم يـزل ولا يزال متكلماً وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام متعلق بمشيئته يتكلم بما شاء متى شاء.

الفرع الرابع: كل صفة من صفات اللـه فإنـه يتوجـه عليها ثلاثة أسئلة:

السؤال الأول: هل هي حقيقية؟ ولماذا؟

السؤال الثاني: هل يجوز تكييفها؟ ولماذا؟

السـؤال الثـالث: هـل تماثـل صـفات المخلـوقين؟ ولماذا؟

فجـواب السـؤال الأول: نعم حقيقيـة، لأن الأصـل في الكلام الحقيقـة فلا يعـدل عنهـا إلا بـدليل صـحيح يمنـع منها.

وجـواب الثـاني: لا يجـوز تكييفهـا لقولـه تعـالى:]ولا يحيطون به علماً[[1]. ولأن العقـل لا يمكنـه إدراك كيفيـة صفات الله.

وجواب الثـالث: لا تماثـل صـفات المخلـوقين لقولـه تعالى:]ليس كمثله شيء[[2]، ولأن اللـه مسـتحق للكمـال الـذي لا غايـة فوقـه فلا يمكن أن يماثـل المخلـوق لأنـه ناقص.

---

[5] سورة الكهف، الآية: 49.

[1] سورة طه، الآية: 110.

[2] سورة الشورى، الآية: 11.

والفرق بين التمثيل والتكييف أن التمثيل ذكر كيفية الصفة مقيدة بمماثل، والتكييف ذكر كيفية الصفة غير مقيدة بمماثل.
مثال التمثيل: أن يقول القائل: يد الله كيد الإنسان.
ومثال التكييف : أن يتخيل ليد الله كيفية معينة لا مثيل لها في أيدي المخلوقين فلا يجوز هذا التخيل.

القاعدة الرابعة:
"فيما نرد به على المعطلة"

المعطلة هم الذين ينكرون شيئاً من أسماء الله، أو صفاته، ويحرفون النصوص عن ظاهرها، ويقال لهم: "المؤولة" والقاعدة العامة فيما نرد به عليهم أن نقول: إن قولهم خلاف ظاهر النصوص، وخلاف طريقة السلف، وليس عليه دليل صحيح، وربما يكون في بعض الصفات وجه رابع أو أكثر.

"لمعة الاعتقاد"

"اللمعة" تطلق في اللغة على معان منها: البلغة من العيش وهذا المعنى أنسب معنى لموضـوع هـذا الكتـاب، فمعنى لمعة الاعتقاد هنـا: البلغـة من الاعتقـاد الصـحيح المطابق لمذهب السلف رضوان اللـه عليهم. والاعتقـاد: الحكم الـذهني الجـازم فـإن طـابق الواقـع فصـحيح وإلا ففاسد.

"ما تضمنته خطبة الكتاب"

تضمنت خطبة المؤلف في هذا الكتاب ما يأتي:

1- 1- البداءة بالبسملة، اقتـداء بكتـاب اللـه العظيم، واتباعاً لسنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

ومعنى "بسم اللـه الـرحمن الـرحيم": أي أفعـل الشـيء مسـتعيناً ومتبركـاً بكـل اسـم من أسـماء اللـه تعـالى الموصوف بالرحمـة الواسـعة. ومعـنى]الله[المـألوه أي المعبود حباً وتعظيماً تألهاً وشوقاً و]الرحمن[ذو الرحمـة الواسعة و]الرحيم[الموصـل رحمتـه من شـاء من خلقـه فـالفرق بين الـرحمن والـرحيم أن الأول باعتبـار كـون الرحمة وصفاً له، والثاني باعتبارها فعلاً لـه يوصـلها من شاء من خلقه.

2- 2- الثناء على الله بالحمد، والحمـد: ذكـر أوصـاف المحمـود الكاملـة وأفعالـه الحميـدة مـع المحبـة لـه والتعظيم.

3- 3- أن الله محمود بكل لسان ومعبود بكل مكان أي مستحق وجائز أن يحمد بكل لغة ويعبد بكل بقعة.

4- 4- سعة علم الله بكونـه لا يخلـو من علمـه مكـان وكمال قدرته وإحاطته حيث لا يلهيه أمر عن أمر.

5- 5- عظمته وكبريـاؤه وترفعـه عن كـل شـبيه ونـد ومماثل لكمال صفاته من جميع الوجوه.

6- 6- تنزهه وتقدسه عن كل زوجة وولد وذلـك لكمـال غناه.

7- 7- تمام إرادتـه وسـلطانه بنفـوذ قضـائه في جميـع العباد فلا يمنعه قوة ملك ولا كثرة عدد ومال.

8- 8- عظمة الله فوق ما يتصور بحيث لا تستطيع العقول له تمثيلاً ولا تتوهم القلوب له صورة لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
9- 9- اختصاص الله بالأسماء الحسنى والصفات العلا.
10- 10- استواء الله على عرشه وهو علوه واستقراره عليه على الوجه اللائق به.
11- 11- عموم ملكه للسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.
12- 12- سعة علمه، وقوة قهره، وحكمه وأن الخلق لا يحيطون به علماً لقصور إدراكهم عما يستحقه الرب العظيم من صفات الكمال والعظمة.

"تقسيم نصوص الصفات وطريقة الناس فيها"

تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين واضح جلي، ومشكل خفي.

فالواضح: ما اتضح لفظه ومعناه، فيجب الإيمان به لفظاً، وإثبات معناه حقاً بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم.

وأما المشكل: فهو مالم يتضح معناه لإجمال في دلالته، أو قصر في فهم قارئه فيجب إثبات لفظه لورود الشرع به، والتوقف في معناه وترك التعرض له لأنه مشكل لا يمكن الحكم عليه، فنرد علمه إلى الله ورسوله.

وقد انقسمت طرق الناس في هذا المشكل إلى طريقين:

الطريقة الأول: طريقة الراسخين في العلم الذين آمنوا بالمحكم والمتشابه وقالوا :كل من عند ربنا وتركوا التعرض لما لا يمكنهم الوصول إلى معرفته والإحاطة به، تعظيماً لله ورسوله وتأدباً مع النصوص الشرعية، وهم الذين أثنى الله عليهم بقوله:]والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا[[1].

الطريقة الثانية: طريقة الزائغين الذين اتبعوا المتشابه طلباً للفتنة وصدًّا للناس عن دينهم وعن

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 7.

طريقة السلف الصالح، فحاولوا تأويل هذا المتشابه إلى ما يريدون لا إلى ما يريده الله ورسوله، وضربوا نصـوص الكتاب والسنة بعضها ببعض، وحاولوا الطعن في دلالتها بالمعارضــة والنقص ليشــككوا المســلمين في دلالتهــا ويعمــوهم عن هــدايتها، وهــؤلاء هم الــذين ذمهم اللــه بقوله:]فأما الذين في قلوبهم زيـغ فيتبعـون مـا تشـابه منـه ابتغـاء الفتنــة وابتغـاء تأويلـه ومـا يعلم تأويلـه إلا الله[[2].

"تحرير القول في النصوص من حيث الوضوح والإشكال"

إن الوضـوح والإشـكال في النصـوص الشـرعية أمـر نسبي، يختلـف فيـه النـاس بحسـب العلم والفهم، فقـد يكون مشكلاً عند شخص ما هـو واضـح عنـد شـخص آخـر، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض لـه والتخبــط في معنـــاه، أمـــا من حيث واقـــع النصـــوص الشرعية فليس فيها بحمد الله مـا هـو مشـكل لا يعـرف أحـــد من النـــاس معنـــاه فيمـــا يهمهم من أمـــر دينهم ودنياهم، لأن الله وصف القـرآن بأنـه نـور مـبين، وبيـان للنـاس، وفرقـان، وأنـه أنزلـه تبيانـاً لكـل شـيء، وهـدى ورحمة، وهذا يقتضـي أن لا يكـون في النصـوص مـا هـو مشـكل بحسـب الواقــع بحيث لا يمكن أحــداً من الأمــة معرفة معناه.

"معنى الرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، وحكم كل منها"

الرد: التكذيب والإنكار. مثل أن يقول قائل: ليس للـه يـد لا حقيقة ولا مجازاً. وهو كفر لأنه تكذيب لله ورسوله.

والتأويـل: التفسـير والمـراد بـه هنـا تفسـير نصـوص الصفات بغير ما أراد الله بها ورسوله وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون صادراً عن اجتهـاد وحسـن نيـة بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله، فهـذا معفـو عنـه لأن هـذا

---

[2] سورة آل عمران، الآية: 7.

منتهى وسعه وقد قال الله تعالى:]لا يكلف الله نفساً إلا وسعها[[1] .

الثاني: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية فهو فسق وليس بكفر إلا أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

القسم الثالث: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأن حقيقته التكذيب حيث لا وجه له.

والتشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر، لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى:]ليس كمثله شيء[[2].

ويتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والفرق بين التمثيل والتشبيه، أن التمثيل يقتضي المساواة من كل وجه بخلاف التشبيه.

"ما تضمنه كلام الإمام أحمد في أحاديث النزول وشبهها"

تضمن كلام الإمام أحمد ــ رحمه لله ــ الذي نقله عنه المؤلف ما يأتي:

-1- وجوب الإيمان والتصديق بما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من أحاديث الصفات من غير زيادة ولا نقص ولا حد ولا غاية.

-2- أنه لا كيف ولا معنى أي لا نكيف هذه الصفات لأن تكييفها ممتنع لما سبق وليس مراده أنه لا كيفية لصفاته لأن صفاته ثابتة حقاً وكل شيء ثابت فلا بد له من كيفية لكن كيفية صفات الله غير معلومة لنا.

وقوله: ولا معنى أي: لا نثبت لها معنى يخالف ظاهرها كما فعله أهل التأويل وليس مراده نفي المعنى الصحيح الموافق لظاهرها الذي فسرها به السلف فإن هذا

---

[1] سورة البقرة، الآية: 286.

[2] سورة الشورى، الآية: 11.

ثابت، ويدل على هذا قوله: "ولا نرد شيئاً منها ونصفه بما وصف به نفسه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نعلم كيفية كنه ذلك" فإن نفيه لرد شيء منها، ونفيه لعلم كيفيتها دليل على إثبات المعنى المراد منها.

3-3- وجوب الإيمان بالقرآن كله محكمه وهو ما اتضح معناه، ومتشابهه وهو ما أشكل معناه، فنرد المتشابه إلى المحكم ليتضح معناه فإن لم يتضح وجب الإيمان به لفظاً، وتفويض معناه إلى الله تعالى.

"ما تضمنه كلام الإمام الشافعي"

تضمن كلام الإمام الشافعي ما يأتي:

1- 1- الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة، ولا نقص، ولا تحريف.

2- 2- الإيمان بما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، في سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، على ما أراده رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل، وأهل التمثيل، لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله فإن أهل التأويل نقصوا، وأهل التمثيل زادوا.

"طريق السلف الذي درجوا عليه في الصفات"

الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله.

والاقتداء بهم في ذلك واجب لقوله ، صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة". رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح وصححه الألباني وجماعة.

"السنة والبدعة وحكم كل منهما"

السنة لغة: "الطريقة".
واصطلاحاً: "ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه من عقيدة أو عمل".
واتباع السنة واجب لقوله تعالى:]لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر[[1]. وقوله، صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضواً عليها بالنواجذ".
والبدعة لغة: "الشيء المستحدث".
واصطلاحاً: "ما أحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه من عقيدة أو عمل".
وهي حرام لقوله تعالى:]ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً[[2]. وقوله، صلى الله عليه وسلم: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة".
الآثار الواردة في الترغيب في السنة والتحذير من البدعة:
1- 1- من أقوال الصحابة: قال ابن مسعود رضي الله عنه الصحابي الجليل المتوفى سنة 32هـ عن بضع وستين سنة:
(اتبعوا) أي التزموا آثار النبي، صلى الله عليه وسلم ، من غير زيادة ولا نقص (ولا تبتدعوا) ولا تحدثوا بدعة في الدين (فقد كفيتم) أي كفاكم السابقون مهمة الدين حيث أكمل الله تعالى الدين لنبيه، صلى الله عليه وسلم ، وأنزل قوله:]اليوم أكملت لكم دينكم[[3]. فلا يحتاج الدين إلى تكميل.
2- 2- من أقوال التابعين: قال أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز المولود سنة 63هـ المتوفى سنة 101هـ قولاً يتضمن ما يأتي:

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 21.
[2] سورة النساء، الآية: 115.
[3] سورة المائدة، الآية: 3.

أ- وجوب الوقوف حيث وقف القوم ـ يعني بهم ـ النبي، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه فيما كانوا عليه من الدين عقيدة وعملاً، لأنهم وقفوا عن علم وبصيرة ولو كان فيما حدث بعدهم خير لكانوا به أحرى.
ب- أن ما أحدث بعدهم فليس فيه إلا مخالفة هديهم، والزهد في سنتهم وإلا فقد وصفوا من الدين ما يشفي وتكلموا فيه بما يكفي.
جـ- أن من الناس من قصر في اتباعهم فكان جافياً، ومن الناس من تجاوزهم فكان غالياً، والصراط المستقيم ما بين الغلو والتقصير.
3- 3- من أقوال تابعي التابعين: قال الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو المتوفى سنة 157هـ: (عليك بآثار من سلف) الزم طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لأنها مبنية على الكتاب والسنة (وإن رفضك الناس) أبعدوك واجتنبوك (وإياك وآراء الرجال) احذر آراء الرجال وهي ما قيل بمجرد الرأي من غير استناد إلى كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم ، (وإن زخرفوه) جملوا اللفظ وحسنوه فإن الباطل لا يعود حقاً بزخرفته وتحسينه.
"مناظرة جرت عند خليفة بين الأدرمي وصاحب بدعة"
لم أطلع على ترجمة للأدرمي ومن معه ولا أعلم نوع البدعة المذكورة والمهم أن نعرف مراحل هذه المناظرة لنكتسب منها طريقاً لكيفية المناظرة بين الخصوم وقد بنى الأدرمي ـ رحمه الله ـ مناظرته هذه على مراحل ليعبر من كل مرحلة إلى التي تليها حتى يفحم خصمه.
المرحلة الأولى: "العلم" فقد سأله الأدرمي هل علم هذه البدعة النبي، صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه؟
قال البدعي: لم يعلموها.
وهذا النفي يتضمن انتقاص النبي، صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه حيث كانوا جاهلين بما هو من أهم أمور الدين، ومع ذلك فهو حجة على البدعي إذا كانوا لا يعلمونه ولذلك انتقل به الأدرمي إلى:

المرحلة الثانية: إذا كانوا لا يعلمونها فكيف تعلمها أنت؟ هل يمكن أن يحجب الله عن رسوله، صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين علم شيء من الشريعة ويفتحه لك؟

فتراجع البدعي وقال: أقول: قد علموها فانتقل به إلى:

المرحلة الثالثة: إذا كانوا قد علموها فهل وسعهم أي أمكنهم أن لا يتكلموا بذلك ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟

فأجاب البدعي بأنهم وسعهم السكوت وعدم الكلام.

فقال له الأدرمي: فشيء وسع رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وخلفاءه لا يسعك أنت، فانقطع الرجل وامتنع عن الجواب لأن الباب انسد أمامه.

فصوب الخليفة رأي الأدرمي، ودعا بالضيق على من لم يسعه ما وسع النبي، صلى الله عليه وسلم ، وخلفاءه.

وهكذا كل صاحب باطل من بدعة أو غيرها فلابد أن يكون مآله الانقطاع عن الجواب.

"الصفات التي ذكرها المؤلف من صفات الله تعالى"

ذكر المؤلف رحمه الله من صفات الله الصفات الآتية وسنتكلم عليها حسب ترتيب المؤلف.

الصفة الأولى: "الوجه".

الوجه ثابت لله تعالى بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام[[1].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم ، لسعد بن أبي وقاص: "إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها". متفق عليه.

وأجمع السلف على إثبات الوجه لله تعالى، فيجب إثباته له بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه حقيقي يليق بالله.

وقد فسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة الثانية: "اليدان".

---

[1] سورة الرحمن، الآية: 27.

اليـدان من صـفات اللـه الثابتـة لـه بالكتـاب، والسـنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]بل يداه مبسوطتان[[2].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهـار". إلى قولـه: "بيـده الأخـرى القبض يرفـع ويخفض". رواه مسـلم والبخـاري معناه.

وأجمع السلف على إثبات اليدين لله، فيجب إثباتهمـا لـه بدون تحريف ولا تعطيـل، ولا تكـييف، ولا تمثيـل، وهمـا يدان حقيقيتان لله تعالى تليقان به.

وقـد فسـرهما أهـل التعطيـل بالنعمـة أو القـدرة ونحوهـا. ونـرد عليهم بمـا سـبق في القاعـدة الرابعـة، وبوجـه رابـع أن في السـياق مـا يمنـع تفسـيرهما بـذلك قطعاً كقوله تعالى:]لمـا خلقت بيـدي[[3]. وقولـه، صـلى الله عليه وسلم: "وبيده الأخرى القبض".

الأوجه التي وردت عليها صفة اليدين وكيف نوفق بينها:

الأول: الإفـراد كقولـه تعـالى:]تبـارك الـذي بيـده الملك[[4].

الثاني: التثنية كقوله تعالى:]بل يداه مبسوطتان[[5].

الثالث: الجمـع كقولـه تعـالى:]أولم يـروا أنـا خلقنـا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً[[6].

والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: الوجـه الأول مفـرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنـتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثـة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً.

الصفة الثالثة: "النفس".

النفس ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

---

[2] سورة المائدة، الآية: 64.

[3] سورة ص، الآية: 75.

[4] سورة الملك، الآية: 1.

[5] سورة المائدة، الآية: 64.

[6] سورة يس، الآية: 71.

قال الله تعالى:]كتب ربكم على نفسه الرحمة[[1].
وقال عن عيسى:]تعلم مافي نفسي ولا أعلم ما في نفسك[[2].
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته". رواه مسلم.
وأجمع السلف على ثبوتها على الوجه اللائق به، فيجب إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
الصفة الرابعة: "المجيء".
مجيء الله للفصل بين عباده يوم القيامة ثابت بالكتاب، والسنة وإجماع السلف.
قال الله تعالى:]وجاء ربك[[3]. و]هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله[[4].
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين". متفق عليه، في حديث طويل.
وأجمع السلف على ثبوت المجيء لله تعالى، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو مجيء حقيقي يليق بالله تعالى.
وقد فسره أهل التعطيل بمجيء أمره. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.
الصفة الخامسة "الرضا".
الرضا من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.
قال الله تعالى:]رضي الله عنهم ورضوا عنه[[5].
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكله فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". رواه مسلم.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 54 .
(2) سورة المائدة، الآية: 116.
(3) سورة الفجر، الآية: 22.
(4) سورة البقرة، الآية: 210.
(5) سورة البينة، الآية: 8.

وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى.
وقد فسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة السادسة: "المحبة".

المحبة من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.
قال الله تعالى:]فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه[[1].
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم ، يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله". متفق عليه.
وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله يحب، ويحب، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى.
وقد فسرها أهل التعطيل بالثواب والرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة السابعة: "الغضب".

الغضب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.
قال الله تعالى فيمن قتل مؤمناً متعمداً:]وغضب الله عليه ولعنه[[2] وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إن الله كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي". متفق عليه.
وأجمع السلف على ثبوت الغضب لله فيجب إثباته من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو غضب حقيقي يليق بالله.
وفسره أهل التعطيل بالانتقام ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع: أن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام فقال تعالى:]فلما آسفونا[.أي

---

[1] سورة المائدة، الآية: 54.
[2] سورة النساء، الآية: 93.

أغضبونا]انتقمنا منهم[*. فجعل الانتقـام نتيجـة للغضـب فدل على أنه غيره.

الصفة الثامنة: "السخط".

السخط من صفات الله الثابتة بالكتاب، والسنة، وإجمـاع السلف.

قال الله تعالى:]ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله[[3].

وكان من دعاء النبي، صلى الله عليه وسـلم: "اللهم إني أعـوذ برضـاك من سـخطك وبمعافاتـك من عقوبتـك". الحديث رواه مسلم.

وأجمع السلف على ثبوت السخط لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو سخط حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التعطيل بالانتقـام. ونـرد عليهم بمـا سـبق في القاعدة الرابعة.

الصفة التاسعة: "الكراهة".

الكراهة من الله لمن يسـتحقها ثابتـة بالكتـاب، والسـنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]ولكن كره الله انبعاثهم[[1].

وقال النبي، صـلى الله عليـه وسـلم: "إن اللـه كـره لكم قيــل وقــال، وكــثرة الســؤال وإضــاعة المــال". رواه البخاري.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك لله فيجب إثباتـه من غـير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهي كراهة حقيقية من الله تليق به.

وفسر أهل التعطيـل الكراهـة بالإبعـاد. ونـرد عليهم بمـا سبق في القاعدة الرابعة.

الصفة العاشرة: "النزول".

نــزول اللــه إلى الســماء الــدنيا من صــفاته الثابتــة لــه بالسنة، وإجماع السلف.

---

[3] سورة محمد، الآية: 28.

* سورة الزخرف ، الآية:55 .

[1] سورة التوبة، الآية: 46.

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له..". الحديث متفق عليه.
وأجمع السلف على ثبوت النزول لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو نزول حقيقي يليق بالله.
وفسره أهل التعطيل بنزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع:أن الأمر ونحوه لا يمكن أن يقول:من يدعوني فأستجيب له.. إلخ.

الصفة الحادية عشرة: "العجب".

العجب من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.
قال الله تعالى:]بل عجبت ويسخرون[[2]. على قراءة ضم التاء.
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة". رواه أحمد وهو في المسند ص 151ج4 عن عقبة بن عامر مرفوعاً وفيه ابن لهيعة.
وأجمع السلف على ثبوت العجب لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو عجب حقيقي يليق بالله.
وفسره أهل التعطيل بالمجازاة ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.
والعجب نوعان:
أحدهما: أن يكون صادراً عن خفاء الأسباب على المتعجب فيندهش له ويستعظمه ويتعجب منه، وهذا النوع مستحيل على الله، لأن الله لا يخفى عليه شيء.
الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب، وهذا هو الثابت لله تعالى.

الصفة الثانية عشرة: "الضحك".

الضحك من صفات الله الثابتة له بالسنة، وإجماع السلف.

---

[2] سورة الصافات، الآية: 12.

قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة". وتمام الحديث: "يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد". متفق عليه.
وأجمع السلف على إثبات الضحك لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو ضحك حقيقي يليق بالله تعالى.
وفسره أهل التعطيل بالثواب. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة.
الصفة الثالثة عشرة: " الاستواء على العرش":
استواء الله على العرش من صفاته الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.
قال الله تعالى:]الرحمن على العرش استوى[[1]. وذكر استواءه على عرشه في سبعة مواضع من القرآن.
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي". رواه البخاري.
وقال النبي، صلى اللهعليه وسلم ، فيما رواه أبو داود في سننه: "إن بعد ما بين سماء إلى سماء إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة إلى أن قال في العرش : بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك". وأخرجه أيضاً الترمذي، وابن ماجه، وفيه علة أجاب عنها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تهذيب سنن أبي داود ص92-93ج7.
وأجمع السلف على إثبات استواء الله على عرشه فيجب إثباته من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وهو استواء حقيقي معناه: العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى.
وقد فسره أهل التعطيل بالاستيلاء. ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة ونزيد وجهاً رابعاً: أنه لا يعرف في اللغة العربية بهذا المعنى. ووجهاً خامساً: أنه يلزم

---

[1] سورة طه، الآية: 5 .

عليه لوازم باطلة مثل أن العرش لم يكن ملكاً لله ثم استولى عليه بعد.

والعرش لغة: السرير الخاص بالملك.

وفي الشرع: العرش العظيم الذي استوى عليه الرحمن جل جلاله، وهو أعلى المخلوقات وأكبرها، وصفه الله بأنه عظيم، وبأنه كريم، وبأنه مجيد.

والكرسي غير العرش، لأن العرش هو ما استوى عليه الله تعالى، والكرسي موضع قدميه لقول ابن عباس رضي الله عنهما: "الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره". رواه الحاكم في مستدركه. وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الصفة الرابعة عشرة: "العلو".

العلو من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]وهو العلي العظيم[[1].

وكان النبي، صلى الله عليه وسلم ، يقول في صلاته في السجود: "سبحان ربي الأعلى". رواه مسلم من حديث حذيفة.

وأجمع السلف على إثبات العلو لله، فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو علو حقيقي يليق بالله.

وينقسم إلى قسمين:

علو صفة بمعنى أن صفاته تعالى عليا ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ودليله ما سبق.

وعلو ذات بمعنى أن ذاته تعالى فوق جميع مخلوقاته ودليله مع ما سبق:

قوله تعالى:]أأمنتم من في السماء[[2].

وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك...." الحديث رواه أبو داود وفيه زيادة ابن محمد قال البخاري : منكر الحديث. وقوله، صلى الله عليه وسلم ، للجارية: "أين الله؟" قالت: في

---

[1] سورة البقرة، الآية: 255.

[2] سورة الملك، الآية: 16.

السماء. قال: "أعتقها فإنها مؤمنة". رواه مسلم في قصة معاوية بن الحكم.
وقوله، صلى الله عليه وسلم ، لحصين بن عبيد الخزاعي والد عمران بن حصين: "اترك الستة، واعبد الذي في السماء" هذا هو اللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكره في الإصابة من رواية ابن خزيمة في قصة إسلامه بلفظ غير هذا وفيه إقرار النبي، ، لحصين حين قال: "ستة في الأرض وواحداً في السماء".
وأجمع السلف على ثبوت علو الذات لله وكونه في السماء فيجب إثباته له من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.
وقد أنكر أهل التعطيل كون الله بذاته في السماء وفسروا معناها أن في السماء ملكه، وسلطانه، ونحوه ونرد عليهم بما سبق في القاعدة الرابعة وبوجه رابع: أن ملك الله وسلطانه في السماء وفي الأرض أيضاً . وبوجه خامس: وهو دلالة العقل عليه لأنه صفة كمال. وبوجه سادس: وهو دلالة الفطرة عليه لأن الخلق مفطورون على أن الله في السماء.

معنى كون الله في السماء

المعنى الصحيح لكون الله في السماء أن الله تعالى على السماء ففي بمعنى على وليست للظرفية لأن السماء لا تحيط بالله، أو أنه في العلو فالسماء بمعنى العلو وليس المراد بها السماء المبنية.
تنبيه: ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه نقل عن بعض الكتب المتقدمة أن من علامات النبي، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء وهذا النقل غير صحيح لأنه لا سند له، ولأن الإيمان بعلو الله والسجود له لا يختصان بهذه الأمة وما لا يختص لا يصح أن يكون علامة، ولأن التعبير بالزعم في هذا الأمر ليس بمدح لأن أكثر ما يأتي الزعم فيما يشك فيه.
جواب الإمام مالك بن أنس بن مالك وليس أبوه أنس بن مالك الصحابي بل غيره وكان جد مالك من كبار التابعين

وأبو جده من الصحابة. ولد مالك سنة 93هـ بالمدينة ومات فيها سنة 179هـ وهو في عصر تابعي التابعين.

سئل مالك فقيل: يا أبا عبد الرحمن]الرحمن على العرش استوى[. كيف استوى؟ فقال رحمه الله: (الاستواء غير مجهول) أي معلوم المعنى وهو العلو والاستقرار (والكيف غير معقول) أي كيفية الاستواء غير مدركة بالعقل لأن الله تعالى أعظم وأجل من أن تدرك العقول كيفية صفاته (والإيمان به) أي الاستواء (واجب) لوروده في الكتاب والسنة (والسؤال عنه) أي عن الكيف (بدعة) لأن السؤال عنه لم يكن في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه. ثم أمر بالسائل فأخرج من المسجد خوفاً من أن يفتن الناس في عقيدتهم وتعزيراً له بمنعه من مجالس العلم.

الصفة الخامسة عشرة: "الكلام".

الكلام صفة من صفات الله الثابته له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]وكلم الله موسى تكليماً[[1]. ـ]منهم من كلم الله[[2].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي". أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم.

وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

وهو كلام حقيقي يليق بالله، يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى:]ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه[[3]. فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

والدليل على أنه حروف قوله تعالى:]يا موسى إني أنا ربك[[4]. فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

---

[1] سورة النساء، الآية: 164.

[2] سورة البقرة، الآية:253.

[3] سورة الأعراف، الآية 143.

[4] سورة طه، الآيتان: 11-12.

والدليل على أنه بصوت قوله تعالى:]وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا[[5]. والنداء والمناجاة لا تكون بصوت. وروي عن عبدالله بن أنيس عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". علقه البخاري بصيغة التمريض، قال في الفتح: وأخرجه المصنف في الأدب المفرد وأحمد، وأبو يعلى في مسنديهما وذكر له طريقين آخرين.

وكلام الله تعالى قديم النوع، حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع أن الله لم يزل، ولا يزال متكلماً ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن. ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى:

خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا: ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء، أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق، أو تشريف مثل ناقة الله، وبيت الله.

ونرد عليهم بما يلي:

1- 1- أنه خلاف إجماع السلف.

2- 2- أنه خلاف المعقول، لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئاً قائماً بنفسه منفصلاً عن المتكلم.

3- 3- أن موسى سمع الله يقول:]إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني[[1]. ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية، قالوا : كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته، وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله.

ونرد عليهم بما يلي:

---

(5) سورة مريم، الآية: 52.

(1) سورة طه، الآية: 14.

1- 1- أنه خلاف إجماع السلف.
2- 2- أنه خلاف الأدلة لأنها تدل على أن كلام الله يسمع، ولا يسمع إلا الصوت ولا يسمع المعنى القائم بالنفس.
3- 3- أنه خلاف المعهود لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.
تعليق على كلام المؤلف في فصل الكلام:
قوله: (متكلم بكلام قديم) يعني قديم النوع حادث الآحاد لا يصلح إلا هذا المعنى على مذهب أهل السنة والجماعة، وإن كان ظاهر كلامه أنه قديم النوع والآحاد.
قوله: (سمعه موسى من غير واسطة) لقوله تعالى:]وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى[[2].
قوله: (وسمعه جبريل) لقوله تعالى:]قل نزله روح القدس من ربك[[3].
قوله: (ومن إذاً له من ملائكته ورسله) أما الملائكة فلقوله، صلى الله عليه وسلم: "ولكن ربنا إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل السماء الدنيا فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش:]ماذا قال ربكم[[1] فيخبرونهم".الحديث رواه مسلم. وأما الرسل فقد ثبت أن الله كلم محمداً، صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.
قوله: (وإنه سبحانه يكلم المؤمنين ويكلمونه) لحديث أبي سعيد الخدري أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال: "يقول الله لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك". الحديث متفق عليه.
قوله: (ويإذاً لهم فيزورونه) لحديث أبي هريرة أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال: "إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدارى يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم..." الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وقال: غريب وضعفه الألباني.

---

[2] سورة طه، الآية: 13|.
[3] سورة النحل، الآية: 102.
[1] سورة سبأ، الآية: 23.

وقوله: (وقال ابن مسعود: "إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء" وروي ذلك عن النبي، صلى الله عليه وسلم) أثر ابن مسعود لم أجده بهذا الفظ وذكر ابن خزيمة طرقه في كتاب التوحيد بألفاظ منها: "سمع أهل السموات للسموات صلصلة"، وأما المروي عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، فهو من حديث النواس بن سمعان مرفوعاً "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة، أو قال :رعدة شديدة من خوف الله، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا..." الحديث. رواه ابن خزيمة وابن أبي حاتم[2].

"القول في القرآن":

القرآن الكريم من كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه. دليل أنه من كلام الله قوله تعالى:]وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله[[3]. يعني القرآن.

ودليل أنه منزل قوله تعالى:]تبارك الذين نزل الفرقان على عبده[[4].

ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى:]ألا له الخلق والأمر[[5]. فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى:]وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا[[6]،]ذلك أمر الله أنزله إليكم[[7]. ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة.

ودليل أنه منه بدأ، أن الله أضافه إليه، ولا يضاف الكلام إلا إلى من قاله مبتدئاً.

---

[2] (تنبيه) القصة التي ذكرها المؤلف عن موسى عليه السلام ليلة رأى النار ليس لها سند ثابت ويظهر بطلانها لأنه لم يرد في النصوص الصحيحة وصف الله بأنه عن اليمين والشمال. والله أعلم.

[3] سورة التوبة، الآية: 6.

[4] سورة الفرقان، الآية: 1.

[5] سورة الأعراف، الآية: 54.

[6] سورة الشورى، الآية: 52.

[7] سورة الطلاق، الآية: 5.

ودليل أنه إليه يعود أنه ورد في بعض الآثار أنه يرفـع من المصاحف والصدور في آخر الزمان.

القرآن حروف وكلمات:

القرآن حروف وكلمات، وقد ذكر المؤلف ــ رحمـه اللـه ـ لذلك أدلة ثمانية:

1- 1- أن الكفار قالوا: إنه شعر، ولا يمكن أن يوصف بذلك إلا ما هو حروف وكلمات.

2- 2- أن الله تحدى المكذبين به أن يأتوا بمثله، ولـو لم يكن حروفاً وكلمات لكان التحـدي غـير مقبـول، إذ لا يمكن التحدي إلا بشيء معلوم يدرى ما هو.

3- 3- أن الله أخبر بأن القرآن يتلى عليهم]وإذا تتلى عليهم آياتنـا بينـات قـال الـذين لا يرجـون لقاءنـا ائت بقـرآن غـير هـذا أو بدله[[1]. ولا يتلى إلا مـا هـو حـروف وكلمات.

4- 4- أن الله أخبر بأنه محفوظ في صدور أهل العلم ومكتوب في اللـوح المحفـوظ]بـل هـو آيـات بينـات في صدور الذين أوتوا العلم[[2].ـ]إنه لقرآن كريم .في كتـاب مكنون .لا يمسه إلا المطهـرون[[3]. ولا يحفـظ ويكتب إلا ما هو حروف وكلمات.

5- 5- قول النبي، صلى الله عليـه وسـلم: "من قـرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منـه عشـر حسـنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسـنة". صـححه المؤلـف ولم يعزه ولم أجد من خرجه.

6- 6- قول أبي بكر وعمر: إعراب القـرآن أحب إلينـا من حفظ بعض حروفه.

7- 7- قول علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منـه فقد كفر به كله.

8- 8- إجماع المسلمين ـ كما نقله المؤلف ـ على أن من جحد منه سورة أو آية، أو كلمة، أو حرفاً متفقاً عليه فهو كافر.

---

(1) سورة يونس، الآية: 15.

(2) سورة العنكبوت، الآية: 49.

(3) سورة الواقعة، الآيات: 77-79.

وعـــدد ســـور القـــرآن 114منهـــا 29 افتتحت بـــالحروف المقطعة.

أوصاف القرآن:

وصف الله القرآن الكـريم بأوصـاف عظيمـة كثـيرة ذكـر المؤلف منها ما يلي:

1- 1- أنه كتاب الله المبين، أي: المفصح عما تضمنه من أحكام وأخبار.

2- 2- أنه حبل الله المـتين، أي: العهـد القـوي الـذي جعله الله سبباً للوصول إليه والفوز بكرامته.

3- 3- أنـه سـور محكمـات أي: مفصـل السـور، كـل ســورة منفــردة عن الأخــرى، والمحكمــات المتقنــات المحفوظات من الخلل والتناقض.

4- 4- أنـه آيـات بينـات، أي علامـات ظـاهرات على توحيد الله، وكمال صفاته، وحسن تشريعاته.

5- 5- أن فيه محكمـاً ومتشـابهاً، فـالمحكم: مـا كـان معناه واضحاً، والمتشابه ما كان معناه خفيـاً ولا يعـارض هذا ما سبق برقم "3" لأن الإحكام هناك بمعنى الإتقـان والحفــظ من الخلــل والتنــاقض، وهنــا بمعــنى وضــوح المعــنى، وإذا رددنــا المتشــابه هنــا إلى المحكم صــار الجميع محكماً.

6- 6- أنه حق لا يمكن أن يأتيه الباطل من أي جهة]لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيــل من حكيم حميد[[1].

7- 7- أنه بريء مما وصفه به المكذبون من قـولهم : إنه شعر:]وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين[[2]. وقول بعضهم:]إن هذا إلا سحر يؤثر[[1].]إن هذا إلا قول البشر[[3]. فقال الله متوعداً هذا القائل:]سأصليه سقر[[4]..

8- 8- أنـه معجـزة لا يمكن لأحـد أن يـأتي بمثلـه وإن عاونـــه غـــيره]قـــل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن

---

[1] سورة فصلت، الآية: 42.

[2] سورة يس، الآية: 69.

[3] سورة المدثر، الآيتان: 24-25.

[4] سورة المثر، الآية: 26.

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلـه ولـو كـان بعضـهم لبعض ظهيراً[[5]].

"رؤية الله في الآخرة "

رؤية الله في الدنيا مستحيلة لقوله تعالى لموسـى وقـد طلب رؤية الله:]لن تراني[[6]].

ورؤية الله في الآخـرة ثابتـة بالكتـاب، والسـنة، وإجمـاع السلف.

قـال اللـه تعـالى:]وجـوه يومئـذ ناضـرة إلى ربهـا نـاظرة[[7]. وقـال:]كلا إنهم عن ربهم يومئـذ لمحجوبون[[8]. فلما حجب الفجـار عن رؤيتـه دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي، صلى الله عليـه وسـلم: "إنكم سـترون ربكم كمـا تـرون القمـر لا تضـامون في رؤيتـه". متفـق عليه، وهذا التشبيه للرؤية بالرؤيـة لا للمـرئي بـالمرئي، لأن الله ليس كمثله شيء، ولا شبيه له ولا نظير.

وأجمـع السـلف على رؤيـة المؤمـنين للـه تعـالى دون الكفار بدليل الآية الثانية.

يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخـول الجنـة كما يشاء الله تعالى.

وهي رؤية حقيقية تليق بالله.

وفسرها أهل التعطيـل بـأن المـراد بهـا رؤيـة ثـواب الله، أو أن المراد بهـا رؤيـة العلم واليقين. ونـرد عليهم باعتبـار التأويـل الأول بمـا سـبق في القاعـدة الرابعـة، وباعتبـار التأويـل الثـاني بـذلك وبوجـه رابـع: أن العلم واليقين حاصل للأبرار في الدنيا وسيحصـل للفجـار في الآخرة.

"القدر":

من صـفات اللـه تعـالى أنـه الفعـال لمـا يريـد كمـا قـال تعالى:]إن ربك فعـال لمـا يريد[[1]. فلا يخـرج شـيء عن

---

[5] سورة الإسراء، الآية: 88.

[6] سورة الأعراف، الآية 143.

[7] سورة القيامة، الآيتان: 22-23.

[8] سورة المطففين، الآية: 15.

[1] سورة هود، الآية: 107.

إرادته وسلطانه، ولا يصدر شيء إلا بتقديره وتدبيره، بيده ملكوت السموات والأرض، يهدي من يشاء برحمته ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته، وسلطانه، وهم يسألون لأنهم مربوبون محكومون.

والإيمان بالقدر واجب وهو أحد أركان الإيمان الستة لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره". رواه مسلم وغيره. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "آمنت بالقدر خيره وشره، حلوه، ومره". فالخير والشر باعتبار العاقبة والحلاوة والمرارة باعتبار وقت إصابته. وخير القدر ما كان نافعاً وشره ما كان ضاراً أو مؤذياً.

والخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته، فإن منه ما يكون خيراً كالطاعات، والصحة، والغنى، ومنه ما يكون شراً كالمعاصي، والمرض، والفقر، أما بالنسبة لفعل الله فلا يقال : إنه شر لقول النبي، صلى الله عليه وسلم ، في دعاء القنوت الذي علمه الحسن بن علي: "وقني شر ماقضيت"[2]. فأضاف الشر إلى ما قضاه لا إلى قضائه.

والإيمان بالقدر لا يتم إلا بأربعة أمور[3]:

الأول: الإيمان بأن الله عالم كل ما يكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق لقوله تعالى:]ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير[[1].

الثاني: أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء لقوله تعالى:]ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها[[2]. أي نخلق الخليقة، ولقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله

---

(2) أخرجه الخمسة وأطال ابن حجر الكلام عليه في التلخيص.

(3) جمع بعضهم هذه الأربعة في بيت فقال:

علم كتابة مولانا مشيئته كذاك خلق وإيجاد تكوين

(1) سورة الحج، الآية: 70.

(2) سورة الحديد، الآية: 22.

قـدر مقـادير الخلـق قبـل أن يخلـق السـماوات والأرض بخمسين ألف سنة[. رواه مسلم.

الثالث: أنه لا يكون شيء في السـماوات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عمـا يفعل لكمال حكمته وسـلطانه، وهم يسـألون، ومـا وقـع من ذلك فإنه مطابق لعلمه السابق ولما كتبـه في اللـوح المحفوظ لقوله تعالى:]إنا كـل شـيء خلقنـاه بقـدر[[3].]فمن يرد الله أن يهديه يشـرح صـدره للإسـلام ومن يـرد أن يضـله يجعـل صـدره ضـيقاً حرجـاً[[4]. فـأثبت وقـوع الهداية والضلال بإرادته.

الرابع: أن كل شـيء في السـموات والأرض مخلـوق للـه تعـالى، لا خـالق غـيره ولا رب سـواه لقولـه تعـالى:]وخلـق كـل شـيء فقـدره تقـديراً[[5]. وقـال على لسـان إبراهيم:]والله خلقكم وما تعملون[[6].

القدر ليس حجة للعاصي على فعل المعصية:

أفعال العباد كلها من طاعات ومعاص كلهـا مخلوقـة للـه كمـا سـبق ولكن ليس ذلـك حجـة للعاصـي على فعـل المعصية وذلك لأدلة كثيرة منها:

1- 1- أن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسـباً لـه فقال:]اليوم تجزى كل نفس بما كسبت[[7]. ولـو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما نسب إليه.

---

[3] سورة القمر، الآية: 49.

[4] سورة الأنعام، الآية: 125.

[5] سورة الفرقان، الآية: 2.

[6] سورة الصافات، الآية: 96.

[7] سورة غافر، الآية: 17.

2- 2- أن الله أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع لقوله تعالى:]لا يكلف الله نفساً إلا وسعها[[1].]فاتقوا الله ما استطعتم[[2]. ولو كان مجبوراً على العمل ما كان مستطيعاً على الفعل، أو الكف، لأن المجبور لا يستطيع التخلص منه.

3- 3- أن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختياري والإجباري ، وأن الأول يستطيع التخلص منه.

4- 4- أن العاصي قبل أن يقدم على المعصية لا يدري ما قدر له، وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك، فكيف يسلك الطريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول؟! أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول : هذا ما قدر لي؟!.

5- 5- أن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة:]لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[[3]. ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع بإرسال الرسل.

التوفيق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله وكونه كسباً للفاعل:

عرفت مما سبق أن فعل العبد مخلوق لله، وأنه كسب للعبد يجازى عليه الحسن بأحسن، والسيئ بمثله فكيف نوفق بينهما؟

التوفيق بينهما أن وجه كون فعل العبد مخلوقاً لله تعالى أمران:

الأول: أن فعل العبد من صفاته، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى.

الثاني: أن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية، ولولاهما لم يكن فعل، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى، وخالق السبب خالق للمسبب، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب، لا نسبة مباشرة، لأن المباشر حقيقة هو العبد فلذلك نسب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً، فلكل من النسبتين اعتبار والله أعلم.

---

(1) سورة البقرة، الآية: 286.

(2) سورة التغابن، الآية: 16.

(3) سورة النساء، الآية: 165.

المخالفون للحق في القضاء والقدر والرد عليهم:
المخالفون للحق في القضاء والقدر طائفتان:
الطائفة الأولى: الجبرية يقولون : العبد مجبور على فعله وليس له اختيار في ذلك.
ونرد عليهم بأمرين:
1- أن الله أضاف عمل الإنسان إليه وجعله كسباً له يعاقب ويثاب بحسبه، ولو كان مجبوراً عليه ما صح نسبته إليه ولكان عقابه عليه ظلماً.
2- أن كل واحد يعرف الفرق بين الفعل الاختياري والاضطراري في الحقيقة والحكم، فلو اعتدى شخص على آخر وادعى أنه مجبور على ذلك بقضاء الله وقدره لعد ذلك سفهاً مخالفاً للمعلوم بالضرورة.
الطائفة الثانية: القدرية يقولون: العبد مستقل بعمله ليس لله فيه إرادة، ولا قدرة، ولا خلق.
ونرد عليهم بأمرين:
1-أنه مخالف لقوله تعالى:]الله خالق كل شيء[[1].]والله خلقكم وما تعملون[[2].
2-أن الله مالك السموات والأرض فكيف يكون في ملكه ما لا تتعلق به إرادته وخلقه؟!
أقسام الإرادة والفرق بينها:
إرادة الله تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية:
فالكونية: هي التي بمعنى المشيئة كقوله تعالى:]فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً[[3].
والشرعية: هي التي بمعنى المحبة كقوله تعالى:]والله يريد أن يتوب عليكم[[4].
والفرق بينهما أن الكونية يلزم فيها وقوع المراد ولا يلزم أن يكون محبوباً لله، وأما الشرعية فيلزم أن يكون المراد فيها محبوباً لله ولا يلزم وقوعه.
الإيمان:

---

[1] سورة الزمر، الآية: 62.
[2] سورة الصافات، الآية: 96.
[3] سورة الأنعام، الآية: 125.
[4] سورة النساء، الآية: 27.

الإيمان لغة: التصديق.
واصطلاحاً: قول باللسان وعمل بالأركان وعقد بالجنان.
مثال القول: لا إله إلا الله.
ومثال العمل: الركوع.
ومثال العقد: الإيمان بالله وملائكته وغير ذلك مما يجب اعتقاده.

والدليل على أن هذا هو الإيمان قوله تعالى:]وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة[[5]. فجعل الإخلاص، والصلاة، والزكاة من الدين.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق". رواه مسلم. بلفظ "فأفضلها قول : لا إله إلا الله" وأصله في الصحيحين.

والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لقوله تعالى:]فزادهم إيماناً[[1].]ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم[[2].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة، أو خردلة، أو ذرة من إيمان". رواه البخاري بنحوه فجعله النبي، صلى الله عليه وسلم ، متفاضلاً، وإذا ثبتت زيادته ثبت نقصه، لأن من لازم الزيادة أن يكون المزيد عليه ناقصاً عن الزائد.

---

[5] سورة البينة، الآية: 5.
[1] سورة آل عمران، الآية :173.
[2] سورة الفتح، الآية: 4.

"فصل في السمعيات"

السمعيات كل ما ثبت بالسمع أي بطريق الشرع ولم يكن للعقل فيه مدخل، وكل ما ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من أخبار فهو حق يجب تصديقه سواء شاهدناه بحواسنا، أو غاب عنا، وسواء أدركناه بعقولنا أم لم ندركه لقوله تعالى:]إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم[[1]. وقد ذكر المؤلف من ذلك أموراً:

الأمر الأول: الإسراء والمعراج :

الإسراء لغة: السير بالشخص ليلاً وقيل: بمعنى سرى.

وشرعاً:سير جبريل بالنبي،صلى الله عليه وسلم،من مكة إلى بيت المقدس لقوله تعالى:]سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[[2].

والمعراج لغة: الآلة التي يعرج بها وهي المصعد.

وشرعاً: السلم الذي عرج به رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، من الأرض إلى السماء لقوله تعالى:]والنجم إذا هوى. ما ضل صاحبكم وما غوى[[3]. إلى قوله:]لقد رأى من آيات ربه الكبرى[[4]. وكانا في ليلة واحدة عند الجمهور، وللعلماء خلاف متى كانت؟ فيروى بسند منقطع عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنها ليلة الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ولم يعينا السنة رواه ابن أبي شيبة.

ويروى عن الزهري وعروة أنها قبل الهجرة بسنة رواه البيهقي فتكون في ربيع الأول، ولم يعينا الليلة، وقاله ابن سعد وغيره وجزم به النووي. ويروى عن السدي أنها قبل الهجرة بستة عشر شهراً. رواه الحاكم. فتكون في ذي القعدة.

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين. وقيل: بخمس. وقيل: بست.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 119 .

[2] سورة الإسراء، الآية: 1.

[3] سورة النجم، الآيتان: 1-2.

[4] سورة النجم، الآية: 18.

وكان يقظة لا مناماً، لأن قريشاً أكبرته وأنكرته، ولو كان مناماً لم تنكره لأنها لا تنكر المنامات.

وقصته: أن جبريل أمره الله أن يسري بالنبي، صلى الله عليه وسلم ، إلى بيت المقدس على البراق، ثم يعرج به إلى السموات العلا سماء، سماء، حتى بلغ مكاناً سمع فيه صريف الأقلام، وفرض الله عليه الصلوات الخمس، وأطلع على الجنة والنار، واتصل بالأنبياء الكرام، وصلى بهم إماماً، ثم رجع إلى مكة فحدث الناس بما رأى فكذبه الكافرون، وصدق به المؤمنون وتردد فيه آخرون.

الأمر الثاني: مجيء ملك الموت إلى موسى صلى الله عليه وسلم:

جاء ملك الموت بصورة إنسان إلى نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ليقبض روحه، فلطمه موسى ففقأ عينه، فرجع الملك إلى الله وقال: "أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت" فرد الله عليه عينه وقال: "ارجع إليه، وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطى يده بكل شعرة سنة" فقال موسى: ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر، قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر". وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وإنما أثبته المؤلف في العقيدة لأن بعض المبتدعة أنكره معللاً ذلك بأنه يمتنع أن موسى يلطم الملك. ونرد عليهم: بأن الملك أتى موسى بصورة إنسان لا يعرف موسى من هو؟ يطلب منه نفسه، فمقتضى الطبيعة البشرية أن يدافع المطلوب عن نفسه، ولو علم موسى أنه ملك لم يلطمه، ولذلك استسلم له في المرة الثانية حين جاء بما يدل أنه من عند الله، وهو إعطاؤه مهلة من السنين بقدر ما تحت يده من شعر ثور.

الأمر الثالث: أشراط الساعة:

الأشراط جمع شرط وهو لغة العلامة. والساعة لغة الوقت أو الحاضر منه. والمراد بها هنا: القيامة، فأشراط الساعة شرعاً العلامات الدالة على قرب يوم

القيامة قال الله تعالى:]فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها[[1]. وذكر المؤلف من أشراط الساعة ما يأتي:

1- 1- (خروج الدجال) وهو لغة صيغة مبالغة من الدجل، وهو الكذب والتمويه.

وشرعاً: رجل مموه يخرج في آخر الزمان يدعي الربوبية. وخروجه ثابت بالسنة، والإجماع قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "قولوا : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات". رواه مسلم. وكان النبي، صلى الله عليه وسلم ، يتعوذ منه في الصلاة متفق عليه.

وأجمع المسلمون على خروجه.

وقصته أنه يخرج من طريق بين الشام والعراق، فيدعو الناس إلى عبادته فأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب. ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، فيسير في الأرض كلها كالغيث استدبرته الريح، إلا مكة والمدينة فيمنع منهما، ومدته أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وباقي أيامه كالعادة، وهو أعورالعين مكتوب بين عينه ك ف ر يقرؤه المؤمن فقط، وله فتنة عظيمة منها أنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، معه جنة ونار، فجنته، وناره جنة. حذر منه النبي، صلى الله عليه وسلم ، وقال: "من سمع به فلينأ عنه، ومن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، أو بفواتح سورة الكهف".

2- 2- (زول عيسى ابن مريم):نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى:]وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته[[1] أي: موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسره أبو هريرة بذلك.

وقال النبي،صلى الله عليه وسلم:"والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً وعدلاً".الحديث متفق عليه.

---

[1] سورة محمد، الآية 18.

[1] سورة النساء، الآية: 159.

وقد أجمع المسلمون على نزوله، فينزل عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويحج ويعتمر، كل هذا ثابت في صحيح مسلم وبعضه في الصحيحين كليهما. وروى الإمام أحمد وأبو داود أن عيسى يبقى بعد قتل الدجال أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون. وذكر البخاري في تاريخه أنه يدفن مع النبي، صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم.

3- 3- (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان أو عربيان مشتقان من المأج وهو الاضطراب، أو من أجيج النار وتلهبها.

وهما أمتان من بين آدم موجودتان بدليل الكتاب، والسنة.

قال الله تعالى في قصة ذي القرنين:]حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً[[2] الآيات.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يقول الله يوم القيامة :يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك"، إلى أن قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أبشروا فإن منكم واحداً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً[. أخرجاه في الصحيحين.

وخروجهم الذي يكون من أشراط الساعة لم يأت بعد، ولكن بوادره وجدت في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت في الصحيحين أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعه الإبهاموالتي تليها".

وقد ثبت خروجهم في الكتاب، والسنة.

---

(2) سورة الكهف، الآيتان: 93-94.

قال الله تعالى:]حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق[[1]. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات". فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم. رواه مسلم وقصتهم في حديث النواس بن سمعان أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال في عيسى بن مريم بعد قتله الدجال: "فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول : لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله". رواه مسلم.

4- (خروج دابة). الدابة لغة: كل ما دب على الأرض. والمراد بها هنا: الدابة التي يخرجها الله قرب قيام الساعة.. وخروجها ثابت بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى:]وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون[[2].

---

[1] سورة الأنبياء، الآيتان: 96-97.

[2] سورة النمل، الآية: 82.

وقـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إنهـا لن تقـوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيـات" وذكـر منهـا الدابـة. رواه مسلم.
وليس في القرآن والسنة الصحيحة مـا يـدل على مكـان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحـاديث في صحتها نظر. وظاهر القـرآن أنهـا دابـة تنـذر النـاس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم.
5- 5- (طلوع الشمس من مغربها) طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسنة.
قال الله تعالى:]يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسـاً إيمانهـا لم تكن آمنت من قبـل أو كسـبت في إيمانهـا خيراً[[1]. والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.
وقـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "لا تقـوم السـاعة حـتى تطلـع الشـمس من مغربهـا فـإذا طلعت ورآها الناس آمنـوا أجمعـون، وذلـك حين لا ينفـع نفسـاً إيمانهـا لم تكـون آمنت من قبـل أو كسـبت في إيمانهـا خيراً". متفق عليه.
فتنة القبر:
الفتنة لغة: الاختبار وفتنة القبر: سـؤال الميت عن ربـه، ودينه، ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة.
قال الله تعالى:]يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[[2]. وقال النبي، صلى اللـه عليه وسلم: "المسلم إذا سئل في القبر شـهد أن لا إلـه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى:]يثبت الله الذين آمنـوا بـالقول الثـابت في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة["[3] متفق عليه.
والسائل ملكان لقول النبي، صلى الله عليه وسـلم: "إن العبـد إذا وضـع في قـبره وتـولى عنـه أصـحابه إنـه ليسمع قرع نعالهم قـال: يأتيـه ملكـان فيقعدانـه". رواه مسلم. واسمهما منكر ونكير كمـا رواه الترمـذي عن أبي هريـرة مرفوعـاً وقـال : حسـن غـريب. قـال الألبـاني :

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 158.
[2] سورة إبراهيم، الآية: 27.
[3] سورة إبراهيم، الآية: 27.

وسنده حسن وهو على شرط مسلم، والسؤال عام للمكلفين من المؤمنين والكافرين، ومن هذه الأمة وغيرهم على القول الصحيح وفي غير المكلفين خلاف، وظاهر كلام ابن القيم في كتاب (الروح) ترجيح السؤال. ويستثنى من ذلك الشهيد لحديث رواه النسائي، ومن مات مرابطاً في سبيل الله لحديث رواه مسلم.

عذاب القبر أو نعيمه:

عذاب القبر أو نعيمه حق ثـابت بظـاهر القـرآن، وصـريح السنة، وإجماع أهل السنة. قـال اللـه تعـالى في سـورة الواقعة:]فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئـذ تنظـرون[[1]، إلى قوله:]فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم[[2]. إلخ السورة.. وكان النبي، صلى الله عليـه وسلم ، يتعوذ بالله من عـذاب القـبر، وأمـر أمتـه بـذلك. وقال النبي، صلى الله عليه وسلم ، في حديث البراء بن عازب المشهور في قصة فتنة القبر قـال في المـؤمن: "فينادي مناد من السماء أن صـدق عبـدي فأفرشـوه من الجنة، وألبسوه من الجنـة، وافتحـوا لـه بابـاً إلى الجنـة، فيأتيـه من ريحهـا، وطيبهـا، ويفسـح لـه في قـبره مـد بصره. وقـال في الكـافر : فينـادي منـاد من السـماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً من النار، فيأتيـه من حرهـا وسـمومها، ويضـيق عليـه قـبره حـتى تختلف أضلاعه". الحديث رواه أحمد وأبو داود.

وقد اتفق السلف وأهل السـنة على إثبـات عـذاب القـبر ونعيمه ذكره ابن القيم في كتاب (الروح).

وأنكر الملاحدة عذاب القبر متعللين بأننا لو نبشنا القــبر لوجدناه كما هو.

نرد عليهم بأمرين:

1- 1- دلالـة الكتـاب، والسـنة، وإجمـاع السـلف على ذلك.

2- 2- أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا فليس العذاب أو النعيم في القبر المحسوس في الدنيا.

هل عذاب القبر أو نعيمه على الروح أو على البدن؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتهــا أن العــذاب أو النعيم يحصــل لــروح الميت وبدنــه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البـدن منعمـة، أو معذبـة وأنهـا تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم أو العذاب.

النفخ في الصور:

النفخ معروف. والصور لغة: القرن.

---

[1] سورة الواقعة، الآيتان: 83-84.

[2] سورة الواقعة، الآيتان: 88-89 .

وشرعاً: قرن عظيم التقمه إسرافيل ينتظر متى يؤمر بنفخه، وإسرافيل أحد الملائكة الكرام الذين يحملون العرش، وهما نفختان:
إحداهما: نفخة الفزع ينفخ فيه فيفزع الناس ويصعقون إلا من شاء الله.
والثانية: نفخة البعث ينفخ فيه فيبعثون ويقومون من قبورهم.
وقد دل على النفخ في الصور الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.
قال الله تعالى:]ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون[[1] ـ]ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون[[2].
وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً ثم لا يبقى أحد إلا صعق ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل أو الظل (شك الراوي) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون". رواه مسلم في حديث طويل.
وقد اتفقت الأمة على ثبوته.
(البعث والحشر)
البعث لغة: الإرسال، والنشر.
وشرعاً: إحياء الأموات يوم القيامة.
والحشر لغة: الجمع.
وشرعاً: جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.
والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين قال الله تعالى:]قل بلى وربي لتبعثن[[3].وقال تعالى:]قل إن الأولين والآخرين . لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم[[4].

---

[1] سورة الزمر، الآية: 68.
[2] سورة يس، الآية: 51.
[3] سورة التغابن، الآية: 7.
[4] سورة الواقعة، الآية: 49-50.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "يحشـر النـاس يـوم القيام على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد". متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

ويحشر الناس حفاة لا نعـال عليهم، عـراة لا كسـوة عليهم، غرلاً لا ختان فيهم لقوله تعـالى:]كمـا بـدأنا أول خلق نعيده[[5]. وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "إنكم تحشرون حفاة، عراة، غرلاً، ثم قرأ]كما بـدأنا أول خلـق نعيـده وعـداً علينـا إنـا كنـا فـاعلين[[6] وأول من يكسـى إبراهيم". متفق عليه.

وفي حـديث عبداللـه بن أنيس المرفـوع الـذي رواه أحمد: "يحشر النـاس يـوم القيامـة عـراة غـرلاً، بهمـاً ". قلنا: وما بهماً ؟ قال: "ليس معهم شيء". الحديث.

(الشفاعة)

الشفاعة لغة: جعل الوتر شفعاً.

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة.

والشفاعة يوم القيامة نوعان: خاصة بالنبي، صـلى اللـه عليه وسلم ، وعامة له ولغيره.

فالخاصـة بـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، شـفاعته العظمى في أهل الموقف عنـد اللـه ليقضـي بينهم حين يلحقهم من الكـرب والغم مـالا يطيقـون، فيـذهبون إلى آدم، فنوح فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبي، صلى الله عليه وسلم ، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده.

وقد ذكرت هذه الصفة في حـديث الصـور المشـهور لكن سـنده ضـعيف متكلم فيـه وحـذفت من الأحـاديث الصـحيحة فاقتصـر منهـا على ذكـر الشـفاعة في أهـل الكبائر.

قال ابن كثير وشارح الطحاويـة: وكـان مقصـود السـلف من الاقتصـار على الشـفاعة في أهـل الكبـائر هـو الـرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة.

---

(5) سورة الأنبياء، الآية: 104.

(6) سورة الأنبياء، الآية: 104.

وهذه الشـفاعة لا ينكرهـا المعتزلـة والخـوارج ويشـترط فيها إذاً الله لقوله تعالى:]من ذا الـذي يشـفع عنـده إلا بإذأه[[1].

النوع الثاني العامة: وهي الشفاعة فيمن دخل النـار من المؤمنين أهل الكبائر أن يخرجوا منها بعدما احترقوا وصـاروا فحمـاً وحميمـاً. لحـديث أبي سـعيد قـال: قـال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الــذين هم أهلها فلا يموتـون فيهـا ولا يحيـون، ولكن أنـاس، أو كمـا قـال تصـيبهم النـار بـذنوبهم، أو قـال: بخطايـاهم فيميتهم إماتة حتى إذا صـاروا فحمـاً إذاً في الشـفاعة". الحديث رواه أحمد.

قال ابن كثير في النهاية ص204ج2 : وهذا إسناد صـحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وهذه الشفاعة تكون للنبي، صلى الله عليه وســلم ، وغـيره من الأنبيـاء، والملائكـة والمؤمـنين لحـديث أبي سعيد عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، وفيـه: "فيقـول اللـه تعـالى :شـفعت الملائكـة، وشـفع النـبيون، وشـفع المؤمنـون، ولم يبـق إلا أرحم الـراحمين فيقبض قبضـة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عـادوا حمماً". متفق عليه.

وهـذه الشـفاعة ينكرهـا المعتزلـة والخـوارج بنـاء على مـذهبهم أن فاعـل الكبـيرة مخلـد في النـار فلا تنفعـه الشفاعة.

ونرد عليهم بما يأتي:

1- 1- أن ذلـك مخـالف للمتـواتر من الأحـاديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم .

2- 2- أنه مخالف لإجماع السلف.

ويشترط لهذه الشفاعة شرطان:

الأول: إذاً اللـه في الشـفاعة لقولـه تعـالى:]من ذا الـذي يشـفع عنـده إلا بـإذأه[[1]. الثـاني: رضـا اللـه عن الشـافع والمشـفوع لـه لقولـه تعـالى:]ولا يشـفعون إلا

---

[1] سورة البقرة، الآية: 255.

[1] سورة البقرة ،الآية:255.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 28.

لمن ارتضى[(2) . فأما الكافر فلا شفاعة له لقوله تعالى:]فما تنفعهم شفاعة الشافعين[(3). أي لو فـرض أن أحـداً شفع لهم لم تنفعهم الشفاعة.

وأما شفاعة النبي، صلى الله عليه وسلم ، لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضـاح من نـار وعليـه نعلان يغلي منهما دماغه، وإنه لأهون أهل النـار عـذاباً، قـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "ولـولا أنـا لكـان في الـدرك الأسفل من النار". رواه مسلم. فهذا خاص بالنبي، صلى الله عليه وسلم ، وبعمه أبي طالب، فقـط، وذلـك واللـه أعلم لما قام به من نصرة النبي، صلى الله عليه وسلم ، والدفاع عنه، وعما جاء به.

(الحساب)

الحساب لغة: العدد.

وشرعاً: إطلاع الله عباده على أعمالهم.

وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى:]إن إلينا إيابهم. ثم إن علينا حسابهم[(4).

وكان النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، يقـول في بعض صـلاته:"اللهم حاسـبني حسـاباً يسـيراً".فقـالت عائشـة رضي الله عنها:ما الحساب اليسير؟ قال: "أن ينظـر في كتابه فيتجاوز عنه". رواه أحمد. وقال الألباني : إسـناده جيد.

وأجمع المسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة.

وصفة الحساب للمؤمن: أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه، حتى إذا رأى أنه قد هلك. قال الله له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته.

وأمـــا الكفـــار والمنـــافقون فينـــادى بهم على رؤوس الخلائق]هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنـة اللـه على الظالمين[(5). متفق عليه من حديث ابن عمر.

والحسـاب عـام لجميـع النـاس إلا من اسـتثناهم النـبي، صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعون ألفاً من هـذه الأمـة منهم عكاشـة بن محصـن يـدخلون الجنـة بلا حسـاب ولا

---

(3) سورة المدثر، الآية: 48.

(4) سورة الغاشية، الآيتان: 25-26.

(3) سورة هود، الآية:18.

عذاب. متفق عليه. وروى أحمد من حديث ثوبان مرفوعاً أن مع كل واحد سبعين ألفاً، قال ابن كثير: حديث صحيح وذكر له شواهد.

وأول من يحاسب هذه الأمة لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق". متفق عليه، وروى ابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً: "نحن آخر الأمم وأول من يحاسب" الحديث.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله". رواه الطبراني في الأوسط وسنده لا بأس به إن شاء الله، قال المنذري في الترغيب والترهيب ص246 ج1 : وأول ما يقضى بين الناس في الدماء لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء". متفق عليه.

(الموازين)

الموازين جمع ميزان، وهو لغة: ما تقدر به الأشياء خفة وثقلاً. وشرعاً: ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وقد دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

قال الله تعالى:]فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون[[1].

]ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[[2].

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم". متفق عليه.

---

[1] سورة الأعراف، الآيتان: 8-9.

[2] سورة الأنبياء، الآية: 47.

وأجمع السلف على ثبوت ذلك.

وهو ميزان حقيقي، لـه كفتـان، لحـديث عبداللـه بن عمرو بن العاص عن النبي، صلى الله عليـه وسـلم ، في صـاحب البطاقـة قـال: "فتوضـع السـجلات في كفـة والبطاقة في كفة". الحـديث رواه الترمـذي وابن ماجـه. قال الألباني: إسناده صحيح.

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد أو متعدد؟

فقـال بعضـهم: متعـدد بحسـب الأمم، أو الأفـراد، أو الأعمال لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعاً وأما إفـراده في الحديث فباعتبار الجنس.

وقال بعضهم:هو ميزان واحـد لأنـه ورد في الحـديث مفرداً، وأمـا جمعـه في القـرآن فباعتبـار المـوزون وكلا الأمرين محتمل. والله أعلم.

والذي يوزن العمل لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها.

وقيل: صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة.

وقيل: العامل نفسـه لحـديث أبي هريـرة أن النـبي، صلى الله عليه وسلم ، قال: "إنـه ليـأتي الرجـل العظيم السـمين يـوم القيامـة لا يـزن عنـد اللـه جنـاح بعوضـة". وقال اقرؤوا:]فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً[[1]. متفـق عليه.

وجمع بعض العلماء بين هـذه النصـوص بـأن الجميـع يوزن، أو أن الوزن حقيقـة للصـحائف وحيث إنهـا تثقـل وتخـف بحسـب الأعمـال المكتوبـة صـار الـوزن كأنـه للأعمـال، وأمـا وزن صـاحب العمـل فـالمراد بـه قـدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.

---

[1] سورة الكهف، الآية: 105.

(نشر الدواوين)

النشر لغة: فتح الكتاب أو بث الشيء.

وشرعاً: إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة وتوزيعها.

والدواوين: جمع ديوان وهو لغة: الكتاب يحصى فيه الجند ونحوهم.

وشرعاً: الصحائف التي أحصيت فيها الأعمال التي كتبها الملائكة على العامل.

فنشر الدواوين إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة، فتتطاير إلى الأيمان والشمائل، وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

قال الله تعالى :] فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يحاسب حساباً يسيراً . وينقلب إلى أهله مسروراً . وأما من أوتي كتابه وراء ظهره . فسوف يدعو ثبوراً . ويصلى سعيراً[[1].ـ]وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه[[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي، صلى الله عليه وسلم: "هل تذكرون أهليكم؟ قال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً :عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه، أم في شماله، أم وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يجوز". رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وأجمع المسلمون على ثبوت ذلك.

(صفة أخذ الكتاب(

المؤمن يأخذ كتابه بيمينه فيفرح ويستبشر ويقول:]هاؤم اقرأوا كتابيه[[3].

والكافر يأخذه بشماله، أو من وراء ظهره فيدعو بالويل والثبور ويقول:]يا ليتني لم أوت كتابيه .ولم أدر ما حسابيه[[4].

---

[1] سورة الأنشقاق، الآيات: 7-12.

[2] سورة الحاقة، الآية: 25.

[3] سورة الحاقة، الآية: 19.

[4] سورة الحاقة، الآيتان: 25-26.

(الحوض)

الحوض لغة: الجمع. يقال :حاض الماء يحوضه إذا جمعــه، ويطلق على مجتمع الماء.

وشــرعاً: حــوض المــاء النــازل من الكــوثر في عرصــات القيامة للنبي، صلى الله عليه وسلم.

ودل عليه السنة المتواترة، وأجمع عليه أهل السنة.

قال النبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إني فـرطكم على الحوض". متفق عليه.

وأجمع السلف أهل السنة على ثبوته، وقد أنكر المعتزلة ثبوت الحوض ونرد عليهم بأمرين:

1- 1- الأحاديث المتواترة عن الرسول، صلى الله عليه وسلم.

2- 2- إجماع أهل السنة على ذلك.

(صفة الحوض)

طوله شـهر، وعرضـه شـهر، وزوايـاه سـواء، وآنيتـه كنجـــوم الســـماء، ومـــاؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأطيب من ريح المسك، فيه ميزابان يمدانـه من الجنـــة، أحـــدهما من ذهب ، والثـــاني من فضـــة، يـــرده المؤمنون من أمة محمد، ومن يشرب منه شربة لا يظمــأ بعدها أبداً، وكل هذا ثابت في الصحيحين أو أحدهما.

وهـو موجـود الآن لقولـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن"، رواه البخاري.

واستمداده من الكوثر لقوله صلى الله عليـه وسـلم: "وأعطاني الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حــوض". رواه أحمد. قال ابن كثير: وهو حسن الإسناد والمتن.

ولكل نبي حوض، ولكن حوض النبي، صلى الله عليه وسلم ، أكبرهـا وأعظمهـا وأكثرهـا واردة لقـول النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إن لكـل نـبي حوضـاً، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكــثرهم واردة". رواه الترمذي وقال :غـريب وروى ذلـك ابن أبي الدنيا وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وفيـه ضـعف لكن صححه بعضهم من أجل تعدد الطرق.

(الصراط)

الصراط لغة: الطريق.
وشرعاً: الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة.
وهو ثابت بالكتاب، والسنة، وقول السلف.
قال الله تعالى:]وإن منكم إلا واردها[[1]. فسرها عبدالله بن مسعود، وقتادة، وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط.
وفسرها جماعة منهم ابن عباس بالدخول في النار لكن ينجون منها.
وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون : اللهم سلم سلم". متفق عليه.
واتفق أهل السنة على إثباته.

(صفة الصراط)

سئل النبي، صلى الله عليه وسلم ، عن الصراط فقال: "مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شكوة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان. رواه البخاري وله من حديث أبي هريرة: "وبه كلاليب مثل شوك السعدان"، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله يخطف الناس بأعمالهم". وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بلغني أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف. وروى الإمام أحمد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(العبور على الصراط وكيفيته)

لا يعبر الصراط إلا المؤمنون على قدر أعمالهم لحديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي، صلى الله عليه وسلم ، وفيه: "فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم". متفق عليه. وفي صحيح مسلم: "تجري بهم أعمالهم،

---

[1] سورة مريم، الآية: 71.

ونبيكم قائم على الصراط يقول: يارب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً". وفي صحيح البخاري: "حتى يمر آخرهم يسحب سحباً".

وأول من يعبر الصراط من الأنبياء محمد، صلى الله عليه وسلم ، ومن الأمم أمته لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعاء الرسول يومئذ اللهم سلم سلم". رواه البخاري.

(الجنة والنار)

الجنة لغة: البستان الكثير الأشجار.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين.

والنار لغة: معروفة.

وشرعاً: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين.

وهما مخلوقتان الآن لقوله تعالى في الجنة:]أعدت للمتقين[[1] وفي النار:]أعدت للكافرين[[2]. والإعداد التهيئة ولقوله، صلى الله عليه وسلم ، حين صلى صلاة الكسوف: "إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط أفظع". متفق عليه.

والجنة والنار لا تفنيان لقوله:]جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً[[3]. والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة ، وأما في النار فذكر في ثلاثة مواضع : في النساء] إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً [[1]. وفي الأحزاب :] إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً [[2] . وفي الجن:]ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم

---

(1) سورة آل عمران، الآية: 133.

(2) سورة البقرة، الآية: 24.

(3) سورة البينة، الآية: 8 .

(1) سورة النساء، الآيتان: 168-169 .

(2) سورة الأحزاب، الآيتان: 64-65.

خالدين فيها أبداً[[3]. وقال الله تعالى:]إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون[[4].

(مكان الجنة والنار)

الجنة في أعلى علـيين لقولـه تعـالى:]كلا إن كتـاب الأبرار لفي عليين[[5]. وقولـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، في حـديث الـبراء بن عـازب المشـهور في قصـة فتنـة القبر: "فيقول اللـه عـز وجـل: اكتبـوا كتـاب عبـدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض".

والنــار في أســفل ســافلين لقولــه تعــالى:]كلا إن كتاب الفجار لفي سجين[[6]. وقوله، ، في حـديث الـبراء بن عـازب السـابق: "فيقـول اللـه تعـالى :اكتبـوا كتـاب عبدي في سجين في الأرض السفلى".

(أهل الجنة وأهل النار)

أهل الجنـة كـل مـؤمن تقي لأنهم أوليـاء اللـه، قـال الله تعالى في الجنة:]أعـدت للمتقين[[7].ـ]أعـدت للـذين آمنوا بالله ورسله[[8].

وأهل النار كل كافر شقي قال الله تعالى في النار:]أعدت للكافرين[[9].]فأما الذين شقوا ففي النار[[10] .

(ذبح الموت)

الموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقـة المـوت، وهـو أمـر معنـوي غـير محسـوس بالرؤيـة، ولكن اللـه تعـالى يجعله شيئاً مرئياً مجسماً ويذبح بين الجنة والنـار لحـديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنـه أن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، قـال: "يـؤتى بـالموت كهيئـة كبش أملح، فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقــول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا المـوت وكلهم قـد

---

[3] سورة الجن، الآية: 23 .

[4] سورة الزخرف، الآيتان: 74-75.

[5] سورة المطففين، الآية: 18.

[6] سورة المطففين، الآية: 7.

[7] سورة آل عمران، الآية: 133.

[8] سورة الحديد، الآية: 21.

[9] سورة البقرة، الآية: 24.

[10] سورة هود، الآية: 106.

رآه، ثم ينــادي: يــا أهــل النــار فيشــرئبون وينظــرون، فيقول: هـل تعرفـون هـذا؟ فيقولـون: نعم هـذا المـوت وكلهم وقد رآه. فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلـود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت". ثم قــرأ:] وأنــذرهم يــوم الحســرة إذ قضــي الأمــر وهم في غفلــة وهم لا يؤمنون[[1]. أخرجه البخاري في تفسير هذه الآيــة، وروى نحوه في صفة الجنة والنار من حديث ابن عمر مرفوعاً.

---

[1] سورة مريم، الآية: 39 .

فصل

في حقوق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

أفضل الخلق عند الله الرسل، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون وقد ذكر الله هذه الطبقات في كتابه في قوله:]ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[[1].

وأفضل الرسل أولو العزم منهم وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلوات من الله والتسليم، وقد ذكرهم الله في موضعين من كتابه :في الأحزاب:]وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم[[2]. وفي الشورى:]شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى[[3].

وأفضلهم محمد، صلى الله عليه وسلم ، لقوله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد الناس يوم القيامة". متفق عليه، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل، ثم موسى لأنه افضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم، ثم نوح وعيسى لا يجزم بالمفاضلة بينهما لأن لكل منهما مزية.

---

(1) سورة النساء، الآية: 69 .

(2) سورة الأحزاب، الآية: 7.

(3) سورة الشورى، الآية: 13.

خصائص النبي صلى الله عليه وسلم

اختص النبي، صلى الله عليه وسلم ، بخصائص نتكلم على ما ذكر المؤلف منها:

1- 1-خاتم النبيين لقوله تعالى:]ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[[1].

2- 2-سيد المرسلين وسبق دليله.

3- 3-لا يتم إيمان عبد حتى يؤمن برسالته لقوله تعالى:]فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم[[2]. وغيره من الأنبياء يبعثون إلى أقوام معينين كل إلى قومه.

4- 4-لا يقضى بين الناس إلا بشفاعته وسبق دليل ذلك في الشفاعة.

5- 5-سبق أمته الأمم في دخول الجنة لعموم قوله، صلى الله عليه وسلم:]نحن الآخرون السابقون يوم القيامة[. وسبق.

6- 6-صاحب لواء الحمد يحمله،صلى الله عليه وسلم،يوم القيامة ويكون الحامدون تحته، لحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي،صلى الله عليه وسلم،قال:"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر،وبيدي لواء الحمد ولا فخر،وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر". رواه الترمذي، وقد روى الأولى والأخيرة مسلم.

7- 7-صاحب المقام المحمود أي العمل الذي يحمده عليه الخالق والمخلوق لقوله تعالى:]عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً[[3]. وهذا المقام هو ما يحصل من مناقبه، صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة من الشفاعة وغيرها.

8- 8-صاحب الحوض المورود، والمراد الحوض الكبير الكثير وارده، أما مجرد الحياض فقد مر أن لكل نبي حوضاً.

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 40.

[2] سورة النساء، الآية: 65.

[3] سورة الإسراء، الآية: 79.

9- 9- 11- إمـــام النبـــيين، وخطيبهم، وصـــاحب شفاعتهم لحديث أبي بن كعب أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قال: "إذا كـان يـوم القيامـة كنت إمـام النبـيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر". رواه الترمــذي وحسنه.

12-أمته خير الأمم لقوله تعالى:]كنتم خير أمـة أخـرجت للنـاس[[4]. فأمـا قولـه تعـالى:]يـا بـني إسـرائيل اذكـروا نعمـــتي الـــتي أنعمت عليكم وأني فضـــلتكم على العالمين[[5]. فالمراد عالمي زمانهم.

فضائل الصحابة

الصحابي من اجتمع بالنبي، صلى الله عليـه وسـلم ، مؤمناً به ومات على ذلك.

وأصحاب النبي، صلى الله عليه وسـلم ، أفضـل أصـحاب الأنبياء لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "خير النــاس قرني". الحديث رواه البخاري وغيره.

وأفضـــل الصـــحابة المهـــاجرون لجمعهم بين الهجـــرة والنصرة، ثم الأنصار.

وأفضل المهـاجرين الخلفـاء الأربعـة الراشـدون:أبـو بكر، وعمر،وعثمان، وعلي رضي الله عنهم.

فأبو بكر هو الصديق عبدالله بن عثمان بن عـامر من بــني تيم بن مــرة بن كعب، أول من آمن برسـول اللــه، صلى الله عليه وسلم ، من الرجال وصاحبه في الهجـرة، ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمتـه، أسـلم على يديــه خمســة من المبشــرين بالجنــة عثمــان، والزبــير، وطلحة، وعبد الرحمن ابن عوف، وسـعد بن أبي وقـاص، توفي في جمادى الآخرة سنة 13هـ عن63 سـنة وهـؤلاء الخمســة مــع أبي بكــر، وعلي بن أبي طــالب، وزيــد بن حارثة، هم الثمانية الـذين سـبقوا النـاس بالإسـلام قالـه ابن إسحاق يعني من الذكور بعد الرسالة.

وعمر هو أبـو حفص الفـاروق عمـر بن الخطـاب من بني عدي بن كعب بن لـؤي، أسـلم في السـنة السادسـة من البعثـة بعـد نحـو أربعين رجلاً وإحـدى عشـرة امـرأة،

---

[4] سورة آل عمران، الآية: 110

[5] سورة البقرة، الآية: 47

ففرح المسلمون به وظهر الإسلام بمكة بعده. استخلفه أبو بكر على الأمة فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة 23هـ عن63 سنة.

وعثمان هو أبو عبدالله ذو النورين عثمان بن عفان من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. أسلم قبل دخول النبي، صلى الله عليه وسلم ، دار الأرقم كان غنياً سخياً، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيداً في ذي الحجة سنة 35هـ عن 90سنة على أحد الأقوال.

وعلي وهو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رضي الله عنهما فكان هو الخليفة شرعاً إلى أن قتل شهيداً في رمضان سنة 40هـ عن 63سنة.

وأفضل هؤلاء الأربعة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نخير بين الناس في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان". رواه البخاري ولأبي داود: "كنا نقول ورسول الله، صلى الله عليه وسلم ، حي: أفضل أمة النبي، صلى الله عليه وسلم ، بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان" زاد الطبراني في رواية: "فيسمع ذلك النبي، صلى الله عليه وسلم ، فلا ينكره". هذا ولم أجد اللفظ ذكره المؤلف بزيادة علي بن أبي طالب.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي، صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر رضي الله عنه لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي، صلى الله عليه وسلم ، قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رضي الله عنه لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لفضله، وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت:

علي وعثمان وسعد وطلحة   زبير وذو عوف رجال المشورة

ثم علي رضي الله عنه لفضله، وإجماع أهل عصره عليه. وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال فيهم النبي، صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ".

وقال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة". رواه أحمد وأبو داود والترمذي قال الألباني: وإسناده حسن. فكان آخرها خلافة علي هكذا قال المؤلف وكأنه جعل خلافة الحسن تابعة لأبيه، أو لم يعتبرها حيث إنه رضي الله عنه تنازل عنها.

فخلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من 13 ربيع الأول سنة 11هـ إلى 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ.

وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من 23 جمادى الآخرة سنة 13هـ إلى 26 ذي الحجة سنة 23هـ.

وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً من 1 محرم سنة 24هـ إلى 18 ذي الحجة سنة 35 هـ.

وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنوات وتسعة أشهرمن ذي الحجة سنة 35هـإلى 19 رمضان سنة 40هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنهما يوم مات أبوه علي رضي الله عنه، وفي ربيع الأول سنة 41هـ سلم الأمر إلى معاوية وبذلك ظهرت آية النبي، صلى الله عليه وسلم ، في قوله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقوله في الحسن: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين". رواه البخاري.

الشهادة بالجنة أو النار

الشـهادة بالجنـة أو بالنـار ليس للعقـل فيهـا مـدخل فهي موقوفة على الشرع، فمن شهد لـه الشـارع بـذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

وتنقسـم الشـهادة بالجنـة أو بالنـار إلى قسـمين عامـة وخاصة.

فالعامة هي المعلقة بالوصف مثل أن نشهد لكـل مـؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سبباً لدخول الجنة أو النار.

والخاصـة هي المعلقـة بشـخص مثـل أن نشـهد لشـخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النــار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله.

المعينون من أهل الجنة

المعينـون من أهـل الجنـة كثـيرون ومنهم: العشـرة المبشرون بالجنة وخصوا بهذا الوصف لأن النـبي، صـلى الله عليه وسلم ، جمعهم في حـديث واحـد فقـال: "أبـو بكـر في الجنـة، وعمـر في الجنـة، وعثمـان في الجنـة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنـة، والزبـير في الجنـة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسـعد بن أبي وقـاص في الجنـة، وسـعيد بن زيـد في الجنـة، وأبـو عبيـدة بن الجراح في الجنة". رواه الترمذي وصححه الألباني.

وقـد سـبق الكلام على الخلفـاء الأربعـة وأمـا البـاقون فجمعوا في هذا البيت:

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة وعامر فهر والزبير الممدح

فطلحة هو ابن عبيد اللـه من بـني يتم بن مـرة أحـد الثمانيـة السـابقين إلى الإسـلام قتـل يـوم الجمـل في جمادى الآخرة سنة 36هـ عن 64سنة.

والزبير هو ابن العـوام من بـني قصـي بن كلاب ابن عمة رسول الله، صلى اللـه عليـه وسـلم ، انصـرف يـوم الجمـل عن قتــال علي فلقيــه ابن جرمــوز فقتلــه في جمادى الأولى سنة 36هـ عن 67سنة.

وعبـد الـرحمن بن عـوف من بـني زهـرة بن كلاب توفي سنة 32هـ عن 72سنة ودفن بالبقيع.

وسـعد بن أبي وقـاص هـو ابن مالـك من بـني عبـد مناف بن زهرة أول من رمى بسهم في سبيل الله، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينـة ودفن بالبقيع سنة 55هـ عن 82سنة.

وسـعيد بن زيـد هـو ابن زيـد بن عمـرو بن نفيـل العدوي كان من السابقين إلى الإسـلام، تـوفي بـالعقيق ودفن بالمدينة سنة 51هـ عن بضع وسبعين سنة.

وأبو عبيدة هو عامر بن عبدالله بن الجـراح من بـني فهر، من السـابقين إلى الإسـلام تـوفي في الأردن في طاعون عمواس سنة 18هـ عن 58سنة.

وممن شهد له النبي، صلى الله عليه وسلم ، بالجنـة الحسن، والحسين، وثابت بن قيس.

قال النبي، صلى اللـه عليـه وسـلم: "الحسـن والحسـين سيدا شباب أهـل الجنـة". رواه الترمـذي، وقـال :حسـن صحيح.

قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم ، في ثـابت بن قيس: "إنك لست من أهل النار، ولكنـك من أهـل الجنـة". رواه البخاري.

فالحسن سبط رسول الله، صلى الله عليـه وسـلم ، وريحانته وهو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب ولـد في 15 رمضـان سـنة 3هـ ومـات في المدينة ودفن في البقيع في ربيع الأول سنة 50هـ.

والحسين سبط رسول الله، صلى الله عليه وسـلم ، وريحانته وهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولد في شـعبان سـنة 4هـ وقتـل في كـربلاء في 10 محـرم سنة 61هـ.

وثـابت وهـو ابن قيس بن شـماس الأنصـاري الخـزرجي خطيب الأنصار قتل شهيداً يوم اليمامـة سـنة 11هـ في آخرها، أو أول سنة 12هـ.

المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة

من المعيــنين بــالقرآن: أبــو لهب عبــد العــزى بن عبدالمطلب عم النبي، صلى الله عليـه وسـلم ، وامرأتـه أم جميــل أروى بنت حــرب بن أميــة أخت أبي ســفيان لقولـــه تعـــالى:]تبت يـــدا أبي لهب وتب[[1] إلى آخـــر السورة.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد منـاف بن عبـد المطلب لقول النبي، صلى الله عليه وسلم:"أهون أهـل النـار عـذاباً أبـو طـالب وهـو منتعـل نعلين يغلي منهمـا دماغه". رواه البخاري.

ومنهم عمـرو بن عـامر بن لحي الخـزاعي قـال النـبي، صلى الله عليـه وسـلم: "رأيتـه يجـر أمعـاءه في النـار". رواه البخاري وغيره.

تكفير أهل القبلة بالمعاصي

أهــل القبلــة هم المســلمون المصــلون إليهــا ، لا يكفرون بفعل الكبائر ، ولا يخرجون من الإسـلام بـذلك ، ولا يخلدون في النار لقولـه تعـالى :] وإن طائفتـان من المؤمـنين اقتتلـوا فأصـلحوا بينهما[[2] إلى قولـه:]إنمـا المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخـويكم[[3]. فـأثبت الأخـوة الإيمانيـة مـع القتـال وهـو من الكبـائر، ولـو كـان كفـراً لانتفت الأخوة الإيمانية.

وقـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، يقـول اللـه تعالى: (من كان في قلبه مثقـال حبـة خـردل من إيمـان فأخرجوه). يعني من النار. متفق عليه.

وخالف في هذا طائفتان:

الأولى: الخـوارج قـالوا: فاعـل الكبـيرة كـافر خالـد في النار.

الثانية: المعتزلة قالوا: فاعل الكبـيرة خـارج عن الإيمـان ليس بمؤمن ولا كافر في منزلة بين منزلتين وهـو خالـد في النار.

ونرد على الطائفتين بما يأتي:

1- 1- مخالفتهم لنصوص الكتاب، والسنة.

---

(1) سورة المسد، الآية: 1.

(2) سورة الحجرات، الآية: 9.

(3) سورة الحجرات، الآية: 10.

**2-	2- مخالفتهم لإجماع السلف.**

حقوق الصحابة رضي الله عنهم

للصحابة رضي الله عنهم فضل عظيم على هذه الأمة حيث قاموا بنصرة الله، ورسوله، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وحفظ دين الله بحفظ كتابه، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم ، علماً، وعملاً، وتعليماً حتى بلغوه الأمة نقياً طرياً.

وقد أثنى الله عليهم في كتابه أعظم ثناء حيث يقول في سورة الفتح:]محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً[[1]. إلى آخر السورة.

وحمى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ،كرامتهم حيث يقول صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه". متفق عليه. فحقوقهم على الأمة من أعظم الحقوق فلهم على الأمة:

**1-	1- محبتهم بالقلب، والثناء عليهم باللسان بما أسدوه من المعروف والإحسان.**

**2-	2- الترحم عليهم، والاستغفار لهم تحقيقاً لقوله تعالى:]والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم[[2].**

**3-	3- الكف عن مساوئهم التي إن صدرت عن أحد منهم فهي قليلة بالنسبة لما لهم من المحاسن والفضائل وربما تكون صادرة عن اجتهاد مغفور وعمل معذور لقوله: "لا تسبوا أصحابي". الحديث.**

حكم سب الصحابة

سب الصحابة على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يسبهم بما يقتضي كفر أكثرهم، أو أن عامتهم فسقوا، فهذا كفر، لأنه تكذيب لله ورسوله بالثناء عليهم والترضي عنهم، بل من شك في كفر مثل

---

[1] سورة الفتح، الآية: 29.

[2] سورة الحشر، الآية: 10.

هذا فإن كفره متعين، لأن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب أو السنة كفار، أو فساق.

الثاني: أن يسبهم باللعن والتقبيح، ففي كفره قولان لأهل العلم وعلى القول بأنه لا يكفر يجب أن يجلد ويحبس حتى يموت أو يرجع عما قال.

الثالث: أن يسبهم بما لا يقدح في دينهم كالجبن والبخل فلا يكفر ولكن يعزر بما يردعه عن ذلك، ذكر معنى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول" ونقل عن أحمد في ص 573 قوله: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب أو نقص، فمن فعل ذلك أدب، فإن تاب وإلا جلد في الحبس حتى يموت أو يرجع).

حقوق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

زوجات النبي، صلى الله عليه وسلم ، زوجاته في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، مطيبات، بريئات، مبرآت من كل سوء يقدح في أعراضهن وفرشهن، فالطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله وسلم على نبيه الصادق الأمين.

زوجاته صلى الله عليه وسلم ، اللاتي كان فراقهن بالوفاة وهن:

1- 1- خديجة بنت خويلد أم أولاده ــ ماعدا إبراهيم ـ تزوجها رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، بعد زوجين: الأول عتيق بن عابد. والثاني أبو هالة التميمي ولم يتزوج، صلى الله عليه وسلم ، عليها حتى ماتت سنة 10 من البعثة قبل المعراج.

2- 2- عائشة بنت أبي بكر الصديق أريها، صلى الله عليه وسلم ، في المنام مرتين أو ثلاثاً وقيل: هذه امرأتك فعقد عليها ولها ست سنين بمكة ودخل عليها في المدينة ولها تسع سنين توفيت سنة 58هـ.

3- 3- سـودة بنت زمعـة العامريـة، تزوجهـا بعـد زوج مسلم هو السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو توفيت آخر خلافة عمر وقيل: سنة 54هـ.
4- 4- حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها، صلى الله عليه وسلم ، بعد زوج مسلم هو خـنيس بن حذافـة الـذي قتل في أحد وماتت سنة 41هـ.
5- 5- زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين تزوجها بعد استشهاد زوجهـا عبداللـه بن جحش في أحـد ومـاتت سنة 4هـ بعد زواجها بيسير.
6- 6- أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية تزوجهـا بعد موت زوجهـا أبي سـلمة عبداللـه ابن عبـد الأسـد من جراحة أصابته في أحد وماتت سنة 61هـ.
7- 7- زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته، صلى الله عليه وسلم ، تزوجها بعد مولاه زيـد بن حارثـة سـنة 5هـ وماتت سنة 20هـ.
8- 8- جويريـة بنت الحـارث الخزاعيـة تزوجهـا بعـد زوجها مسافع بن صفوان وقيل: مالك ابن صفوان سنة 6هـ وماتت سنة 56هـ.
9- 9- أم حبيبـة رملـة بنت أبي سـفيان تزوجهـا بعـد زوج أسلم ثم تنصر هو عبيـد اللـه بن جحش ومـاتت في المدينة في خلافة أخيها سنة 44هـ.
10- 10- صفية بنت حـيي بن أخطب من بـني النضـير من ذرية هـارون بن عمـران، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، أعتقها وجعل عتقها صـداقها بعـد زوجين أولهمـا سـلام بن مشكم. والثاني كنانة بن أبي الحقيـق بعـد فتح خيـبر سنة 6هـ وماتت سنة 50هـ.
11- 11- ميمونة بنت الحارث الهلالية تزوجها سنة 7هـ في عمــرة القضــاء بين زوجين: الأول ابن عبــد ياليــل والثـاني أبـو رهم بن عبـد العـزى، بـنى بهـا في سـرف وماتت فيه سنة 51هـ.
فهؤلاء زوجات النبي، صلى الله عليه وسلم، اللاتي كـان فراقهن بالوفاة اثنتان توفيتا قبله وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، وتسع توفي عنهن وهن البواقي.

وبقي اثنتان لم يدخل بهما، ولا يثبت لهما من الأحكام والفضيلة ما يثبت للسابقات وهما:

1- 1- أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم فارقها واختلف في سبب الفراق فقال ابن إسحاق إنه وجد في كشحها بياضاً ففارقها فتزوجها بعده المهاجر بن أبي أمية.

2- 2- أميمة بنت النعمان بن شراحيل الجونية وهي التي قالت:"أعوذ بالله منك" ففارقها والله أعلم.

وأفضل زوجات النبي، صلى الله عليه وسلم، خديجة، وعائشة رضي الله عنهما، ولكل منهما مزية على الأخرى، فلخديجة في أول الإسلام ما ليس لعائشة من السبق والمؤازرة، والنصرة، ولعائشة في آخر الأمر ما ليس لخديجة من نشر العلم، ونفع الأمة، وقد برأها الله مما رماها به أهل النفاق من الإفك في سورة النور.

قذف أمهات المؤمنين

قذف عائشة بما برأها الله منه كفر، لأنه تكذيب للقرآن وفي قذف غيرها من أمهات المؤمنين قولان لأهل العلم: أصحهما أنه كفر، لأنه قدح في النبي، صلى الله عليه وسلم، فإن الخبيثات للخبيثين.

معاوية بن أبي سفيان

هو أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، ولد قبل البعثة بخمس سنين، وأسلم عام الفتح وقيل: أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه ولاه عمر الشام واستمر عليه، وتسمى بالخلافة بعد الحكمين عام 37هـ واجتمع الناس عليه بعد تنازل الحسن بن علي سنة 41هـ كان يكتب للنبي، صلى الله عليه وسلم، ومن جملة كتاب الوحي، توفي في رجب سنة 60هـ عن 78سنة، وإنما ذكره المؤلف وأثنى عليه للرد على الروافض الذين يسبونه ويقدحون فيه، وسماه خال المؤمنين لأنه أخو أم حبيبة إحدى أمهات المؤمنين وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة ص 199 ج2 نزاعاً

بين العلماء هل يقـال لإخـوة أمهـات المؤمـنين : أخـوال المؤمنين أم لا؟

الخلافة

الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تـولي تدبير أمور المسـلمين بحيث يكـون هـو المسـؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية، لأن أمور الناس لا تقـوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفـة السـابق، كمـا في خلافـة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد سواء كانوا معينين من الخليفة السـابق كمـا في خلافـة عثمـان رضـي اللـه عنه، فإنها باجتماع من أهل الحـل والعقـد المعيـنين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما في خلافة أبي بكـر رضـي اللـه عنـه على أحـد الأقـوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة كمـا في خلافـة عبـدالملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له.

حكم طاعة الخليفة

طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غـير معصية الله لقوله تعالى:]يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم[([1][1]).

ولقوله، صلى اللـه عليـه وسـلم: "السـمع والطاعـة على المسلم فيما أحب وكره، مـالم يـؤمر بمعصـية فـإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". متفق عليه.

وسواء كان الإمـام بـراً وهـو القـائم بـأمر اللـه فعلاً وتركـاً، أو فـاجراً وهـو الفاسـق لقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إلا من ولي عليــه وال فــرآه يــأتي شــيئاً من معصية الله فليكره ما يـأتي من معصـية اللـه ولا يـنزعن يداً من طاعة". رواه مسلم.

والحج والجهـاد مـع الأئمـة ماضـيان نافـذان، وصـلاة الجمعة خلفهم جـائزة سـواء كـانوا أبـراراً أو فجـاراً، لأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصـا المسـلمين والتمـرد عليهم.

والحــديث الــذي ذكــره المؤلــف "ثلاث من أصــل الإيمان..." إلخ ضعيف كما رمز له السيوطي في الجـامع الصـغير، وفيـه راو قـال المـزي :إنـه مجهـول. وقـال المنذري في مختصر أبي داود : شبه مجهول.

والثلاث الخصـال المـذكورة فيـه هي: "الكـف عمن قــال: لا إلــه إلا اللــه" والثانيــة: "الجهــاد مــاض" إلخ. والثالثة: "الإيمان بالأقدار".

والخروج على الإمام محرم لقول عبادة بن الصـامت رضي الله عنه: "بايعنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعسـرنا، ويسـرنا، وأثـره :علينـا، وأن لا ننـازع الأمـر أهلـه، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان". متفق عليه.

وقال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "يكـون عليكم أمـراء تعرفون وتنكرون فمن أنكـر فقـد بـرئ، ومن كـره فقـد سلم، ولكن من رضي وتابع" قالوا: أفلا نقـاتلهم؟ قـال: "لا ماصلوا لا ما صلوا. أي من كره بقلبـه وأنكـر بقلبـه". رواه مسلم.

---

1 ([1]?) سورة النساء، الآية:59

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح، لأن النبي، صلى الله عليه وسلم ، لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواح كما في حديث عبادة.

هجران أهل البدع

الهجران مصدر هجر وهو لغة: الترك.

والمراد بهجران أهل البدع: الابتعاد عنهم، وترك محبتهم، وموالاتهم، والسلام عليهم، وزيارتهم، وعيادتهم، ونحو ذلك.

وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى:]لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله[(1). ولأن النبي، صلى الله عليه وسلم ، هجر كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا عن غزوة تبوك.

لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك، وربما يكون ذلك مطلوباً لقوله تعالى:]ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن[(2). وهذا قد يكون بالمجالسة، والمشافهة، وقد يكون بالمراسلة، والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع: ترك النظر في كتبهم خوفاً من الفتنة بها، أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب لقوله صلى الله عليه وسلم ، في الدجال: "من سمع به فلينأ عنه فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات". رواه أبو داود قال الألباني: وإسناده صحيح.

لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به وكان قادراً على الرد

---

(1) سورة المجادلة، الآية: 22.

(2) سورة النحل، الآية: 125.

عليهم، بل ربما كان واجباً، لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

الجدال والخصام في الدين

الجدال: مصدر جادل، والجدل منازعة الخصم للتغلب عليه، وفي القاموس الجدل: اللدد في الخصومة، والخصام: المجادلة فهما بمعنى واحد.

وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل وهذا مأمور به إما وجوباً، أو استحباباً بحسب الحال لقوله تعالى:]ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن[[3].

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت، أو الانتصار للنفس، أو للباطل فهذا قبيح منهي عنه لقوله تعالى:]ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا[[4]. وقوله:]وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب[[5].

علامة أهل البدع وذكر بعض طوائفهم:

لأهل البدع علامات منها:

1- 1- أنهم يتصفون بغير الإسلام، والسنة بما يحدثونه من البدع القولية، والفعلية، والعقيدية.

2- 2- أنهم يتعصبون لآرائهم، فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم.

3- 3- أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين.

ومن طوائفهم:

1- 1- الرافضية: وهم الذين يغلون في آل البيت ويكفرون من عداهم من الصحابة، أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليّاً إله ومنهم دون ذلك.

وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبدالله بن سبأ :أنت الإله فأمر علي ـ

---

(3) سورة النحل، الآية: 125.

(4) سورة غافر، الآية: 4.

(5) سورة غافر، الآية: 5.

رضي الله عنه ــ بـإحراقهم وهـرب زعيمهم عبداللـه بن سبأ إلى المدائن.
ومذهبهم في الصـفات مختلـف: فمنهم المشـبه، ومنهم المعطل، ومنهم المعتدل.
وسموا رافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فرفضوه وأبعدوا عنه.
وسموا أنفسهم شيعة لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة.
2- 2- الجهميـة: نسـبة إلى الجهم بن صـفوان الـذي قتله سالم أو سلم بن أحوز سنة 121هـ.
مـذهبهم في الصـفات التعطيـل، والنفي، وفي القـدر القـول بـالجبر، وفي الإيمـان القـول بالإرجـاء وهـو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القـول والعمـل من الإيمان ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة، جبرية، مرجئة وهم فرق كثيرة.
3- 3- الخوارج: وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم.
مذهبهم التبرؤ من عثمان، وعلي، والخـروج على الإمـام إذا خـالف السـنة وتكفـير فاعـل الكبـيرة، وتخليـده في النار، وهم فرق عديدة.
4- 4- القدرية: وهم الذين يقولـون بنفي القـدر عن أفعـال العبـد، وأن للعبـد إرادة وقـدرة مسـتقلتين عن إرادة اللـه وقدرتـه، وأول من أظهـر القـول بـه معبـد الجهـني في أواخـر عصـر الصـحابة تلقـاه عن رجـل مجوسي في البصرة.
وهم فرقتان غلاة، وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم اللـه، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبـد وهـؤلاء انقرضـوا أو كـادوا. وغـير الغلاة يؤمنـون بـأن اللـه عـالم بأفعـال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم.
5- 5- المرجئة: وهم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان أي تأخيره عنه فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان مجرد الإقرار بالقلب فالفاسـق عنـدهم مـؤمن

كامل الإيمان، وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما تــرك من الطاعــات، وإذا حكمنــا بكفــر من تــرك بعض شـرائع الـدين فـذلك لعـدم الإقـرار بقلبـه لا لـترك هـذا العمل، وهذا مـذهب الجهميـة وهـو مـع مـذهب الخـوارج على طرفي نقيض.

6- 6- المعتزلة: أتباع واصـل بن عطـاء الـذي اعـتزل مجلس الحسـن البصـري، وقـرر أن الفاسـق في منزلـة بين منزلـتين لا مـؤمن ولا كـافر، وهـو مخلـد في النـار، وتابعه في ذلك عمرو ابن عبيد.

ومذهبهم في الصفات التعطيـل كالجهميـة، وفي القـدر قدرية ينكـرون تعلـق قضـاء اللـه وقـدره بأفعـال العبـد، وفي فاعــل الكبــيرة أنــه مخلــد في النــار وخــارج من الإيمـان في منزلـة بين منزلـتين الإيمـان والكفـر، وهم عكس الجهمية في هذين الأصلين.

7- 7- الكرامية: أتباع محمد بن كرام المتـوفى سـنة 255هـــ يميلــون إلى التشــبيه، والقــول بالإرجــاء وهم طوائف متعددة.

8- 8- السـالمية: أتبـاع رجـل يقـال لـه: ابن سـالم يقولون بالتشبيه.

وهــذه هي الطوائــف الــتي ذكرهــا المؤلــف ثم قــال: ونظـائرهم مثـل الأشـعرية أتبـاع أبي الحسـن علي بن إســماعيل الأشــعري كــان في أول أمــره يميــل إلى الاعتزال حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم أعلن توبته من ذلك، وبين بطلان مذهب المعتزلة وتمسك بمـذهب أهـل السـنة رحمـه اللـه، أمـا من ينتسـبون إليـه فبقـوا على مـذهب خـاص يعـرف بمـذهب الأشـعرية لا يثبتـون من الصفات إلا سبعاً زعموا أن العقل دل عيها ويؤولون مــا عداها وهي المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذاك السمع والبصر

ولهم بدع أخرى في معنى الكلام، والقدر وغير ذلك.

الخلاف في الفروع

الفروع جمع فرع وهو لغة ما بني على غيره.

واصطلاحاً: ما لا يتعلق بالعقائد كمسائل الطهارة، والصلاة ونحوها.

والاختلاف فيها ليس بمذموم حيث كان صادراً عن نية خالصة واجتهاد، لا عن هوى وتعصب، لأنه وقع في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم ، ولم ينكره حيث قال في غزوة بني قريظة: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة". فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة وصلى بعضهم حين خافوا خروج الوقت ولم ينكر النبي، صلى الله عليه وسلم ، على واحد منهم. رواه البخاري. ولأن الاختلاف فيها موجود في الصحابة وهم خير القرون، ولأنه لا يورث عداوة، ولا بغضاء، ولا تفرق كلمة بخلاف الاختلاف في الأصول.

وقول المؤلف: "المختلفون فيه محمودون في اختلافهم" ليس ثناء على الاختلاف فإن الاتفاق خير منه، وإنما المراد به نفي الذم عنه، وأن كل واحد محمود على ما قال، لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده واتباع ما ظهر له من الحق وإن كان قد لا يصيب الحق، وقوله: "إن الاختلاف في الفروع رحمة وإن اختلافهم رحمة واسعة"، أي داخل في رحمة الله وعفوه حيث لم يكلفهم أكثر مما يستطيعون ولم يلزمهم بأكثر مما ظهر لهم، فليس عليهم حرج في هذا الاختلاف، بل هم فيه داخلون تحت رحمة الله وعفوه، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد.

الإجماع وحكمه

الإجماع لغة: العزم والاتفاق.

واصطلاحاً: اتفاق العلماء المجتهدين من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم ، على حكم شرعي بعد النبي، صلى الله عليه وسلم.

وهو حجة لقوله تعالى:]فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول[[1]. وقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع أمتي على ضلالة". رواه الترمذي.

---

[1] سورة النساء، الآية: 59 .

التقليد

التقليد لغة: وضع القلادة في العنق.

واصطلاحاً: اتباع قول الغير بلا حجة.

وهوجـــائز لمن لا يصـــل إلى العلم بنفســـه لقولـــه تعالى:]فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون[[1].

والمذاهب المشهورة أربعة:

المذهب الحنفي: وإمامه أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام أهل العراق، ولد سنة 80هـ وتوفي سنة 150هـ.

المالكي: وإمامه أبو عبدالله مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، ولد سنة 93هـ وتوفي سنة 179هـ.

الشـافعي: وإمامـه أبـو عبداللـه محمـد بن إدريس الشافعي، ولد سنة 150هـ وتوفي سنة 204هـ.

الحنبلي: وإمامـه أبـو عبداللـه أحمـد بن محمـد بن حنبل، ولد سنة 164هـ وتوفي سنة 241هـ.

وهناك مذاهب أخـرى كمـذهب الظاهريـة، والزيديـة، والسفيانية، وغيرهم، وكل يؤخذ من قوله ما كان صواباً، ويترك من قوله مـا كـان خطـأ، ولا عصـمة إلا في كتـاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يجعلنـا من المتمسـكين بكتابـه وسـنة رسـوله، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، ظـاهراً وباطنـاً، وأن يتوفانا على ذلك، وأن يتولانا في الـدنيا والآخـرة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنـه هـو الوهاب.

والحمد لله كثيراً، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكـرم وجهـه، عـز جلالـه، والحمـد للـه الـذي بنعمتـه تتم الصـالحات، وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمـد وآلـه وصحبه.

تم في عصر الجمعة الموافق 10/1/1392هـ.

بقلم مؤلفه

الفقير إلى الله

محمد الصالح العثيمين

---

[1] سورة النحل، الآية: 43 .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن (علم التوحيد) أشرف العلوم، وأجلها قدراً، وأوجبها مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده.

ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه.

ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال الله تعالى:]وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون[[1].

وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بها له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى:]شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم[[2].

ولما كان هذا شأن التوحيد، كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً، وتعليماً، وتدبراً، واعتقاداً، ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان، وتسليم يسعد بثمراته، ونتائجه.

الدين الإسلامي:

الدين الإسلامي: (هو الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ختم الله به الأديان وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة، ورضيه لهم ديناً، فلا يقبل من

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 25.

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

أحد ديناً سواه، قال الله تعالى:]ما كـان محمـد أبـا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[[3].
وقــال تعــالى:]اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً[[4].
وقال تعالى:]إن الدين عند الله الإسلام[[5].
وقال تعالى:]ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبـل منـه وهو في الآخرة من الخاسرين[[6].
وقد فرض الله تعـالى على جميـع النـاس أن يـدينوا للـه تعـالى بـه فقـال مخاطبـاً رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم:]قل يا أيها النـاس إني رسـول اللـه إليكم جميعـاً الـذي لـه ملـك السـموات والأرض لا إلـه إلا هـو يحـيي ويميت فـآمنوا باللـه ورسـوله النـبي الأمي الـذي يـؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون[[1].
وفي صـحيح مسـلم عن أبي هريـرة رضـي اللـه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :]والذي نفس محمد بيـده لا يسـمع بي أحـد من هـذه الأمـة يهـودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالـذي أرسـلت بـه إلا كـان من أصحاب النار".
والإيمان به:(تصديق ما جاء به مع القبول، والإذعان، لا مجـرد التصـديق) . ولهـذا لم يكن أبـو طـالب مؤمنـاً بالرسول صلى الله عليه وسلم مع تصديقه لما جـاء بـه ، وشهادته بأنه من خير الأديان.
والـدين الإسـلامي: متضـمن لجميـع المصـالح الـتي تضمنتها الأديان السابقة، متميز عليها بكونه صالحاً لكـل زمان، ومكان وأمة، قال الله تعالى مخاطبـاً رسـوله (ﷺ):]وأنزلنـا إليـك الكتـاب بـالحق مصـدقاً لمـا بين يديـه من الكتاب ومهيمناً عليه[[2].

---

(3) سورة الأحزاب، الآية: 40.
(4) سورة المائدة، الآية: 3.
(5) سورة آل عمران: الآية 19.
(6) سورة آل عمران: الآية 85.
(1) سورة الأعراف، الآية: 158.
(2) سورة المائدة، الآية: 48.

ومعنى كونه صالحاً لكل زمان، ومكان، وأمة: أن التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان، أو مكان، بل هو صلاحها، وليس معنى ذلك أنه خاضع لكل زمان ومكان وأمة كما يريده بعض الناس.

والدين الإسلامي: هو دين الحق الذي ضمن الله تعالى لمن تمسك به حق التمسك أن ينصره، ويظهره على من سواه، قال الله تعالى:]هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[[3].

وقال تعالى:]وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون[[4].

والدين الإسلامي: عقيدة، وشريعة، فهو كامل في عقيدته، وشرائعه:

1- 1- يأمر بتوحيد الله تعالى، وينهى عن الشرك.

2- 2- يأمر بالصدق، وينهى عن الكذب.

---

[3] سورة التوبة، الآية: 33.

[4] سورة النور، الآية: 55.

3- 3- يأمر بالعدل[1]، وينهى عن الجور.
4- 4- يأمر بالأمانة، وينهى عن الخيانة.
5- 5- يأمر بالوفاء، وينهى عن الغدر.
6- 6- يأمر ببر الوالدين، وينهى عن العقوق.
7- 7- يأمر بصلة الأرحام وهم الأقـارب، وينهى عن القطيعة.
8- 8- يأمر بحسن الجوار، وينهى عن سيئه.
وعمـوم القـول أن (الإسـلام) يـأمر بكـل خلـق فاضـل، وينهى عن كل خلق سافل.
ويأمر بكل عمل صالح، وينهى عن كل عمل سيئ.
قال ال له تعالى:]إن الله يأمر بالعدل والإحسـان وإيتـاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكـر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون[[2].

---

(1) العـدل: هو المسـاواة بين المتمـاثلات والتفريق بين المختلفـات، وليس العـدل المساواة المطلقة كما ينطق به بعض الناس حين يقول: دين الإسلام دين المسـاواة ويطلق فإن المساواة بين المختلفات جور لا يأتي به الإسلام ولا يحمد فاعله.
(2) سورة النحل، الآية: 90.

أركان الإسلام

أركـان الإسـلام: أسسـه الـتي ينبـني عليهـا، وهي ـ خمسة ـ مذكورة فيما رواه ـ ابن عمر رضي الله عنهمـا ـ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "بني الإسلام على خمســة: على أن يوحـــد اللـــه (وفي روايـــة على خمس): شــهادة أن لا إلــه إلا اللــه، وأن محمــداً عبــده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـيام رمضـان، والحج". فقـال رجـل: الحج، وصـيام رمضـان، قـال: لا ، صـيام رمضـان، والحج. هكـذا سـمعته من رسـول اللـه (صلى الله عليه وسلم). متفق عليه. واللفظ لمسلم.

1- 1- أما شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمـداً عبـده ورسوله فهي: الاعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان بهذه الشهادة، كأنه بجزمه في ذلـك مشـاهد لـه، وإنمـا جعلت هذه الشهادة ركناً واحداً مع تعدد المشهود به:

إما لأن الرسول صـلى اللـه عليـه وسـلم مبلـغ عن اللـع تعالى ،فالشهادة له بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله وإما لأن هاتين الشهادتين أساس صـحة الأعمــال وقبولهــا، إذ لا صــحة لعمــل، ولا قبــول، إلا بالإخلاص لله تعالى، والمتابعة لرسوله (صلى اللـه عليـه وسـلم)، فبـالإخلاص تتحقـق شـهادة أن لا إلـه إلا اللـه، وبالمتابعة لرسول الله تتحقـق شـهادة أن محمـداً عبـده ورسوله.

ومن ثمـرات الشـهادة العظيمـة: تحريـر القلب والنفس من الرق للمخلوقين، والاتباع لغير المرسلين.

2- 2- وأمـا إقـام الصـلاة: فهـو التعبـد للـه تعـالى بفعلهــا على وجــه الاســتقامة والتمــام في أوقاتهــا وهيئاتها.

ومن ثمراته: انشراح الصدر، وقـرة العين، والانزجـار عن الفحشاء والمنكر.

3- 3- وأما إيتاء الزكاة: فهو التعبد لله تعالى ببـذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة.

ومن ثمراته: تطهير النفس من الخلـق الرذيـل (البخـل)، وسد حاجة الإسلام والمسلمين.

4- 4- وأما صـوم رمضـان: فهـو التعبـد للـه تعـالى بالإمساك عن المفطرات نهار رمضان.
ومن ثمراته: تـرويض النفس عن تـرك المحبوبـات طلبـاً لمرضاة الله عز وجل.
5- 5- وأما حج البيت: فهو التعبد لله تعـالى بقصـد البيت الحرام للقيام بشعائر الحج.
ومن ثمراته: ترويض النفس على بـذل المجهـود المـالي والبدني في طاعة الله تعالى، ولهذا كان الحج نوعـاً من الجهاد في سبيل الله تعالى.
وهذه الثمرات الـتي ذكرناهـا لهـذه الأسـس ومـا لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية نقيـة، تـدين للـه دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سـواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصـلح أحـوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صـلاح أحوالهـا بقـدر ما فاتها من صلاح أمور دينها.
ومن أراد استبانة ذلك فليقرأ قولـه تعـالى:]ولـو أن أهـل القـرى آمنـوا واتقـوا لفتحنـا عليهم بركـات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون . أفأمن أهل القرى أن يـأتيهم بأسـنا بياتـاً وهم نـائمون أَوَأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضـحى وهم يلعبـون . أفـأمنوا مكـر اللـه فلا يـأمن مكـر اللـه إلا القـوم الخاسـرون[[1]. ولينظـر في تـاريخ من سـبق، فـإن في التاريخ عـبرة لأولي الألبـاب، وبصـيرة لمن لم يحـل دون قلبه حجاب. والله المستعان.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 96-99.

أسس العقيدة الإسلامية

الدين الإسلامي ـ كما سبق ــ عقيدة وشريعة، وقد أشرنا إلى شيء من شرائعه وذكرنا أركانه التي تعتبر أساساً لشرائعه.

-أما "العقيدة الإسلامية" فأسسها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقد دل على هذه الأسس كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم).

ففي كتاب الله تعالى يقول الله :]ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين[[1].

ويقول في القدر:]إنا كل شيء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر[[2].

وفي سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) مجيباً لجبريل حين سأله عن الإيمان: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره". رواه مسلم.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 177.

[2] سورة القمر، الآيتان : 49-50

الإيمان بالله تعالى

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

1- 1- أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو بمجسانه". رواه البخاري.

2- 2- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال:]أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون[[1] يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع ـ جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه رسول الله (صلى الله عليه

---

[1] سورة الطور، الآية: 35.

وسلم) يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات:]أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون[[2] وكان ـ جبير ـ يؤمئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه ـ البخاري ـ مفرقاً.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملىء بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

3- 3- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وماجاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

4- 4- وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين: أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى:]ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له[[1] وقال تعالى:]إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم[[2] وفي صحيح البخاري عن ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه: "أن أعرابياً دخل يوم الجمعة والنبي (صلى الله عليه وسلم) يخطب، فقال: "يا رسول الله، هلك المال ، وجاع العيال، فادع الله لنا" فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر

---

[2] سورة الطور، الآيات: 35-37 .

[1] سورة الأنبياء، الآية: 76 .

[2] سورة الأنفال، الآية: 9.

يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: "يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا " فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا " فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت".

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن (آيات الأنبياء) التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى، تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك آية موسى (صلى الله عليه وسلم) حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى:]فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم[[1] .

ومثال ثان : (آية عيسى صلى الله عليه وسلم) حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذا الله ، قال الله تعالى عنه :] وأحيي الموتى بإذاً الله[[1] ، وقال :]وإذ تخرج الموتى بإذاي[[2].

ومثال ثالث (لمحمد صلى الله عليه وسلم) حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى:]اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[[3].

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته:

[أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين].

---

[1] سورة الشعراء، الآية: 63 .

[1] سورة آل عمران، الآية: 49.

[2] سورة المائدة، الآية: 110.

[3] سورة القمر، الآيتان: 1-2.

والرب: من له الخلق، والملك، والأمر، فلا خالق إلا اللــه، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال تعالى:]ألا له الخلـق والأمر[[4] وقال:]ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير[[5].

ولم يعلم أن أحــداً من الخلــق أنكــر ربوبيــة اللــه سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقـد بمـا يقـول، كمـا حصــل من ـــ فرعــون ـــ حين قــال لقومــه:]أنــا ربكم الأعلى[[6] وقــال:]يــا أيهــا الملأ مــا علمت لكم من إلــه غـيري[[7] لكن ذلـك ليس عن عقيـدة. قـال اللـه تعـالى:]وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمـاً وعلـواً[[8] وقـال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه:]لقد علمت ما أنزل هـؤلاء إلا رب السـموات والأرض بصـائر وإني لأظنـك يـا فرعون مثبوراً[[9].

ولهذا كان المشركون يقـرون بربوبيـة اللـه تعـالى ، مـع إشراكهم به في الألوهيـة ، قـال اللـه تعـالى:]قـل لمن الأرض ومن فيهـا إن كنتم تعلمـون .سـيقولون للـه قـل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العــرش العظيم .سـيقولون للـه قـل أفلا تتقـون . قـل من بيـده ملكـوت كـل شـيء وهـو يجـير ولا يجـار عليـه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل فأنى تسحرون[[1].

وقــال اللــه تعــالى:]ولئن ســألتهم من خلـق السـموات والأرض ليقــولن خلقهن العزيــز العليم[[2] وقــال:]ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون[[3].

وأمر الرب سبحانه شـامل للأمـر الكـوني والشـرعي فكما أنه مدبر الكـون القاضـي فيـه بمـا يريـد حسـب مـا

---

[4] سورة الأعراف، الآية: 54.

[5] سورة فاطر، الآية: 13.

[6] سورة النازعات، الآية: 24.

[7] سورة القصص، الآية: 38.

[8] سورة النمل، الآية: 14.

[9] سورة الإسراء، الآية: 102.

[1] سورة المؤمنون، الآيتان: 84-89.

[2] سورة الزخرف، الآية: 9 .

[3] سورة الزخرف، الآية: 87.

تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحـاكم فيـه يشـرع العبـادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مــع الله تعالى مشرعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

أي (بأنـه وحـده الإلـه الحـق لا شـريك لـه) و "الإلـه" بمعنى "المألوه" أي "المعبود" حباً وتعظيماً، وقـال اللـه تعالى:]وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الـرحمن الـرحيم[[4] وقال تعالى:]شهد الله أنه لا إله إلا هـو والملائكـة وأولـو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم[[5]. وكـل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلـة، قـال الله تعالى:]ذلك بأن اللـه هـو الحـق وأن مـا يـدعون من دونه هو الباطل وأن الله هـو العلي الكبـير[[6] وتسـميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قـال اللـه تعـالى في (اللات والعـــزى ومنـــاة):]إن هي إلا أســـماء ســـميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سـلطان[[7] وقـال عن هـود: إنه قال لقومه :]أتجادلونني في أسـماء سـميتموها أنتم وآبـاؤكم مـا أنـزل اللـه بهـا من سـلطان[[8]. وقـال عن يوسف إنه قال لصاحبي السجن]أأربـاب متفرقـون خـير أم الله الواحـد القهـار . مـا تعبـدون من دونـه إلا أسـماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سـلطان[[9] ولهـذا كـانت الرسـل عليهم والصـلاة والسـلام يقولـون لأقوامهم:]اعبدوا الله ما لكم من إله غيره[[10] ولكن أبى ذلك المشركون، واتخـذوا من دون اللـه آلهـة، يعبـدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

([4]) سورة البقرة، ا ([10]) ســورة الأعــراف،

([5]) سورة آل عمران، الآية: 18.

([6]) سورة الحج، الآية: 62.

([7]) سورة النجم، الآية: 23.

([8]) سورة الأعراف، الآية: 71.

([9]) سورة يوسف، الآيتان:39- 40.

وقـد أبطـل اللـه تعـالى اتخـاذ المشـركين هـذه الآلهـة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخـذوها شـيء من خصائص الألوهيـة، فهي مخلوقـة لا تخلـق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً ، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكـون شـيئاً من السـموات ولا يشـاركون فيه.

قال الله تعالى:]واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقـون شـيئاً وهم يخلقـون ولا يملكـون لأنفسـهم ضـراً ولا نفعـاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً[[1].

وقـال تعـالى:]قـل ادعـوا الـذين زعمتم من دون اللـه لا يملكـون مثقـال ذرة في السـموات ولا في الأرض ومـا لهم فيهما من شرك وما لـه منهم من ظهـير. ولا تنفـع الشفاعة عنده إلا لمن إذاً له[[2]. وقـال:]أيشـركون مـالا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ولا يسـتطيعون لهم نصـراً ولا أنفسهم ينصرون[[3].

وإذا كانت هـذه حـال تلـك الآلهـة فـإن اتخاذهـا آلهـة من أسفه السفه وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بـأن اللـه تعالى وحده الرب الخالق الذي بيـده ملكـوت كـل شـيء، وهـو يجـير ولا يجـار عليـه، وهـذا يسـتلزم أن يوحـدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية كما قـال تعـالى:]يـا أيهـا الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقـون . الـذي جعـل لكم الأرض فراشـاً والسـماء بنـاءً وأنزل من السماء ماء فأخرج بـه من الثمـرات رزقـاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون[[4].

وقـال:]ولئن سـألتهم من خلقهم ليقـولن اللـه فـأنى يؤفكون[[5].

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 3.

[2] سورة سبأ، الآيتان: 22-23.

[3] سورة الأعراف، الآيتان: 191-192.

[4] سورة البقرة، الآية: 21-22.

[5] سورة الزخرف، الآية: 87.

وقال:]قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملـك السـمع والأبصـار ومن يخـرج الحي من الميت ويخـرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسـيقولون اللـه فقـل أفلا تتقون. فذلكم الله ربكم الحـق فمـاذا بعـد الحـق إلا الضلال فأنى تصرفون[[6].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته أي (إثبـات مـا أثبتـه الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسـوله (صـلى اللـه عليـه وسلم) من الأسماء والصفات على الوجـه اللائـق بـه من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل) قال اللـه تعالى:]ولله الأسماء الحسنى فـادعوه بهـا وذروا الـذين يلحـدون في أسـمائه سـيجزون مـا كـانوا يعملـون[[1].

وقـال:]ولـه المثـل الأعلى في السـموات والأرض وهـو العزيز الحكيم[.[2][1]

وقال:]ليس كمثله شي وهو السميع البصير[[3] .

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطلة) الذين أنكروا الأسماء، والصـفات، أو بعضـها، زاعمين أن إثباتهـا للـه يسـتلزم التشـبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتنـاقض في كلام اللـه سـبحانه، وذلـك أن اللـه تعـالى أثبت لنفسـه الأسـماء، والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كـان إثباتهـا يسـتلزم التشـبيه لـزم التنـاقض في كلام اللـه وتكـذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صــفة أن يكونا متماثلين، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلا منهماً إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم من ذلـك أن يتمـاثلا في المعـاني الإنسـانية، والسـمع، والبصـر، والكلام، وتـرى الحيوانـات لهـا أيـد وأرجـل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيـديها وأرجلهـا، وأعينهـا متماثلة.

---

[6] سورة يونس، الآيتان: 31-32.

2 [1] سورة الأعراف ، الآية:180 .

[2]سورة الروم ، الآية : 27 .

[3] سورة الشورى ، الآية : 11 .

فإذا ظهـر التبـاين بين المخلوقـات فيمـا تتفـق فيـه من أسماء، أو صفات، فالتبـاين بين الخـالق والمخلـوق أبين وأعظم.
الطائفــة الثانيــة: (المشــبهة) الــذين أثبتــوا الأســماء والصفات مع تشبيه اللـه تعـالى بخلقـه زاعمين أن هـذا مقتضى دلالة النصوص، لأن اللـه تعـالى يخـاطب العبـاد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:
الأول: أن مشابهة الله تعـالى لخلقـه أمـر باطـل يبطلـه العقـل، والشـرع، ولا يمكن أن يكـون مقتضـى نصـوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.
الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما اسـتأثر اللـه تعـالى بعلمـه فيمـا يتعلـق بذاتـه، وصفاته.
فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السـمع معلـوم من حيث أصـل المعـنى (وهـو إدراك الأصـوات) لكن حقيقـة ذلـك بالنسـبة إلى سـمع اللـه تعـالى غـير معلومـة، لأن حقيقـة السـمع تتبـاين حـتى في المخلوقـات، فالتبـاين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.
وإذا أخبر الله تعالى عن نفسـه أنـه اسـتوى على عرشـه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقـة الاستواء التي هو عليها غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشـه، لأن حقيقـة الاسـتواء تتبـاين في حـق المخلـــوق، فليس الاســـتواء على كرســـي مســـتقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفـور، فـإذا تبـاينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخـالق والمخلـوق أبين وأعظم.
والإيمـان باللـه تعـالى على مـا وصـفنا يثمـر للمؤمـنين ثمرات جليلة منها:
الأولى: تحقيق توحيـد اللـه تعـالى بحيث لا يتعلـق بغـيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.
الثانيـة: كمـال محبـة اللـه تعـالى، وتعظيمـه بمقتضـى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب مـا نهى عنه.

الإيمان بالملائكة

الملائكة: (عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه).

قال الله تعالى:]ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون .يسبحون الليل والنهار لا يفترون[[1].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رفع له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله تعالى إلى ـ مريم ـ فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي (صلى الله عليه وسلم) فأنطلق. ثم قال (صلى الله عليه وسلم) "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم". رواه مسلم.

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

---

[1] سورة الأنبياء، الآيتان: 19-20 .

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومـون بهـا بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد لـه ليلاً ونهـاراً بـدون ملل ولا فتور.
وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.
مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله اللـه بـه إلى الأنبياء والرسل.
ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.
ومثل إسـرافيل: الموكـل بـالنفخ في الصـور عنـد قيـام الساعة وبعث الخلق.
ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.
ومثل: مالك الموكل بالنار وهو خازن النار.
ومثـل: الملائكـة المـوكلين بالأجنـة في الأرحـام إذا تم للإنسان أربعة اشهر في بطن أمه، بعث اللـه إليـه ملكـاً وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.
ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتهـا لكل شـخص، وهمـا ملكـان: أحـدهما عن اليمين والثـاني عن الشمال.
ومثـل: الملائكـة المـوكلين بسـؤال الميت إذا وضـع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.
والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها :
الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فـإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.
الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمـالهم، وغير ذلك من مصالحهم.
الثالثة: محبة الملائكة على مـا قـاموا بـه من عبـادة اللـه تعالى.
وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجساماً، وقالوا : إنهم عبـارة عن قـوى الخـير الكامنـة في المخلوقـات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله (صـلى اللـه عليه وسلم)، وإجماع المسلمين.
قـال اللـه تعـالى:]الحمـد للـه فـاطر السـموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع[[1].

---

[1] سورة فاطر، الآية: 1 .

وقال:]ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم[[2].
وقال:]ولوترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم[[3].
وقال:]حتى إذا فزع عن قلـوبهم قـالوا مـاذا قـال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير[[1].
وقال في أهل الجنة:]والملائكة يـدخلون عليهم من كـل باب .سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[[2].
وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي اللـه عنـه عن النبي (صلى الله عليـه وسـلم) قـال: "إذا أحب اللـه العبـد نـادى جبريـل إن اللـه يحب فلانـاً فأحبـه، فيحبـه جبريل، فينـادي جبريـل في أهـل السـماء، إن اللـه يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السـماء، ثم يوضـع لـه القبـول في الأرض[.
وفيه أيضاً عنه قال: قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إذا كـان يـوم الجمعـة كـان على كـل بـاب من أبـواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر).
وهذه النصوص صـريحة في أن الملائكـة أجسـام لا قـوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصـوص أجمع المسلمون.

---

(2) سورة الأنفال، الآية: 50.
(3) سورة الأنعام، الآية: 93.
(1) سورة سبأ، الآية: 23.
(2) سورة الرعد، الآيتان: 23-24.

الإيمان بالكتب

الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: [الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة].

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً .

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، (والتوراة) التي أنزلت على موسى صلى الله عليه وسلم (والإنجيل) الذي أنزل على عيسى صلى الله عليه وسلم ، (والزبور) الذي أوتيه داود صلى الله عليه وسلم وأما مالم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام مالم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى:]وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[[1] أي (حاكماً عليه)، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى:]لكل جعلنا منكم شرعة منهاجاً[[2].

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

---

[1] سورة المائدة، الآية: 48.

[2] سورة المائدة، الآية: 48.

الإيمان بالرسل

الرسل: جمع (رسول) بمعنى (مرسل) أي (مبعوث) بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى:]إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده[[1].

وفي صحيح البخاري عن ـ أنس بن مالك ـ رضي الله عنه في (حديث الشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم (ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله وذكر تمام الحديث).

وقال الله في محمد صلى الله عليه وسلم:]ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين[[2].

ولم تخل أمة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه.

أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ليجددها، قال الله تعالى:]ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت[[3].

وقال تعالى:]وإن من أمة إلا خلا فيها نذير[[4].وقال تعالى:]إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا[[5].

- **- والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وأعظمهم جاهاً عند الله:]قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء**

---

[1] سورة النساء، الآية: 163.

[2] سورة الأحزاب، الآية: 40.

[3] سورة النحل، الآية: 36.

[4] سورة فاطر، الآية: 24.

[5] سورة المائدة، الآية: 44.

الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون[(6).
وقال تعالى:]قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً[(7).
وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى:]والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين[(1).
وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني".
وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح صلى الله عليه وسلم :] إنه كان عبداً شكوراً[(2).
وقال في محمد صلى الله عليه وسلم:]تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً[(3).
وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب (صلى الله عليهم وسلم):]واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار[(4).
وقال في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم :]إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل[(5).
والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:
الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال

---

(6) سورة الأعراف، الآية: 188.
(7) سورة الجن، الآيتان: 21-22.
(1) سورة الشعراء، الآيات: 79-81 .
(2) سورة الإسراء، الآية: 3.
(3) سورة الفرقان، الآية: 1.
(4) سورة ص، الآيات: 45-47.
(5) سورة الزخرف، الآية: 59.

الله تعالى:]كذبت قـوم نـوح المرسـلين[[6] فجعلهم اللـه مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسـول غـيره حين كذبوه، وعلى هذا فالنصـارى الـذين كـذبوا محمـداً صـلى الله عليـه وسـلم ولم يتبعـوه هم مكـذبون للمسـيح بن مـريم غـير متبعين لـه أيضـاً، لا سـيما وأنـه قـد بشـرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا معنى لبشـارتهم بـه إلا أنه رسول إليهم ينقذهم اللـه بـه من الضـلالة، ويهـديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسـمه مثـل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح (عليهم الصـلاة والسلام) وهـؤلاء الخمسـة هم أولـو العـزم من الرسـل، وقد ذكرهم اللـه تعـالى في موضـعين من القـرآن : في (سورة الأحزاب) في قوله:

]وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبـراهيم وموسى وعيسى بن مريم[[1] وفي (سورة الشورى) في قولـه:]شـرع لكم من الـدين مـا وصـى بـه نوحـاً والـذي أوحينا إليك وما وصينا به إبـراهيم وموسـى وعيسـى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه[[2].

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قـال اللـه تعالى:]ولقد أرسـلنا رسـلاً من قبلـك منهم من قصصـنا عليه ومنهم من لم نقصص عليك[[3].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابـع: العمـل بشـريعة من أرسـل إلينـا منهم، وهـو خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم المرسل إلى جميـع النـاس قـال اللـه تعـالى:]فلا وربـك لا يؤمنـون حـتى يحكمـوك فيمـا شـجر بينهم ثم لا يجـدوا في أنفسـهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً[[4].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

---

[6] سورة الشعراء، الآية: 105.

[1] سورة الأحزاب، الآية: 7 .

[2] سورة الشورى، الآية: 13.

[3] سورة غافر، الآية:78.

[4] سورة النساء، الآية: 65.

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.
الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.
الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.
وقد كذب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله:]وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً . قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً[(5) فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشراً لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا:]إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عن ما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذاً الله[(6).

---

(5) سورة الإسراء، الآيتان: 94-95.
(6) سورة إبراهيم، الآيتان: 10-11.

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: [يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء].

وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غير منتعلين ، عراة غير مستترين ، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى:]كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين[[1].

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى:]ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون[[2].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً". متفق عليه.

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى:]أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون[[3] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم:]إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد[[4].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازي عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى:]إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم[[5] وقال:]من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: 104.

[2] سورة المؤمنون، الآيتان: 15-16.

[3] سورة المؤمنون، الآية: 115.

[4] سورة القصص، الآية: 85 .

[5] سورة الغاشية، الآيتان: 25-26.

بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون[[6] **وقال:]ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين[**[7]**.**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ــ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ـ قال: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه[1] **ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى أنه قد هلك قال: قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق]هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين[** [1]**. متفق عليه.**

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم:"أن من هم بحسنة فعملها، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وأن من هم بسيئة فعملها، كتبها الله سيئة واحدة".

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاؤوا به، والعمل بما يجب العمل به منه وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونساءهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله:]فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين[[2]**.**

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق. فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم

---

[6] سورة الأنعام، الآية: 160.

[7] سورة الأنبياء، الآية: 47.

[1] كنفه: ستره.

[1] سورة هود ، الآية: 18 .

[2] سورة الأعراف، الآيتان: 6-7.

الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم "مالا عين رأت، ولا إذا سمعت، ولا خطر على قلب بشر". قال الله تعالى:]إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه[[3] وقال تعالى:]فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون[[4].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى:]واتقوا النار التي أعدت للكافرين[[5] وقال:]إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً[[6]. وقال تعالى:]إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً . خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً . يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا[[1].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(1) (أ) فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب[2]: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(2) (ب) عذاب القبر ونعيمه: فيكون عذاب القبر للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى:

---

[3] سورة البينة، الآيتان: 7-8.

[4] سورة السجدة، الآية: 17.

[5] سورة آل عمران، الآية: 131.

[6] سورة الكهف، الآية: 29.

[1] سورة الأحزاب، الآيات: 64-66 .

[2] أو للشك من الراوي كما في الصحيحين.

]ولـو تـرى إذ الظـالمون في غمـرات المـوت والملائكـة باسطوا أيـديهم أخرجـوا أنفسـكم اليـوم تجـزون عـذاب الهون بما كنتم تقولون على اللـه غـير الحـق وكنتم عن آياته تستكبرون[[3].

وقال تعالى في ــ آل فرعـون ــ:]النـار يعرضـون عليهـا غدوّاً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعـون أشـد العذاب[[4].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فلولا أن لا تـدافنوا لـدعوت الله أن يسـمعكم من عـذاب القـبر الـذي أسـمع منـه، ثم أقبل بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عـذاب النـار. قـالوا: نعـود باللـه من عـذاب النـار . فقـال : تعـوذوا باللـه من عذاب القبر. قالوا : نعـوذ باللـه من عـذاب القـبر. قـال: تعوذوا بالله من الفتن مـا ظهـر منهـا ومـا بطن. قـالوا: نعـوذ باللـه من الفتن مـا ظهـر منهـا ومـا بطن. قـال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا: نعوذ بالله من فتنــة الدجال".

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصـادقين قـال اللـه تعـالى:]إن الـذين قـالوا ربنـا اللـه ثم اسـتقاموا تتـنزل عليهم الملائكة أن لا تخـافوا ولا تحزنـوا وأبشـروا بالجنـة الـتي كنتم توعدون[[5].

وقـال تعـالى:]فلـولا إذا بلغت الحلقـوم . وأنتم حينئـذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلـولا إن كنتم غير مدينين . ترجعونها إن كنتم صادقين . فأمـا إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنــة نعيم[[6] إلى آخر السورة.

وعن البراء بن عازب ــ رضـي اللـه عنـه ــ أن النـبي صلى الله عليه وسلم قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قــبره: "ينــادي منــادٍ من الســماء أن صــدق عبــدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابـاً

---

[3] سورة الأنعام، الآية: 93 .

[4] سورة غافر، الآية: 46.

[5] سورة فصلت، الآية: 30 .

[6] سورة الواقعة، الآيات: 83-89.

إلى الجنة، قال : فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره" رواه أحمد وأبو داود في حديث طويل.
وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:
الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.
الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.
وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن.
وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.
أما من الشرع: فقد قال الله تعالى:]زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير[[1] وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.
وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك وهي:
المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: "لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة" فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل:]وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون .ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون[[2].
المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى:]وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم

---

(1) سورة التغابن، الآية: 7 .
(2) سورة البقرة، الآيتان: 55-56.

تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون[[3]].

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى:]ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ،ن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون[[1]].

المثال الرابع: في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله تعالى، فأماته الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه وفي ذلك يقول الله تعالى:]أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه[2] وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير[[3]].

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح ـ أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن، فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعياً، وفي ذلك يقول الله تعالى:]وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم[[4]].

فهذه أمثلة حسية واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى. وقد سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من

---

(3) سورة البقرة، الآيتان: 72-73.

(1) سورة البقرة، الآية: 243.

(2) لم يتغير.

(3) سورة البقرة، الآية: 259.

(4) سورة البقرة، الآية: 260.

آيات ـ عيسى بن مريم ــ في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذا الله تعالى.
وأما دلالة العقل فمن وجهين:
أحدهما:أن الله تعالى فاطرالسموات والأرض ومافيهما خالقهما ابتداء،والقادرعلى ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى:]وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه[[5] وقال تعالى:]كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين[[6] وقال آمراً بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم:]قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم[[7]. الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى:]ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير[[1] وقال تعالى:]ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد. والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج[[2].
وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا يضيق.
وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:
أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه في فقرة (ب) مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر.
وفي صحيح البخاري ـ من حديث ـ ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم من

---

[5] سورة الروم، الآية: 27.
[6] سورة الأنبياء، الآية: 104.
[7] سورة يس: الآية 79.
[1] سورة فصلت، الآية: 39.
[2] سورة ق، الآيات: 9-11.

بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسـانين يعـذبان في قبورهما" وذكر الحديث، وفيه "أن أحدهما كان لا يسـتتر من البـول" وفي ـ روايـة ـ من (بولـه) وأن الآخـر كـان يمشي بالنميمة.

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنـه كـان في مكـان فسـيح بهيج يتنعم فيـه، أو أنـه كـان في مكـان موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانـاً ممـا رأى، ومـع ذلـك فهـو على فراشـه في حجرتـه على مـا هـو عليـه. والنوم أخو الموت ولهذا سماه اللـه تعـالى (وفـاة) قـال الله تعـالى:]اللـه يتـوفى الأنفس حين موتهـا والـتي لم تمت في منامهـا فيمسـك الـتي قضـى عليهـا المـوت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى[[3].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيـا الحـق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي صلى الله عليه وسلم على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإذا كـان هذا ممكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً في أحـوال الآخرة؟

وأما اعتمادهم فيما زعمـوه على أنـه لـو كشـف عن الميت في قبره لوجد كمـا كـان عليـه، والقـبر لم يتغـير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جـاء بـه الشـرع بمثـل هذه الشبهات الداحضة التي لـو تأمـل المعـارض بهـا مـا جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات وقـد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

الثـاني: أن أحـوال الـبرزخ من أمـور الغيب الـتي لا يـدركها الحس، ولـو كـانت تـدرك بـالحس لفـاتت فائـدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحـدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضـيقه إنمـا يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه

---

[3] سورة الزمر، الآية: 42.

أنه في مكـان ضـيق مـوحش، أو في مكـان واسـع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامـه هـو في حجرتـه وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي صـلى الله عليـه وسـلم يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسـمع الـوحي، ولا يسـمعه الصحابة، وربما يتمثل له الملك رجلاً فيكلمـه، والصـحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجـود، فالسـموات السبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد اللـه تسبيحاً حقيقيـاً يسـمعه اللـه تعـالى من شـاء من خلقـه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنـا، وفي ذلـك يقـول اللـه تعـالى:]تسـبح لـه السـموات السـبع والأرض ومن فيهن وإن من شـــيء إلا يســـبح بحمـــده ولكن لا تفقهـــون تســبيحهم[[1] وهكــذا الشــياطين، والجن، يســعون في الأرض ذهاباً وإيابـاً، وقـد حضـرت الجن إلى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم واستمعوا لقراءته وأنصـتوا وولـوا إلى قومهم منذرين. ومع هـذا فهم محجوبـون عنـا وفي ذلك يقول الله تعالى:]يـا بـني آدم لا يفتننكم الشـيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهمــا سوءاتهما إنه يراكم وهو وقبيلـه من حيث لا تـرونهم إنـا جعلنـا الشـياطين أوليـاء للـذين لا يؤمنـون[[2] وإذا كـان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجـوز أن ينكـروا مـا ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

---

[1] سورة الإسراء، الآية: 44.

[2] سورة الأعراف، الآية: 27.

الإيمان بالقدر

(القدر) بفتح الدال: (تقدير الله تعالى للكائنات، حسـبما سبق به علمه، واقتضته حكمته).

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى:]ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير[[1].

وفي صحيح مسلم ـ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة".

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله :] وربك يخلق ما يشاء ويختار[[2] وقال:]ويفعل الله ما يشاء[[3] وقال :]هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء[[4] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين :] ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم[[5] وقال:]ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون[[6].

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى:]الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل[[7] وقال:]وخلق كل

---

[1] سورة الحج، الآية: 70 .

[2] سورة القصص، الآية: 68.

[3] سورة إبراهيم، الآية: 27.

[4] سورة آل عمران، الآية: 6.

[5] سورة النساء، الآية: 90.

[6] سورة الأنعام، الآية: 137.

[7] سورة الزمر، الآية: 62.

شيء فقدره تقديراً[[8]] وقال عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه:]والله خلقكم وماتعملون[[9].
والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.
أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة:]فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً[[1] وقال:]فأتوا حرثكم أنى شئتم[[2]وقال في القدرة:]فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا[[3] وقال:]لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت[[4].
وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما بفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى:]لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين[[5] ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.
والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فعل من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجه به باطل من وجوه: الأول: قوله تعالى:]سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن

---

[8] سورة الفرقان، الآية: 2.
[9] سورة الصافات، الآية: 96.
[1] سورة النبأ، الآية: 39.
[2] سورة البقرة، الآية: 223.
[3] سورة التغابن، الآية: 16.
[4] سورة البقرة، الآية: 286.
[5] سورة التكوير، الآيتان: 28-29.

تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون[[6] ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى:]رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً[[7] ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى. الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ]فأما من أعطى واتقى[[8] الآية. وفي لفظ لمسلم: "فكل ميسر لما خلق له"، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى:]فاتقوا الله ما استطعتم[[1] وقال:]لا يكلف الله نفساً إلا وسعها[[2] ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في

---

[6] سورة الأنعام، الآية: 148.

[7] سورة النساء، الآية: 165 .

[8] سورة الليل، الآية: 5.

[1] سورة التغابن، الآية: 16.

[2] سورة البقرة، الآية: 286.

أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً؟!
وإليك مثالاً يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، وقتل، ونهب، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟
إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟
مثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله به أو يفعل ما نهى الله ورسوله عنه ثم يحتج بالقدر؟
السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!
ويذكر أن ـ أمير المؤمنين ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله فقال عمر: ونحن إنما نقطع بقدر الله.
وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:
الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يعجب المرء بنفسه عند حصول مـراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجري عليــه من أقدار اللـه تعـالى فلا يقلـق بفـوات محبـوب، أو حصـول مكـروه، لأن ذلـك بقـدر اللـه الـذي لـه ملـك السـموات والأرض وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول اللـه تعـالى:]ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسـكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأهـا إن ذلـك على اللـه يسـير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم واللــه لا يحب كل مختال فخور[[1]. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له". رواه مسلم.

وقد ضل في القدر طائفتان:

- **إحداهما: (الجبرية) الذين قالوا : إن العبـد مجـبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.**
- **الثانية: (القدرية) الذين قالوا : إن العبد مستقل بعملـه في الإرادة والقـدرة، وليس لمشـيئة اللـه تعـالى وقدرته فيه أثر.**

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن اللـه تعـالى أثبت للعبـد إرادة، ومشـيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى:]منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة[[2] وقـال:]وقـل الحـق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظـالمين ناراً أحاط بهم سرادقها[[3] الآية. وقال:]من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد[[4]

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعالــه الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والــبيع، والشراء، وبين ما يقع عليـه بغـير إرادتـه كالارتعـاش من

---

[1] سورة الحديد ، الآيتان 22-23.

[2] سورة آل عمران، الآيتان: 152.

[3] سورة الكهف ، الآية: 29.

[4] سورة فصلت، الآية:46.

الحمى، والسـقوط من السـطح، فهـو في الأول فاعـل مختار بإرادته من غير جـبر، وفي الثـاني غـير مختـار ولا مريد لما وقع عليه.

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شـيء، وكـل شـيء كائن بمشيئته، وقد بين الله تعالى في كتابـه أن أفعـال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى:]ولو شاء الله ما اقتتل الـذين من بعـدهم من بعـد مـا جـاءتهم البينـات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن اللـه يفعـل مـا يريد[[1] وقـال تعـالى:]ولـو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين[[2].

وأمـا العقـل: فـإن الكـون كلـه مملـوك للـه تعـالى، والإنسـان من هـذا الكـون فهـو مملـوك للـه تعـالى، ولا يمكن للمملـوك أن يتصـرف في ملـك المالـك إلا بـإذنه ومشيئته.

---

[1] سورة البقرة، الآية:253.

[2] سورة السجدة، الآية: 13.

أهداف العقيدة الإسلامية

الهدف (لغة) يطلق على معان منها: (الغرض ينصب ليرمى إليه وكل شيء مقصود).

وأهداف العقيدة الإسلامية: مقاصدها، وغاياتها النبيلة المترتبة على التمسك بها وهي كثيرة متنوعة فمنها:

أولاً: إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده، لأنه الخالق لا شريك له فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً: تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة، لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً: الراحة النفسية والفكرية فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به رباً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعاً: سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى أو معاملة المخلوقين، لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً: الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه خوفاً من العقاب، لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال]ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عن ما يعملون[[1]. وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الغاية في قوله: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم.

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 132.

سادساً: تكوين أمة قوية تبذل كل غال ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى:]إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون[[2].

سابعاً: الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات، ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى:]من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[[1].

هذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية نرجو الله تعالى أن يحققها لنا ولجميع المسلمين. إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجموع فتاوى و رسائل - 5	أسماء الله و صفاته و موقف أهل السنة منها	محمد بن صالح العثيمين

أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذاه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، بلسانه، ويده، وماله، حتى أتاه اليقين فصلوات

---

[2] سورة الحجرات، الآية: 15.

[1] سورة النحل، الآية: 97.

الله وسلامه عليه وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:
أيها الإخوة الحاضرون فإني أذكركم ونفسي بما أنعم الله به على هذه البلاد من نعمة الإسلام قديماً وحديثاً، هذه البلاد التي كانت محل الرسالة رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذي بعث إلى الناس كافة، بل إلى الجن والإنس.

هذه البلاد التي كما بدأ منها الإسلام فإليها يعود كما ثبت به الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم، حيث قال: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها".

هذه البلاد التي لا أعلم والله شاهد على ما في قلبي لا أعلم بلاداً إسلامية في عصرنا أقوى منها تمسكاً بدين الله لا بالنسبة لشعبها، ولكن بالنسبة لشعبها ومن ولاه الله أمرها. وهذه النعمة الكبيرة أيها الإخوة إذا لم نشكرها فإنها كغيرها من النعم توشك أن تزول، يوشك أن يحل بدل الإيمان الكفر، وبدل الإسلام الاستكبار، إذا لم نقيد هذه النعمة بالمحافظة عليها وحمايتها والمدافعة دونها.

أيها الإخوة.. إن هذه البلاد بما أنعم الله به عليها من هذه النعمة العظيمة، وهي نعمة الإسلام أولاً وأخيراً كانت مركزاً لتوجيه الضربات عليها من أجل صد أهلها عن دينهم، ليس في الأخلاق فحسب ولكن في الأخلاق والعقائد، ولذلك كان لزاماً على شبابها وأخص الشباب لأسباب ثلاثة: لأنهم رجال المستقبل، ولأنهم أقوى عزيمة، وأشد حزماً ممن بردت أنفسهم بالشيخوخة، ولأنهم الذين تركز عليهم هذه الضربات.

إنني أوجه إلى الشباب أن يحموا بلادهم من كيد أعداءهم، فإن أعدائهم يوجهون الضربات تلو الضربات ليقضوا على هذه المنة العظيمة التي من الله بها علينا ألا وهي دين الإسلام.

أيها الشباب: استعينوا بالله سبحانه وتعالى بما علمكم من شريعته، ثم بحكمة الشيوخ ذوي الثقة،

والأمانة، والعلم، والبرهان، فاستعينوا بذلك على حماية بلادكم من كيد أعدائها، واعلموا أن الدنيا تبع للدين، وأنها لن تتم النعمة، ولن تتم الحياة الدنيا، ولن تكون حياة طيبة إلا بالإيمان، والعمل الصالح كما قال الله تعالى:]من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[[1].

أيها الإخوة: إن المشكلات في عصرنا هذا كثيرة وإني اخترت الكلام في:

أسماء الله وصفاته، وموقف أهل السنة منها

ولعل الكثير منكم يقول: لماذا اخترت هذا الموضوع بالذات؟ ألسنا كلنا، وبالأخص أهل هذه الجزيرة، ألسنا كلنا نؤمن بأسماء الله وصفاته على ما يليق به ولا نتعرض لها بتحريف ولا تعطيل؟ أليست العجوز منا والشيخ والصغير والذكر والأنثى كل على حدٍ سواء لا يجول في أفكارهم شيء من التحريف أو الانحراف في أسماء الله وصفاته فلماذا اخترت هذا الموضوع بالذات؟

وإن جوابي على هذا أن أقول: إنني اخترت هذا الموضوع لأمرين مهمين:

أحدهما: أهمية هذا الموضوع، فإن هذا الموضوع ليس كما يظن بعض الناس، ولا أعني ببعض الناس عامتهم، بل حتى بعض طلبة العلم يظنون أن البحث في هذا الباب ـ في باب أسماء الله وصفاته ـ ليس بذي قيمة تذكر، والحقيقة أن هذا الفكر فكر خاطئ، لأن معرفة الله تعالى بأسمائه وتوحيده بذلك، وصفاته هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة:

فقد قسم أهل العلم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد الربوبية.

والثاني: توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات.

إذاً فهو عنصر مهم في باب التوحيد يجب علينا أن نعرفه، كما أنه أيضاً أعني معرفة الأسماء والصفات هو

---

[1] سورة النحل، الآية: 97.

أحـد أركـان الإيمـان بالله فـإن الإيمـان بالله لا يتم إلا بأربعة أمور:
أحدها: الإيمان بوجوده تعالى.
والثاني: الإيمان بربوبيته، وعموم ملكه، وقوة سلطانه.
والثالث: الإيمان بألوهيته، وأنه وحده المستحق للعبـادة، وأن ما سواه فعبادته باطلة.
أما الأمر الرابع من أركان الإيمان بالله الـتي لا يمكن أن يتم الإيمان بالله إلا بها وهو موضوع محاضرتنا هذه، فهو الإيمان بأسماء الله وصفاته.
إنني لا أتصور أن أحداً يمكن أن يعبد رباً لا يعرف أسماءه وصفاته وكيف يكون ذلك وهو يمد يديه له: يارب، يـارب، إذا كان لا يعلم أن له صفات وأسـماء يـدعى بهـا فكيـف يتخـذه إلهـاً قـادراً، ملجـأً، ومعـاذاً، ونصـيراً. ولهـذا قـال إبراهيم الخليـل لأبيـه:]يـا أبت لم تعبـد مـا لا يسـمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً[[2].
فمعرفة أسماء الله وصفاته أمر مهم في دين الله ولابـد أن يعرفه الإنسان ويحققه.
أما السبب الثـاني لاختيـاري هـذا الموضـوع: فهـو كـثرة الكلام فيـه بالباطـل في الآونـة الأخـيرة، كنـا في وقت الطلب نقرؤه على أنه أمر بعيد عنا زمناً، ومكاناً، ولكننـا وجدناه الآن فيما بيننـا في الصـحف المقـروءة، وكـذلك في الكتب المقررة في بعض جهات التعليم.
إذاً لابـد أن نعـرف موقـف أهـل السـنة والجماعـة بالنسبة لأسماء الله وصفاته، حتى نكون يقظين حذرين، وعالمين بما نحكم به فيما ينشر أو فيما يقرر.
فالكلام في أسماء الله وصفاته في الآونـة الأخـيرة كـثر اللغـط فيـه، وكـثر القـول فيـه بـالحق تـارة، وبالباطـل تارات، ولهذا لابد أن نحقق هذا الأمر تحقيقاً بالغـاً حـتى لا تجرف بنا الأهواء أو الأفكار الـتي على خطـأ، وليسـت على صـواب في هـذا الأمـر وإنـني ألخص الكلام في العناصر التالية:
العنصـر الأول: في موقـف أهـل السـنة والجماعـة في الأسماء والصفات.

---

(2) سورة مريم، الآية: 42.

العنصر الثاني: في نصوص الأسماء والصفات.
العنصر الثالث: في العدول عن هذا الموقف.
العنصر الرابع: في أن التطرف في التنزيه يستلزم إبطال الدين كله.
العنصر الخامس: في أن بعض أهل التحريف، والتعطيل اعتدوا على أهل السنة فرموهم بالتشبيه، والتمثيل، والتجسيم.
العنصر السادس: في أن أهل التحريف والتعطيل ادعوا على أهل السنة أنهم أولوا بعض النصوص ليلزموا أهل السنة بالتأويل في بقية النصوص أو بالمداهنة وفي إبطال هذه الدعوى.
العنصر الأول: موقف أهل السنة في أسماء الله تبارك وتعالى:
أسماء الله تعالى كل ما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به أعلم الخلق به رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم ، وموقف أهل السنة من هذه الأسماء أنهم يؤمنون بها على أنها أسماء لله تسمى بها الله عز وجل ، وأنها أسماء حسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه كما قال الله تعالى :]ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[[1].
فهم يثبتون الأسماء على أنها أسماء لله ، ويثبتون أيضاً ما تضمنته هذه الأسماء من الصفات، فمثلاً من أسماء الله "العليم" فيثبتون العليم اسماً لله سبحانه وتعالى، ويقولون: يا عليم. فيثبتون أنه يسمى بالعليم ويثبتون بأن العلم صفة له دل عليها اسم العليم، فالعليم اسم مشتق من العلم، وكل اسم مشتق من معنى فلابد أن يتضمن ذلك المعنى الذي اشتق منه، وهذا أمر معلوم في العربية واللغات جميعاً.
ويثبتون كذلك ما دل عليه الاسم من الأثر إن كان الاسم مشتقاً من مصدر متعدٍّ، فمثلاً "الرحيم" من أسماء الله يؤمنون بالرحيم على أنه اسم من أسمائه، ويؤمنون بما تضمنه من صفة الرحمة، وأن الرحمة صفة

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 180.

حقيقية ثابتة لله دل عليها اسم الرحيم، وليست إرادة الإحسان ولا الإحسان نفسه وإنما إرادة الإحسان والإحسان نفسه من آثار هذه الرحمة، كذلك يؤمنون بأثر هذه الرحمة، والأثر أنه يرحم بهذه الرحمة من يستحقها كما قال الله تعالى:]يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون[[1].

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة بالنسبة للأسماء: يؤمنون بأنها أسماء تسمى الله بها فيدعون الله بها.

ثانياً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الصفة، لأن جميع أسماء الله مشتقة، والمشتق كما هو معروف يكون دالاً على المعنى الذي اشتق منه.

ثالثاً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الأثر إذا كان الاسم متعدياً كالعليم، والرحيم، والسميع، والبصير.

أما إذا كان الاسم مشتقاً من مصدر لازم فإنه لا يتعدى مسماه مثل الحياة فالله تعالى من أسمائه "الحي"، و"الحي" دل على صفة الحياة، والحياة وصف للحي نفسه لا يتعدى إلى غيره، ومثل "العظيم" فهذا الاسم والعظمة هي الوصف، والعظمة وصف للعظيم نفسه لا تتعدى إلى غيره، فعلى هذا تكون الأسماء على قسمين: متعدٍّ ولازم، والمتعدي لا يتم الإيمان به إلا بالأمور الثلاثة: الإيمان بالاسم، ثم بالصفة ثم بالأثر.

وأما اللازم فإنه لا يتم الإيمان به إلا بإثبات أمرين:

أحدهما: الاسم.

والثاني: الصفة.

أما موقف أهل السنة والجماعة في الصفات فهو: إثبات كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم، لكن إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل، سواء كانت هذه الصفة من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية.

فإذا قال قائل: فرقوا لنا بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية.

قلنا: الصفات الذاتية هي التي تكون ملازمة لذات الخالق أي إنه متصف بها أزلاً وأبداً.

---

[1] سورة العنكبوت، الآية: 21.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئته فيفعلها اللــه تبعاً لحكمته سبحانه وتعالى.

مثال الأول: صفة الحياة صفة ذاتيــة، لأن اللــه لم يــزل ولا يزال حياً، كما قال الله تعالى:]هو الأول والآخر[[1] . وفسرها النبي ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، بقولـه : "أنت الأول فليس قبلـــك شـــيء وأنت الآخـــر فليس بعـــدك شيء". وقال تعالى:]وتوكـل على الحي الـذي لا يمـوت وسبح بحمده[[2].

كذلك السـمع، والبصـر، والقـدرة على كـل هـذه من الصـفات الذاتيــة، ولا حاجــة إلى التعــداد لأننــا عرفناهــا بالضابط: "كل صـفة لم يـزل اللـه ولا يـزال متصـفاً بهـا فإنها من الصفات الذاتية" لملازمتها للـذات، وكـل صـفة تتعلق بمشيئته يفعلها اللـه حيث اقتضـتها حكمتـه فإنهـا من الصفات الفعلية مثل: استوائه على العرش، ونزولــه إلى الســماء الــدنيا، فاســتواء اللـــه على العــرش من الصفات الفعلية لأنه متعلق بمشـيئته، كمـا قـال تعـالى:]إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيـام ثم استوى على العرش[[3].

فجعل الفعـل معطوفـاً على مـا قبلـه بــ"ثم" الدالـة على الـترتيب، ثم الـنزول إلى السـماء الـدنيا وصـفه بـه أعلم الخلق به رسول الله، صلى الله عليـه وسـلم، حيث قال فيما ثبت عنـه ثبوتـاً متـواتراً قـال: "يـنزل ربنـا إلى السـماء الـدنيا حين يبقى ثلث الليـل الآخـر فيقـول: من يـــدعوني فأســـتجيب لـــه. من يســـألني فأعطيـــه. من يستغفرني فأغفر له". وهذا النزول من الصفات الفعلية لأنه متعلق بمشيئة الله تعـالى، فأهـل السـنة والجماعـة يؤمنـــون بـــذلك، ولكنهم في هـــذا الإيمـــان يتحاشـــون التمثيـــل، أو التكـــييف، أي إنهم لا يمكن أن يقـــع في نفوسهم أن نزوله كنزول المخلـوقين، أو اسـتواءه على العرش كاستوائهم أو إتيانه للفصل بين عبـاده كإتيـانهم لأنهم يؤمنون بأن اللـه ليس كمثلـه شـيء وهـو السـميع

---

[1] سورة الحديد، الآية: 3.

[2] سورة الفرقان، الآية: 58.

[3] سورة الأعراف، الآية: 54.

البصير، ويعلمون بمقتضى العقل ما بين الخالق والمخلوق من التباين العظيم في الذات، والصفات، والأفعال، ولا يمكن أن يقع في نفوسهم كيف ينزل؟ أو كيف استوى على العرش؟ أو كيف يأتي للفصل بين عباده يوم القيامة؟ أي إنهم لا يكيفون صفاته مع إيمانهم بأن لها كيفية لكنها غير معلومة لنا، وحينئذ لا يمكن أبداً أن يتصوروا الكيفية، ولا يمكن أن ينطقوا بها بألسنتهم أو يعتقدوها في قلوبهم.

يقول تعالى:]ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً[[4] ويقول:]قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون[[5].

ولأن الله أجل وأعظم من أن تحيط به الأفكار. قال تعالى:]يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً[[1].

وأنت متى تخيلت أي كيفية فعلى أي صورة تتخيلها؟! إن حاولت ذلك فإنك في الحقيقة ضال، ولا يمكن أن تصل إلى حقيقة لأن هذا أمر لا يمكن الإحاطة به، وليس من شأن العبد أن يتكلم فيه أو أن يسأل عنه. ولهذا قال الإمام مالك رحمه الله فيما اشتهر عنه بين أهل العلم حين سأله رجل فقال: يا أبا عبدالله: "الرحمن على العرش استوى" كيف استوى؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ــ يعني العرق وصار ينزف عرقاً ــ لأنه سؤال عظيم. ثم قال تلك الكلمة المشهورة: "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وروي عنه أنه قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

فإذاً نحن نعلم معاني صفات الله، ولكننا لا نعلم الكيفية، ولا يحل لنا أن نسأل عن الكيفية، ولا يحل لنا

---

[4] سورة الإسراء، الآية: 36.

[5] سورة الأعراف، الآية: 33.

[1] سورة طه، الآية: 110.

أن نكيف، كما أنه لا يحل لنا أن نمثل أو نشبه لأن الله تعالى يقول في القرآن:]ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[[2].

فمن أثبت لله مثيلاً في صفاته فقد كذب القرآن، وظن بربه ظن السوء وقد تنقص ربه حيث شبهه وهو الكامل من كل وجه بالناقص، وقد قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وأنا أقول هذا على سبيل التوضيح للمعنى وإلا ففرق عظيم بين الخالق والمخلوق، فرق لا يوجد مثله بين المخلوقات بعضها مع بعض.

المهم أيها الإخوة أن يجب علينا أن نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله، صلى الله عليه وسلم، سواء كانت تلك الصفة ذاتية أم فعلية، ولكن بدون تكييف، وبدون تمثيل.

التكييف ممتنع، لأنه قول على الله بغير علم، وقد قال الله تعالى:]ولا تقف ماليس لك به علم[[3].

والتمثيل ممتنع، لأنه تكذيب لله في قوله:]ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[[4] وقول بما لا يليق بالله تعالى من تشبيهه بالمخلوقين.

---

[2] سورة الشورى، الآية: 11.

[3] سورة الإسراء، الآية: 36.

[4] سورة الشورى، الآية: 11.

العنصر الثاني: في نصوص الأسماء والصفات:
المعترك بين أهل السنة وأهل البدعة في هذه النصوص، معترك يتبين به الفرق الشاسع بين أهل السنة وأهل البدعة، فأهل السنة يثبتون النصوص على حقيقتها وظاهرها اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل. هذه الطريق التي مشى عليها أهل السنة والجماعة.
واخترنا كلمة "تحريف" على كلمة "تأويل" لأن التحريف معناه باطل بكل حال ذم الله تعالى من سلكه في قوله:]يحرفون الكلم عن مواضعه[[1].
أما التأويل ففيه ما هو صحيح مقبول، وفيه ما هو فاسد مردود، والفاسد المردود هو بمعنى التحريف، ولهذا اختار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ اختار في العقيدة الواسطية وهي خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة اختار التحريف بدل التأويل، وإن كان يوجد في كثير من كتب العقائد التعبير بـ(التأويل).
لكنهم يريدون بالتأويل ما هو بمعنى التحريف أي التأويل الذي لا دليل عليه، بل الدليل نقيضه وهذا في الحقيقة تحريف.
فأهل السنة والجماعة يقولون : نحن نؤمن بهذه الآيات ، والأحاديث ولا نحرفها ، لأن تحريفها قول على الله بغير علم من وجهين ، يتبين ذلك في قوله تعالى :]وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً[[2].
قال أهل السنة والجماعة: جاء ربك أي هو نفسه يجيء سبحانه وتعالى، لكنه مجيء يليق بجلاله وعظمته لا يشبه مجيء المخلوقين، ولا يمكن أن نكيفه، وعلينا أن نضيف الفعل إلى الله كما أضافه الله إلى نفسه.
فنقول: إن الله تعالى يجيء يوم القيامة مجيئاً حقيقياً يجيء هو نفسه، وقال أهل التحريف : معناه: وجاء أمر ربك.
وهذا جناية على النص من وجهين:
الوجه الأول: نفي ظاهره فأين لهم العلم من أن الله تعالى لم يرد ظاهره هل عندهم علم من أن الله لم يرد

---

[1] سورة النساء، الآية: 46.
[2] سورة الفجر، الآية: 22.

ظـاهر مـا أضـافه لنفسـه؟! والله تعـالى يقـول عن القرآن : إنـه نـزل بلسـان عـربي مـبين فعلينـا أن نأخـذ بدلالة هذا اللفـظ حسـب مقتضـى هـذا اللسـان العـربي المبين. فمن أين لنا أن يكون الله تعـالى لم يـرد ظـاهر اللفظ؟!

فالقول بنفي ظاهر النص قول على الله بغير علم.

الوجه الثاني: إثبات معـنى لم يـدل عليـه ظـاهر اللفـظ، فهل عنده علم أن الله تعـالى أراد المعـنى الـذي صـرف ظاهر اللفـظ إليـه؟! هـل عنـده علم أن اللـه أراد مجيء أمره؟! قد يكون المراد جاء شـيء آخـر ينسـب إلى اللـه غير الأمر.

فـإذاً كـل محـرف أي كـل من صـرف الكلام عن ظـاهره بدون دليل من الشرع فإنه قائل على الله بغـير علم من وجهين:

الأول: نفيه ظاهر الكلام.

الثاني: إثباته خلاف ذلك الظاهر.

لهـذا كـان أهـل السـنة والجماعـة يتـبرؤون من التحريف، ويرون أنه جناية على النصـوص، وأنـه لا يمكن أن يخاطبنا الله تعالى بشيء ويريد خلاف ظـاهره بـدون أن يـبين لنـا، وقـد أنـزل اللـه الكتـاب تبيانـاً لكـل شـيء والنبي، صلى الله عليه وسلم، بين للناس ما أنزل إليهم من ربهم بإذاً ربهم.

أمـا التمثيـل فمن الواضـح أن القـول بـه تكـذيب للقرآن، لأن الله تعالى يقـول:]ليس كمثلـه شـيء وهـو السـميع البصـير[[1] ولهـذا كـان عقيـدة أهـل السـنة والجماعة، بل طريقة أهل السنة والجماعـة في نصـوص الصفات من الآيات، والأحاديث، هو إثباتها على حقيقتها وظاهرها اللائق بالله، بدون تحريف وبدون تعطيل، وقـد حكى إجماع أهل السنة على ذلك ابن عبد البر في كتابه: (التمهيد) ونقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللـه ـ وكذلك نقل عن القاضي ابن يعلى أنه قال: "أجمع أهل السـنة على تحـريم التشـاغل بتأويـل آيـات النصـوص وأحاديثها، وأن الواجب إبقاؤها على ظاهرها".

---

[1] سورة الشورى، الآية: 11.

العنصر الثالث: "العـدول عن هـذا الموقـف تطـرف دائـر بين الإفراط والتفريط":

العـدول عن هـذا الموقـف ــ أعـني موقـف أهـل السـنة والجماعة ـ تطرف إما إفراط، وإمـا تفريـط، لأن النـاس انقسـموا في هـذا البـاب إلى ثلاثـة أقسـام :طرفـان، ووسط ،طرف غلا في التنزيـه حـتى نفى مـا أثبتـه اللـه لنفسه، وطرف آخر غلا في الإثبات حـتى أثبت مـا نفـاه الله عن نفسه.

فإن من أهل البدع من أثبت النصوص على ظاهرها، ولكنـه جعـل هـذا الظـاهر من جنس صـفات المخلـوقين والعيـاذ باللـه. فـأثبت النقص لربـه بإلحاقـه بـالمخلوق الناقص، وأخطأ في ظنه أن ظاهرها التمثيل.

أثبت أن لله تعالى سمعاً، وأن لله تعـالى وجهـاً، وأن لله تعالى عيناً، وأن له يداً لكنه جعل ذلـك كلـه من جنس صـفات المخلـوقين، غلا في الإثبـات حـتى بلـغ بـه إلى التمثيــل. وقــد قــال نعيم ابن حمــاد الخــزاعي شــيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ولا شك أنه كافر وأن اللـه سـبحانه وتعـالى لم يـرد بهـذه النصـوص هـذا الظاهر الذي ادعاه هذا الممثل.

وقد يقول القائل: أين دليلك على أن الله ما أراده؟

فأقول: الدليل عندي نقلي، وعقلي:

أمــا النقلي فآيــات متعــددة تنفي المماثلــة عن اللــه وأصرحها وأبينها قوله تعالى :]ليس كمثله شيء[[1].

وأما الدليل العقلي: فإنه لا يمكن أبـداً أن يكـون الخـالق مماثلاً للمخلوق في أي صفة من صفاته لظهـور الفـرق العظيم بينهما في الذات، والصفات، والأفعال.

ومن أهل البدع من حـرف النصـوص عن ظاهرهـا، ونفى مدلولها اللائـق باللـه، وهـؤلاء المحرفـون انقسـموا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم غلا في ذلك غلواً عظيماً حــتى نفى النقيضين في حق الله، فقال: لا تقـل: إن اللـه موجـود ولا تقــل : غــير موجــود. إن قلت :موجــود شــبهته بالموجودات، وإن قلت: غير موجود شبهته بالمعـدومات.

---

[1] سورة الشورى، الآية: 11.

ولا ريب أن هـذا تنكـره العقـول كلهـا، لأن رفـع أحـد النقيضين أمـر مسـتحيل، والتقابـل بين الوجـود والعـدم من تقابــل النقيضــين اللــذين لا يمكن اجتماعهمــا ولا ارتفاعهما.

القسـم الثـاني: من قـال: نثبت السـلب ولا نثبت الإيجـاب فلا نصـف اللـه بصـفات ثبوتيـة، ولكن نصـفه بالأســلوب والإضـــافات ونثبت الأســـماء مجـــردة عن المعاني، وهذا ما عليه عامة الجهمية والمعتزلة.

القسم الثالث: من يقول: نثبت بعض الصفات لدلالة العقل عليها، وننكر بعض الصفات، لأن العقـل لا يثبتهـا، وبعضهم يقول :لأن العقل ينكرهـا. وكـل هـذه الأقسـام الثلاثة ـ وإن كانت تختلف من حيث البعد عن الحق ـ كلها على غير صواب فهي متطرفة، فالقول الوسط ما عليـه أهل السنة والجماعة: أن نثبت للـه مـا أثبتـه لنفسـه من الصفات، ولكنه إثبات مجرد عن التكـييف، وعن التمثيـل، وبذلك نكون قد عملنا بالنصـوص الشـرعية من الجـانبين ولم ننظـر بعين أعـور وبـذلك نكـون قـد تأدبنـا مـع اللـه ورسوله فلم نقدم بين يدي الله ورسوله، وإنمـا التزمنـا غاية الأدب سمعنا وآمنـا، وأطعنـا مـا أثبتـه اللـه لنفسـه أثبتناه، وما أثبته لـه رسـوله أثبتنـاه، ومـا نفـاه اللـه عن نفسه نفيناه، وما نفاه عنه رسوله نفيناه وما سكت عنه سكتنا عنه.

العنصر الرابع: التطرف في التنزيه يستلزم إبطال الدين كله:

ذكرنـا أن من النـاس من تطـرف في التنزيـه حـتى أنكـر الصفات، أو أنكر بعضها، أو أنكر الإيجابية منهـا، أو أنكـر الإيجابي والسلبي فأقول: إن التطـرف في التنزيـه في كل أقسامه يؤدي إلى إبطال الدين كله.

مثـال ذلـك: إذا كـان المـنزه يثبت بعض الصـفات وينكـر بعضها قلنا له: لماذا تثبت ولماذا تنكر؟

قال: أثبت هذه الصفات لأن العقل دل عليها، وأنكر هذه الصفات لأن العقل لم يدل عليها أو دل على نفيها.

فيقول له القوم الآخرون: نحن ننكر جميـع الصـفات لأن العقل لا يـدل عليهـا، أو لأن العقـل دل على نفيهـا. فلا

يستطيع الأول أن يرد على هؤلاء لأنــه إذا رد عليهم بــأن العقل يثبت ذا وينكر ذا أو لا يثبته قال: أنا عقلي لا يثبت ما تثبت وما دام المرجع هو العقــل فــإن مــا أنكرتــه أنت بحجة العقل فأنا أنكر ما أنكر بحجة العقل ولكن الأمــر لا ينتهي عند موضوع الصفات.
بل يأتينا أهل التخييل الذين أنكروا اليوم الآخر، وأنكــروا رسالة الرسل بل أنكروا وجود الله رأساً ـ والعياذ بالله ـ فيقولون: عقولنا لا تقبل أن تحيا العظام وهي رميم، لا تقبــل وجــود جنــة ولا نــار، فيحتجــون بالعقــل كمــا احتج هؤلاء بالعقل.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمــه اللــه ــ: وإثبــات الصفات في القرآن والسنة أكثر من إثبات المعــاد، فــأي إنسان ينكر الصفات فإنه لا يمكن أن يدفع إنكار من أنكر المعاد، ولا ريب أن إنكار المعاد، وإنكــار الشــرائع إبطــال للدين كله، والخلاص من هذا هو اتباع طريق الســلامة أن نثبت ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصــفات، وننفي ما نفاه الله عن نفسه من الصفات، ونسكت عمــا ســكت عنه وبهذا لا يمكن لأي إنسان أن يفحمنا، لأننا قلنــا : إن هذه المسائل الغيبية إنمــا تــدرك بالشــرع والمنقــول عن المعصوم والعقول مضطربة ومختلفــة. وكــل إنســان من مدعي العقل يدعي وجوب ما يدعي الآخــر أنــه ممتنــع أو ما يدعي الآخر أنه من الممكنات لا من الواجبات.

العنصر الخامس: أن بعض أهل التحريف والتعطيل قالوا: إن أهل السنة مشبهة ومجسمة وممثلة:

من الغرائب أن يدعى على الإنسان ما ينكره، فأهل السنة والجماعة ينكرون التشبيه، وينكرون التمثيل، ويقولون :من شبه الله بخلقه فقد كفر، فكيف يمكن أن يلزموا بما هم معترفون بإنكاره؟ هذا عدوان محض.

أهل السنة والجماعة يقولون :نحن لا نشبه، ولا نمثل، وإنما نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، وما أثبته له رسوله بدون تمثيل، وبدون تكييف. فما بالكم تشوهون طريقنا وتقولون :أنتم ممثلة ومشبهة؟! ولكن لا غرو أن يرمى أهل السنة والجماعة بمثل هذه الألقاب السيئة، لأن رمي أهل الحق بالألقاب السيئة أمر موروث عن أعداء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فالأنبياء قيل: إنهم سحرة. وقيل: إنهم مجانين]كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون[[1] ولكن هل الحق يغيض بمثل هذه الألقاب؟ لا. بل يفيض، ويزداد قوة، ويزداد وضوحاً وبياناً ــ ولله الحمد ــ أهل السنة والجماعة متبرئون من هذه العيوب التي يصمهم بها من يحرفون الكلم عن مواضعه.

كذلك يقولون: أنتم مجسمة، كيف مجسمة وما معنى مجسمة؟! هذه الكلمة كلمة "التجسيم" لو قرأت القرآن من أوله إلى آخره ومررت على ما جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من السنة من أولها إلى آخرها لم تجد لفظ "الجسم" مثبتاً لله ولا منفياً عنه في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فما بالنا نتعب أذهاننا وأفكارنا، ونظهر ذلك بمظهر سوء بالنسبة لمن أثبت لله صفات الكمال على الوجه الذي أراد الله.

إذا كانت كلمة "الجسم" غير واردة في الكتاب، ولا في السنة، فإن أهل السنة والجماعة يمشون فيها على طريقتهم يقفون فيها موقف الساكت فيقولون: لا نثبت الجسم ولا ننكره من حيث اللفظ، ولكننا قد نستفصل في المعنى فنقول للقائل: ماذا تريد بالجسم؟

---

[1] سورة الذاريات: الآية 52.

إن أردت الـذات الحقيقيـة المتصـفة بالصـفات الكاملـة اللائقة بها، فإن الله سـبحانه وتعـالى لم يـزل ولا يـزال حياً عليماً، قادراً، متصفاً بصفات الكمال اللائقة بــه، وإن أردت شيئاً آخر كجسمية الإنسان الـتي يفتقـر كـل جـزء من البدن إلى الجزء الآخر منه، ويحتاج إلى ما يمده حتى يبقى فهذا معـنى لا يليـق باللـه عـز وجـل، وبهـذا نكـون أعطينا المعنى حقه .

أما اللفظ: فلا يجوز لنـا أبـداً أن نثبتـه، أو ننفيـه، ولكننـا نتوقف فيه، لأننا إن أثبتنا قيل لنا: ما الدليل؟ وإن نفينا قيل لنا: ما الدليل؟ وعلى هذا فيجب السـكوت من حيث اللفظ، أما من حيث المعنى فعلى التفصيل الذي بيناه.

العنصـر السـادس: ادعى أهـل التحريـف والتعطيـل على أهل السنة أنهم أولوا بعض النصـوص ليلزمـوهم بتأويـل البقية أو المداهنة فيها:

هذه دعوى تلـبيس، وتشـكيك، وقـد نشـرت في الصـحف نشـرها من نشـرها وقـال: أنتم ياأهـل السـنة تشـنعون علينـا تقولـون: أنتم تؤولـون، وأنتم يـا أهـل السـنة قـد أولتم فما بالكم تشنعون علينا بالتأويل وأنتم تسلكونه؟

حقيقة إن هذه الحجة حجة قوية إذا ثبتت لأنه لا يحق لأي إنسـان أن يتحكم فيمـا يمكن تأويلـه أو يجب وفيمـا لا يمكن، ولكن أهل السنة والجماعة يقولـون :هـذه دعـوى تلبيس، وتشـكيك فإننـا لسـنا على هـذه الطريقـة وأنتم رميتمونا بذلك إما لإلزامنا أن نقـول بالتأويـل كمـا قلتم به وإما لإلزامنا أن نسكت عن تحـريفكم ونـداهن، ولكنـا بعون الله لن نسكت على ما نرمى به ونحن منه بريئون.

وهذا التأويـل الـذي ادعـاه بعض أهـل التأويـل ورمى بـه أهل السنة والجماعة لنا عنه جوابان:

الجواب الأول: أن نمنع أن يكون طريـق أهـل السـنة في ذلك تأويلاً، لأن التأويل في اصـطلاح المتـأخرين ــ وهـو الذي يعنيه هؤلاء ـ هو صرف اللفظ عن ظاهره.

وأهل السـنة يقولـون: ظـاهر الكلام مـا دل عليـه الكلام باعتبار السياق، أو باعتبار حال المتكلم به هذا هو ظاهر الكلام وليس للكلمـات معـنى خلقت لـه لا تسـتعمل في غيره، ولكن معنى الكلمات إنمـا يظهـر بسـياقها وبحـال

المتكلم بها، نحن كنا قرأنا في البلاغة أو بعض منا قرأ في البلاغة ورأى أن الاستفهام يأتي لعدة معانٍ، وقرأنا في حروف الجر ومعانيها، وعلمنا أن بعض الحروف يأتي لعدة معانٍ، فما الذين يعين هذه المعاني؟ أليس السياق؟ إذاً فحقيقة الكلام ما دل عليه سياقه، وظاهره ما دل عليه سياقه، وذلك باعتبار نظم الكلام وباعتبار حال المتكلم به فهذا الجواب، جواب مجمل أن نقول: لا نسلم بأن ظاهر الكلام خلاف ما دل عليه سياقه أو حال المتكلم به، بل ما دل عليه السياق فهو حقيقة الكلام وظاهره مطلقاً، حتى لو استعملت هذه الكلمة في غير هذا الموضع لمعنى آخر، فإن استعمالها في هذا الموضع للمعنى الذي دل عليه السياق هو في الواقع حقيقتها هذا جواب.

الجواب الثاني: لو سلمنا أن في اللفظ إخراجاً له عن ظاهره، فإن أهل السنة والجماعة لا يمكن أبداً أن يخرجوا لفظاً عن ظاهره إلا بدليل من الكتاب، أو السنة متصل، أو منفصل، وأنا أتحدى أي واحد يأتي إلي بدليل من الكتاب، أو السنة في أسماء الله وصفاته أخرجه أهل السنة عن ظاهره، إلا أن يكون لهم دليل بذلك من كتاب الله، أو من سنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وحينئذ إذا كان ما أخرجه إليه أهل السنة من المعنى ثابتاً بدليل من الكتاب والسنة فإنهم في الحقيقة لم يخرجوا عما أراد الله به، لأنهم علموا مراد الله به من الدليل الثاني من الكتاب والسنة، وليسوا بحمد الله يخرجون شيئاً من النصوص عما يقال :إنه ظاهره من أجل عقولهم حتى يتوصلوا إلى نفي ما أثبته الله لنفسه وإثبات ما لم يدل عليه ظاهر الكلام. هذا لا يوجد ولله الحمد في أي واحد من أهل السنة، والأمر إذا شئتم فارجعوا إليه في كتبهم المختصرة والمطولة ، ونحن نضرب لذلك بعض الأمثلة لا كل الأمثلة لأننا لو تتبعنا الأمثلة كلها التي قيل: إن أهل السنة والجماعة صرفوها عن ظاهرها لطال بنا الكلام لكننا نذكر عدة أمثلة فقط:

المثال الأول: قال أهل التأويل: أنتم يا أهل السنة أولتم قول الله عز وجل:]ثم استوى إلى السماء[[1] فقلتم: إن معنى الاستواء هنا "القصد والإرادة" وقلتم: إن معنى الاستواء في قوله تعالى:]ثم استوى على العرش[[2] "العلو والارتفاع"، وما هذا إلا تأويل منكم لأحد النصين لا يمكن أن تخرجوا عنه ومعلوم أن استوى على كذا ظاهرة جداً في العلو عليه، يبقى استوى إلى كذا معناها القصد، إذاً أخرجتم كلمة استوى عن ظاهرها.

وجوابنا على ذلك أن نقول: "استوى" كلمة يتحدد معناها بحسب متعلقها فمثلاً: "استوى على العرش" معناها العلو على وجه يليق بجلاله، ولا يشبه استواء المخلوق على المخلوق.

"استوى إلى السماء" اختلف الحرف فكان "إلى"، و"إلى" للغاية، وليست للعلو، ومعلوم أنها إذا كانت للغاية فإن الفعل مضمن معنى يدل على الغاية وهو: القصد والإرادة، وإلى هذا النحو ذهب بعض أهل السنة فقالوا: "استوى إلى السماء" أي قصد إلى السماء، والقصد إذا كان تاماً يعبر عنه بالاستواء، لأن الأصل في اللغة العربية أن مادة الاستواء تدل على الكمال كما في قوله تعالى:]ولما بلغ أشده واستوى[[3].

وجواب آخر أن نقول: "استوى إلى السماء" بمعنى ارتفع. قال البغوي: وهو مروي عن ابن عباس وأكثر المفسرين، ولكن هذا يجب أن لا نظن أن الله سبحانه وتعالى قد انتفى عنه العلو حين خلق الأرض، بل إنه سبحانه وتعالى لم يزل، ولا يزال عالياً، لأن العلو صفة ذاتية ولكن الاستواء هنا وإن كان بمعنى الارتفاع، إلا أننا لا نعلم كيفيته وهذا جواب آخر عن الآية.

والخلاصة الآن أننا إذاً فسرنا "استوى إلى السماء" بمعنى قصد إليها على الكمال فإننا لم نخرج عن ظاهر اللفظ، وذلك لاختلاف حرف الجر الذي تعلق باستوى

---

[1] سورة البقرة، الآية: 29.

[2] سورة الأعراف، الآية: 54.

[3] سورة القصص، الآية: 14.

في قوله:]استوى على العرش[[4] وفي قوله:]استوى إلى السماء[[5] وإذا قلنا بالقول الثاني الذي هو مروي عن ابن عباس وأكثر المفسرين بأنه ارتفع، فإنه لا يجوز لنا أن نتوهم بأن الله تعالى لم يكن عالياً من قبل.
أما المثال الثاني: فقال أهل التأويل: أنتم يا أهل السنة فسرتم قوله تعالى:]تجري بأعيننا[[1] أي بمرأى منا وهذا خلاف ظاهر اللفظ.

نقول لهم: ماذا تفهمون من هذا اللفظ؟ هل أحد يمكن أن يفهم أن الباء للظرفية، وأن سفينة نوح تجري في عين الله؟ أبداً لا أحد يفهم هذا إطلاقاً، وإتيان الباء للظرفية في بعض المواضع وارد، لكن في هذه الآية لا يمكن أبداً أن يكون كذلك.

إذاً فهذا الظاهر الذي زعمتم أنه ظاهر الآية لا نسلم أبداً أنه ظاهرها، لكن الذين فسروا]تجري بأعيننا[[2] بمرأى منا هؤلاء فسروا اللفظ بلازمه، وذلك صحيح، وليس خروجاً باللفظ عن ظاهره، لأن دلالة اللفظ على معناه: إما دلالة مطابقة، أو دلالة تضمن، أو دلالة التزام، وكل من الدلالات لا يخرج اللفظ عن ظاهره. هذه الدلالات الثلاث أوضحها بالمثال:
"البيت" يعني الدار تدل على جملة الدار وكتلتها جميعاً بالمطابقة، أي تدل على بناء مكون من حجر، وغرف، وساحات وغيرها بالمطابقة.
وتدل على كل حجرة أو كل غرفة، أو كل ساحة بالتضمن.

وتدل على أن هذا البيت لابد له من بان بناه بالالتزام.

فنحن نقول: تجري بأعيننا إذا كان الله تعالى يراها بعينه ويرعاها فإنها تجري بمرأى منه، وهذا معنى صحيح، ويمكن أن نجيب بجواب آخر بأن معناها: تجري مرئية بأعيننا، والمهم أن نثبت من هذه الآية أن لله

---

[4] سورة الأعراف، الآية: 54.

[5] سورة البقرة، الآية: 29.

[1] سورة القمر، الآية: 14.

[2] سورة القمر، الآية: 14.

سبحانه وتعالى عيناً لا تشبه أعين المخلـوقين، ولا يمكن أن نتصور لها كيفية، وبذلك لم نخرج عن ظاهر اللفظ.

وقد فسـر ابن عبـاس ــ رضـي اللـه عنهمـا ــ قولـه تعـالى:]ولتصـنع على عيـني[[3] أنهـا العين الحقيقيـة والمعنى أن موسى، صلى الله عليـه وسـلم، يـربى على عين الله أي: على رؤية بعين الله سبحانه وتعالى.

المثال الثالث: قال أهل التأويل:أنتم يا أهل السنة أولتم قولـه تعـالى:]ونحن أقـرب إليـه منكم[[4] إلى أن المـراد أقرب بملائكتنا وهذا تأويل ،لأنا لو أخـذنا بظـاهر اللفـظ لكان الضمير]نحن[يعود إلى اللـه، وأقـرب خـبر المبتـدأ، وفيه ضمير مستتر يعود على الله، فيكون القرب لله عز وجـل، ومعلـوم أنكم أهـل السـنة لا تقولـون بـذلك، لا تقولون: إن الله تعالى يقـرب من المحتضـر بذاتـه حـتى يكون في مكانه، لأن هـذا أمـر لا يمكن أن يكـون، إذ إنـه قول أهـل الحلـول الـذين ينكـرون علـو اللـه عـز وجـل، ويقولـون : إنـه بذاتـه في كـل مكـان وأنتم أهـل السـنة تنكرون ذلك أشد الإنكـار. إذاً مـاذا تقولـون أنتم يـا أهـل السنة ألستم تقولون: نحن أقرب إليـه أي إلى المحتضـر بملائكتنا، أي الملائكة تحضر إلى الميت وتقبض روحــه؟! هذا تأويل.

قلنا: الجواب على ذلك سهل ولله الحمـد فـإن الـذي يحضر الميت هم الملائكـة]حـتى إذا جـاء أحـدكم المـوت توفته رسلنا وهم لا يفرطون[[1]]ولو تـرى إذ الظـالمون في غمـرات المـوت والملائكـة باسـطوا أيـديهم أخرجـوا أنفسكم[[2] فالذي يحضـر إلى المحتضـر عنـد المـوت هم الملائكـة، وأيضـاً في نفس الآيـة مـا يـدل على أنـه ليس المراد قرب الله سبحانه وتعالى نفسه فإنه قـال:]ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون[[3].

---

[3] سورة طه، الآية: 39.

[4] سورة الواقعة، الآية: 85.

[1] سورة الأنعام، الآية: 61 .

[2] سورة الأنعام، الآية: 93.

[3] سورة الواقعة، الآية: 85.

فهذا يدل على أن هذا القريب حاضر، لكن لا نبصره، وذلك لأن الملائكة عالم غيبي الأصل فيهم الخفاء وعدم الرؤية. وعلى هذا فنحن لم نخرج بالآية عن ظاهرها لوجود لفظ فيها يعين المراد، ونحن على العين والرأس، والقلب نقبل كل شيء كان بدليل من كتاب الله، ومن سنة رسوله، صلى الله عليه وسلم.

المثال الرابع: قال أهل التأويل: أنتم يا أهل السنة أولتم قوله تعالى:]وهو معكم أينما كنتم[[4] فقلتم: وهو معكم بعلمه، وهذا تأويل فإن الله تعالى يقول:]وهو معكم[[5] والضمير في قوله :]وهو معكم[[6] يعود إلى الله. فأنتم يا أهل السنة أولتم هذا النص وقلتم: إنه معكم بالعلم. فإذاً كيف تنكرون علينا التأويل؟

قلنا: نحن لم نؤول الآية، بل إنما فسرناها بلازمها وهو: العلم، وذلك لأن قوله:]وهو معكم[لا يمكن لأي إنسان يعرف قدر الله عز وجل ويعرف عظمته، أن يتبادر إلى ذهنه أنه هو ذاته مع الخلق في أمكنتهم، فإن هذا أمر مستحيل، كيف يكون الله معك في البيت، ومع الآخر في المسجد، ومع الثالث في الطريق، ومع الرابع في البر، ومع الخامس في الجو، ومع السادس في البحر.. إلخ؟ لو قلنا بهذا فكم إلهاً يكون لو قلنا بهذا لزم أن يكون الله إما متعدداً، أو متجزئاً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وهذا أمر لا يمكن ولهذا نقول: من فهم هذا الفهم فهو ضال في فهمه ومن اعتقده فإنه ضال إن قلد غيره بذلك، وكافر إذا بلغه العلم، وأصر على قوله، ومن نسب إلى أحد من السلف أن ظاهرالآية أن الله معهم بذاته في أمكنتهم، فإنه بلا شك كاذب عليهم.

إذاً أهل السنة والجماعة يقولون: نحن نؤمن بأن الله تعالى فوق عرشه، وأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، وأنه مع خلقه كما قال في كتابه، ولكن مع إيماننا بعلوه. ولا يمكن أن يكون مقتضى معيته إلا الإحاطة بالخلق علماً، وقدرة، وسلطاناً، وسمعاً، وبصراً،

---

[4] سورة الحديد، الآية: 4.

[5] سورة الحديد، الآية: 4.

[6] سورة الحديد، الآية: 4.

وتدبيراً، وغير ذلك من معاني الربوبية، أما أن يكون حالاً في أمكنتهم، أو مختلطاً بهم كما يقول أهل الحلول والاتحاد، فإن هذا أمر باطل لا يمكن أن يكون هو ظاهر الكتاب والسنة، وعلى هذا فنحن لم نؤول الآية ولم نصرفها عن ظاهرها، لأن الذي قال عن نفسه:]وهو معكم[[1] هو الذي قال عن نفسه:]وهو العلي العظيم[[2] وهو الذي قال عن نفسه:]وهو القاهر فوق عباده[[3] إذاً فهو فوق عباده، ولا يمكن أن يكون في أمكنتهم، ومع ذلك فهو معهم محيط بهم علماً، وقدرة، وسلطاناً، وتدبيراً وغير ذلك.

وإذا أضيفت المعية إلى من يستحق النصر من الرسل وأتباعهم اقتضت مع الإحاطة علماً وقدرة، اقتضت نصراً وتأييداً، فنحن ولله الحمد ما خرجنا بهذا اللفظ عن ظاهره حتى يلزمونا بذلك.

وقد بين شيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ في كتبه المختصرة والمطولة أنه لا تعارض بين معنى المعية حقيقة وبين علو الله سبحانه وتعالى، قال: لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء في جميع صفاته فهو علي في دنوه، قريب في علوه.

وقال: "إن الناس يقولون :ما زلنا نسير والقمر معنا، مع أن القمر في السماء، وهم يقولون : معنا فإذا كان هذا ممكناً في حق المخلوق كان في حق الخالق من باب أولى".

والمهم أننا نحن معشر أهل السنة ما قلنا أبداً ولا نقول إن ظاهر الآية هو ما فهمتموه وأننا صرفناها عن ظاهرها، بل نقول : إن الآية معناها أنه سبحانه مع خلقه حقيقة، معية تليق به، محيط بهم علماً، وقدرة، وسلطاناً، وتدبيراً، وغير ذلك لأنه لا يمكن الجمع بين نصوص المعية وبين نصوص العلو إلا على هذا الوجه الذي قلناه، والله سبحانه وتعالى يفسر كلامه بعضه بعضاً.

---

(1) سورة الحديد، الآية: 4.

(2) سورة البقرة، الآية: 255.

(3) سورة الأنعام، الآية: 18.

المثال الخامس: قال أهل التأويل: إنه ثبت عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: قال الله تعالى: "من عادى لي ولياً فقد إذأته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعإذاًي لأعيذنه".

وأنتم يا أهل السنة هل تقولون : إن الله يكون سمع، وبصر، ويد، ورجل من يحبه حقيقة؟ إن لم تقولوا بذلك فقد صرفتم الحديث عن ظاهره، لأن الله يقول: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها".

وجوابنا: أنه لا أحد يفهم أن ظاهر الحديث هو هذا، أي إن الله يكون سمع الإنسان وبصره، ورجله، ويده حقيقة، لا أحد يفهم هذا، إلا من كان بليد الفهم، أو مظلم القلب بالتقليد، أو بالدعوى الباطلة. فالحديث لا يدل على أن حقيقة سمع الإنسان، وبصره، ورجله، ويده هو الله عز وجل وحاشاه عز وجل عن ذلك لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه. اقرأ الحديث: "من عادى لي ولياً فقد إذأته بالحرب". "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه".

فأثبت عابداً ومعبوداً، ومتقرباً ومتقرباً إليه، "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" فأثبت محباً ومحبوباً، "ولئن سألني لأعطينه" فأثبت سائلاً ومسؤولاً، ومعطياً ومعطى "ولئن استعإذاًي لأعيذنه" فأثبت مستعيذاً ومستعاذاً به، ومن المعلوم أن كل واحد من هذين هو غير الآخر بلا ريب.

إذا تقرر هذا فكيف يمكن أن يفهم أحد من قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: "كنت سمعه" أن الله سيكون جزءاً في هذا المخلوق الذي يتقرب إليه، والذي يستعيذ به، والذي يسأله، هذا لا يمكن أحداً أن يفهمه أبداً من سياق الحديث، وبهذا يكون معنى الحديث، وظاهر الحديث وحقيقة الحديث: أن الله سبحانه وتعالى

يسدد هذا الإنسان في سمعه، وبصره، وسعيه، فلا يسمع إلا بالله، ولله، وفي الله، ولا ينظر إلا للـه، وباللـه، وفي الله ولا يبطش إلا لله، وبالله، ولا يمشي إلا لله، وباللــه، وفي الله، هـذا هـو معـنى الحـديث، وحقيقتـه وظـاهره، وليس فيه ولله الحمد أي شيء من التأويل.

المثـال السـادس: قـال أهـل التأويـل: إنكم يـا أهـل السنة أولتم قول الرسول، صـلى الله عليـه وسـلم: "إن قلوب بـني آدم بين إصـبعين من أصـابع الـرحمن". حيث قلتم: إن المـراد أن اللـه سـبحانه وتعـالى متصـرف في القلــوب، ولا يمكن أن تكــون القلــوب بين إصــبعين من أصابع اليد، فإن هذا يقتضي الحلول وأن أصابع الله حالة في صدر كل إنسان.

قلنـا: هـذا كـذب على السـلف، والسـلف مـا أولـوا هـذا التأويل، ولا قالوا : إن الحـديث كنايـة عن سـلطان اللـه تعـالى، وتصـرفه في القلـوب. بـل قـالوا: نثبت أن للـه تعــالى أصــابع، وأن كــل قلب من بــني آدم فهــو بين إصـبعين من أصـابعه على وجـه الحقيقـة، ولا يلـزم من ذلك الحلول أبداً، فـإن البينيـة بين شـيئين لا يلـزم منهـا المماسة والمباشرة، أرأيتم قول الله تعالى:]والسحاب المسخر بين السماء والأرض[[1] هل يلزم من ذلك التعبير أن يكــون الســحاب لاصــقاً بالســماء والأرض؟ لا يمكن فقلوب بني آدم كلها، كمـا قـال نبينـا، صـلى اللـه عليـه وسلم، وهو أعلم الخلـق باللـه "بين إصـبعين من أصـابع الرحمن" ولا يلزم من ذلك أن يكون مماساً لهذه القلوب بل نقول كما قال نبينا، ونقول هذا على وجـه الحقيقـة وليس فيه تأويل.

ونثبت مع ذلك أيضاً أن الله تعالى يتصـرف في هـذه القلوب كمـا يشـاء كمـا جـاء في الحـديث ونقـول: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك.

المثال السابع والأخير: فهو الحجر الأسود يمين الله في الأرض، قال أهـل التأويـل: إنكم: تؤولـون هـذا الحـديث، لأنكم لا يمكن أن تقولوا :إن الحجر هو يد الله.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 164.

ونقول هـذا حـق، لا يمكن لأحـد أن يقـول إن الحجـر الأسود هو يد الله عزوجل، ولكن قبل أن نجيب على هذا نقول: إن هذا الحديث باطـل ولا يثبت عن النـبي، صـلى الله عليه وسلم.
قال ابن العربي: إنه حديث باطل.
وقال ابن الجوزي في "العلـل المتناهيـة": إنـه حـديث لا يصح.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمـه اللـه ـــ: "روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، بإسنادٍ لا يثبت".
وعلى هـــذا فإنـــه ليس وارداً على أهـــل الســـنة والجماعة لأنه لا يصح عن النبي، صلى الله عليـه وسـلم. ولكن قال شـيخ الإسـلام : إنـه مشـهور عن ابن عبـاس، ولكنه مع ذلـك لا يعطي المعـنى الـذي قالـه هـؤلاء، وأن الحجـر الأسـود يمين اللـه، لأنــه قــال: "يمين اللــه في الأرض" فقيده. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللـه ـ : والكلام إذا قيد ليس كـالكلام المطلـق مـا قـال: يمين اللـه وسـكت. قـال: في الأرض. ومعلـوم أن يمين اللـه ليست في الأرض، كذلك أيضاً قال في نفس الحديث كما رواه شـيخ الإسـلام ابن تيميـة : "فمن صـافحه فكأنمـا صافح الله". والتشبيه يدل على أن المشـبه بـه ليس هـو المشبه، وإنما هو غيره.
وخلاصة القول:
أن أهـل السـنة والجماعـة ـــ وللـه الحمـد ـــ لا يمكن أن يخرجوا الكلام عن ظاهره، لأن ظاهر الكلام وحقيقته ما دل عليه سياقه وهو مختلـف بحسـب السـياق، وبحسـب الأحـوال، فـإن لم يمكن ذلـك وأبى إنسـان إلا أن يجعـل معنى الكلمة معنى ذاتياً لها، فإننا نقول : لا يمكن لأهـل السنة والجماعة أن يتركوا هـذا المعـنى الـذي ادعى أنـه ذاتي لها إلا بدليل من الكتاب والسنة، ومتى دل الكتــاب والسنة على شيء وجب القول به سواء وافق ما يقال : إنه ظاهر اللفظ، أو خالفـه. ونحن كلنـا نلتمس مـا قالـه الله عن نفسه، وما قاله عنـه رسـوله، صـلى اللـه عليـه وسلم، ويدلكم لهـذا مـا ثبت في صـحيح مسـلم أن اللـه تعالى يقول: "عبدي جعت فلم تطعمني، عبـدي مرضـت

فلم تعدني، فيقول : كيف أطعمك وأنت رب العالمين، كيف أعودك وأنت رب العالمين. فيقول الله عزوجل: أما علمت أن عبدي فلاناً جاع فلم تعطمه مرض فلم تعده".

هذا الحديث يدلنا دلالة ظاهره على أن ما جاء في الكتاب والسنة مما أضافه إلى نفسه فهو حق على ظاهرة، ما لم يرد عن الله ورسوله صرفه عن ذلك، فإن ورد صرفه عن ظاهره فإننا آخذون به، وهذا الحديث الأخير دليل واضح على منع التأويل الذي ليس له دليل من الكتاب والسنة ولعلنا نقتصر على هذا خوفاً من التطويل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

* * *

منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذاه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى يقول:]يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما

رجـالاً كثـيراً ونسـاء واتقـوا اللـه الـذي تسـاءلون بـه والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً[[1].

]يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً . يصـلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع اللـه ورسـوله فقد فاز فوزاً عظيماً[[2].

---

[1] سورة النساء، الآية: 1.

[2] سورة الأحزاب، الآيتان: 70-71.

المراد بأهل السنة والجماعة وبيان طريقهم

أهل السنة والجماعة هم الـذين هـداهم اللـه تعـالى لما اختلف فيه من الحق بإذأه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وكلنـا نعلم أن رسـول اللـه، صـلى الله عليه وسلم، بعث بالهدى ودين الحق، الهدى: الـذي ليس فيـه ضـلالة، ودين الحـق: الـذي ليس فيـه غوايـة، وبقي النـاس في عهـده على هـذا المنهـاج السـليم القـويم، وكذلك عامة زمن خلفائه الراشدين، ولكن الأمة بعد ذلك تفـرقت تفرقـاً عظيمـاً متباينـاً، حـتى كـانوا على ثلاث وسبعين وفرقة كلها في النـار إلا واحـدة، وهي مـا كـان عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصـحابه، بهـذا نقول : إن هذه الفرقة هي فرقة أهل السـنة والجماعـة وهذا الوصف لا يحتاج إلى شرح في بيان أنهم هم الذين على الحـق، لأنهم أهـل السـنة المتمسـكون بهـا، وأهـل الجماعة المجتمعون عليها ولا تكاد تـرى طائفـة سـواهم إلا وهم بعيدون عن السنة بقدر ما ابتدعوا في دين اللـه سبحانه وتعالى، ولا تجد فرقة غيرهم إلا وجـدتهم فرقـة متفرقين فيما هم عليه من النحلة.

وقد قال سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسـلام:]إن الـذين فرقـوا دينهم وكـانوا شـيعاً لسـت منهم في شـيء إنمـا أمـرهم إلى اللـه ثم ينـبئهم بمـا كـانوا يفعلون[[1].

إذاً لا حاجـة لنـا إلى التطويـل بتعريـف أهـل السـنة والجماعة. لأن هذا اللقب يبرهن على معناه برهاناً كاملاً وأنهم المتمسـكون بالسـنة المجتمعـون عليهـا ونحن نلخص الكلام في نقاط رئيسية هي:

أولاً: بيان طريق أهل السـنة والجماعـة في أسـماء اللـه تعالى وصفاته مع أمثلة توضح تلك الطريقة:

أهل السنة والجماعة طريقتهم في أسماء اللـه وصـفاته أنهم يعتـبرون أن مـا ثبت من أسـماء اللـه وصـفاته في كتاب الله، أو فيما صح عن رسول الله، صلى اللـه عليـه وسلم، هو حق على حقيقته يـراد بـه ظـاهره ولا يحتـاج

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 159.

إلى تحريـف المحـرفين وذلـك لأن تحريـف المحـرفين مبني على سوء فهم، أو سوء قصـد حيث ظنـوا أنهم إذا أثبتـوا تلـك النصـوص، أو تلـك الأسـماء والصـفات على ظاهرهـا ظنـوا أن ذلـك إثبـات للتمثيـل ولهـذا صـاروا يحرفون الكلم عن مواضعه وقد يكونون ممن لم يفهموا هذا الفهم ولكن لهم سوء قصـد في تفريـق هـذه الأمـة الإسلامية شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بأن ما سمى اللـه بـه نفسه وما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لســان رسوله، صلى الله عليـه وسـلم، فهـو حـق على حقيقتـه وعلى ظاهره، ولا يحتاج إلى تحريـف المحـرفين بـل هـو أبعد ما يكون عن ذلك، وهـو أيضـاً لا يمكن أن يفهم منـه مالا يليق بالله عـز وجـل من صـفات النقص أو المماثلـة بالمخلوقين، بهـذه الطريقـة المثلى يسـلمون من الزيـغ والإلحاد في أسماء الله وصـفاته، فلا يثبتـون للـه إلا مـا أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله، صلى الله عليـه وسـلم، غـير زائـدين في ذلـك ولا ناقصـين عنـه، ولهـذا كـانت طريقتهم أن أسماء الله وصفاته توقيفيـة لا يمكن لأحـد أن يسمي الله بما لم يسم بـه نفسـه، أو أن يصـف اللـه بما لم يصف به نفسه.

فـإن أي إنسـان يقـول إن من أسـماء اللـه كـذا ، أو ليس من أسماء الله ، أو أن من صفات الله كـذا، أو ليس من صفات اللـه بلا دليـل لا شـك أنـه قـول على اللـه بلا علم وقد قال الله سبحانه وتعـالى:]قـل إنمـا حـرم ربي الفـواحش مـا ظهـر منهـا ومـا بطن والإثم والبغي بغـير الحـق وأن تشـركوا باللـه مـالم يـنزل بـه سـلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون[[1].

وقال تعـالى:]ولا تقـف مـا ليس لـك بـه علم إن السـمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً[[2].

ثم إن طريقتهم في أسماء الله تعالى أن ما سـمى اللـه به نفسه فإن كان من الأسماء المتعدية فإنهم يرون من شرط تحقيق الإيمان به ما يلي:

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 33.

[2] سورة الإسراء، الآية: 36.

1- 1- أن يؤمن المرء بذلك الاسم اسماً له عز وجل.
2- 2- أن يؤمن بما دل عليه من الصفة سواء كانت الدلالة تضمناً أو التزاماً.
3- 3- أن يؤمن بأثر ذلك الاسم الذي كان مما دل عليه الاسم من الصفة ونحن هنا نضرب مثلاً:

من أسماء الله تعالى: "السميع" يجب على طريق أهل السنة والجماعة أن يثبت هذا الاسم من أسماء الله فيدعى الله به ويعبد به فيقال مثلاً : عبد السميع ويقال : يا سميع يا عليم وما أشبه ذلك لأن الله تعالى يقول:]ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها[[3].

وكذلك أيضاً يثبت ما دل عليه هذا الاسم من الصفة وهي السمع فنثبت لله سمعاً عاماً شاملاً لا يخفى عليه أي صوت وإن ضعف.

كما نثبت أيضاً أثر هذه الصفة وهي أن الله تبارك وتعالى يسمع كل شيء وبهذا ننتفع انتفاعاً كبيراً من أسماء الله لأنه يلزم من هذه الأمور الثلاثة التي أثبتناها في الاسم إذا كان متعدياً أن نتعبد الله بها فنحقق قول الله عز وجل:]ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها[[4].

فأنت إذا آمنت بأن الله يسمع فإنك لن تسمع ربك ما يغضبه عليك لن تسمعه إلا ما يكون به راضياً عنك لأنك تؤمن أنك مهما قلت من قول سواء كان سراً أم علناً فإن الله تبارك وتعالى يسمعه، وسوف ينبئك بما كنت تقول في يوم القيامة، وسوف يحاسبك على ذلك على حسب ما تقتضيه حكمته في كيفية من يحاسبهم تبارك وتعالى، إذاً القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الاسم من أسماء الله إذا كان متعدياً فإنه لا يمكن تحقيق الإيمان به إلا بالإيمان بهذه الأمور الثلاثة:

1- 1- أن نؤمن به اسماً من أسماء الله فنثبته من أسمائه.
2- 2- أن نؤمن بما دل عليه من صفة.
3- 3- أن نؤمن بما يترتب على تلك الصفة من الأثر.

---

[3] سورة الأعراف، الآية: 180.

[4] سورة الأعراف، الآية: 180.

وبهـذا يتحقـق الإيمـان بأسـماء اللـه تبـارك وتعـالى المتعدية.

أما إذا كان الاسم لازماً فـإنهم يثبتـون هـذا الاسـم من أسماء الله، ويسمون الله به ويدعون الله به، ويثبتون ما دل عليه الاسم من صفة على الوجه الأكمل اللائق باللـه تعالى، ولكن هنا لا يكون أثر، لأن هذا الاسم مشـتق من شيء لا يتعدى موصوفه فلذلك لا يكون له أثـر، ونضـرب مثلاً بـ"الحي" فإن الحي من أسماء الله عز وجـل، نثبتـه اسماً لله فنقول: من أسماء الله تعـالى: "الحي" ونـدعو الله به فنقول: "يا حي، يا قيوم".

ونؤمن بما دل عليه من صفة، سواء كان ذلـك تضـمناً، أو التزاماً وهي الحياة الكاملة التي تتضمن كل ما يكون من صـفات الكمـال في الحي من علم، وقـدرة، وسـمع، وبصـر، وكلام وغـير ذلـك، فعلى هـذا نقـول : إذا كـان الاسم من أسماء الله غير متعد فإن تحقيـق الإيمـان بـه يكون بأمرين.

أحدهما: إثباته اسماً من أسماء الله.

والثاني: إثبات ما دل عليه من الصفة على وجـه الكمـال اللائق بالله تبارك وتعالى.

أمـا الصـفات فإننـا لا نصـف اللـه إلا بمـا وصـف بـه نفسه سواء ذكر الصفة وحدها بدون أن يتسمى بما دلت عليه، أو كانت هذه الصفة مما دلت عليها أسـماؤه، فإنـه يجب علينـا أن نـؤمن بهـذه الصـفة على حقيقتهـا مثـال ذلك: أثبت اللـه تبـارك وتعـالى لنفسـه أنـه اسـتوى على عرشه. وهـو يخاطبنـا بـالقرآن النـازل باللسـان العـربي المـبين وكـل النـاس الـذين لهم ذوق في اللغـة العربيـة يعلمون معنى استوى في اللغة العربية ولهذا قال الإمام مالـك رحمـه اللـه تعـالى وقـد سـئل عن قولـه تعـالى:]الرحمن على العـرش اسـتوى[[1] كيـف اسـتوى؟ فقـال: "الاستواء معلوم، والكيـف مجهـول، والإيمـان بـه واجب، والسـؤال عنـه بدعـة". هـذا هـو اللفـظ المشـهور عنـه واللفـظ الـذي نقـل عنـه بالسـند قـال: "الاسـتواء غـير مجهـول، والكيـف غـير معقـول، والإيمـان بـه واجب،

---

[1] سورة طه، الآية: 5 .

والسؤال عنه بدعة". وهـذا اللفـظ أدق من اللفـظ الـذي سقناه قبل، لأن كلمة "الكيف غير معقول" تدل على أنه إذا انتفى عنــه الــدليلان النقلي والعقلي فإنــه لا يمكن التكلم به.

هذه الصفة من صفات الله لم يـرد اسـم من أسـماء الله مشتق منها فلم يـرد من أسـمائه المسـتوي، ولكننـا نقول : إنه استوى على العرش ونؤمن بهذه الصفة على الوجه اللائق به ونعلم أن معنى الاستواء هو العلـو، فهـو علــو خــاص بــالعرش، ليس العلــو المطلــق على جميــع المخلوقات، بـل هـو علـو خـاص ولهـذا نقـول في قولـه تعـالى:]اسـتوى على العـرش[[1] : أي علا واسـتقر على وجه يليق بجلاله وعظمته، وليس كاستواء الإنســان على البعـير والكرسـي مثلاً لأن اسـتواء الإنسـان على البعـير والكرسي استواء مفتقر إلى مكانه الـذي يسـتوي عليـه، أما استواء الله جل ذكره فإنه ليس اسـتواء مفتقـر، بـل إن اللـه تبـارك وتعـالى غـني عن كـل شـيء، كـل شـيء مفتقر إلى الله، والله تبارك وتعالى غني عنه.

ومن زعم أنه بحاجة إلى عرش يقله فقد أساء الظن ؟ بربه عز وجـل فهـو سـبحانه وتعـالى غـير مفتقـر إلى شيء من مخلوقاته، بل جميـع مخلوقاتـه مفتقـرة إليـه، كـذلك الـنزول إلى سـماء الـدنيا حينمـا يبقى ثلث الليـل الآخر نؤمن به على أنه نـزول حقيقي، لكنـه يليـق باللـه عز وجل لا يشبه نزول المخلـوقين، ومن هنـا نقـول إنـه يجب على المؤمن أن يتحاشى أمراً يلقيه الشــيطان في باله أمراً خطيراً للغاية ـ وهو أمر حمـل أهـل البـدع على تحريــف النصــوص من أجــل هــذا الأمــر الــذي يجعلــه الشيطان في قلوب الناس ـ ألا وهو تخيـل كيفيـة صـفة من صفات الله، أو تخيل كيفية ذات الله عز وجل.

فاعلم أنه لا يجوز أبداً أن يتخيل كيفيـة ذات اللـه، أو كيفية صفة من صفاته، واعلم أنــك إن تخيلت أو حـاولت التخيل فإنك لابد أن تقع في أحد محذورين:

إما التحريف والتعطيل، وإما التمثيل والتشبيه ولهذا يجب عليكم أيها الإخوة أن لا تتخيلوا أي شيء من كيفية

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 54 .

صـفات اللـه عـز وجـل، لا أقـول : لا تثبتـوا المعـنى لأن المعـنى يجب أن يثبت لكن تخيـل كيفيـة تلـك الصـفة لا يمكن أن تتخيلها وعلى أي مقياس تقيس هذا التخيل.
لا يمكن أبـداً أن تتخيـل كيفيـة صـفات اللـه عـز وجـل لا بالتقــدير ولا بــالقول يجب عليــك أن تتجنب هــذا لأنــك تحاول ما لا يمكن الوصول إليه بل تحاول مـا يخشـى أن يوقعك في أمر عظيم لا تستطيع الخلاص منه إلا بسلوك التمثيل والتعطيل وذلك لأن الرب جلت عظمتــه لا يمكن لأحد أن يتخيله على كيفية معينة لأنه إن فعل ذلـك فقـد قفا ما ليس له به علم وقد قال الله تعالى :]ولا تقـف ما ليس لك به علم[[2] .
وإن تخيله على وصف مقارب بمثيل فقد مثل الله واللـه سبحانه وتعالى يقول:]ليس كمثله شـيء وهـو السـميع البصير[[1].
وبهـذا نعلم أن من أنكـر صـفات اللـه أنكرهـا لأنـه تخيـل أولاً، ثم قالوا : هذا التخيل يلزم منه التمثيل ثم حرفــوا، ولهذا نقول : إن كل معطل ومنكر للصفات فإنــه ممثــل سبق تمثيله تعطيله. مثل أولاً وعطل ثانياً ولـو أنـه قـدر الله حـق قـدره ولم يتعـرض لتخيـل صـفاته سـبحانه مـا احتاج إلى هذا الإنكار وإلى هذا التعطيل.

---

[2] سورة الإسراء، الآية: 36 .
[1] سورة الشورى، الآية: 11 .

ثانياً: طريقة أهل السنة والجماعة في عبادة الله

طريقتهم أنهم يعبدون الله، لله، وبالله، وفي الله.

أما كونهم يعبدون الله لله فمعنى ذلك الإخلاص يخلصون لله عز وجل لا يريدون بعبادتهم إلا ربهم لا يتقربون إلى أحد سواه، إنما يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، ما يعبدون الله لأن فلاناً يراهم، وما يعبدون الله لأنهم يعظمون بين الناس، ولا يعبدون الله لأنهم يلقبون بلقب العابد لكن يعبدون الله لله.

وأما كونهم يعبدون الله بالله.

أي مستعينين به لا يمكن أن يفخروا بأنفسهم، أو أن يروا أنهم مستقلون بعبادتهم عن الله، بل هم محققون لقول الله تعالى:]إياك نعبد وإياك نستعين[[1]. ـ]فإياك نعبد[[2] يعبدون الله لله،]وإياك نستعين[[3] يعبدون الله بالله، فيستعينونه على عبادته تبارك وتعالى.

وأما كونهم يعبدون الله في الله أي في دين الله، في الدين الذي شرعه على ألسنة رسله ، وهم -أهل السنة والجماعة - في هذه الأمة يعبدون الله بما شرعه على لسان رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم ، لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه، فهم يعبدون الله في الله في شريعته في دينه لا يخرجون عنه لا زيادة ولا نقصاً لذلك كانت عبادتهم هي العبادة الحقة السالمة من شوائب الشرك والبدع، لأن من قصد غير الله بعبادته فقد أشرك به، ومن تعبد الله بغير شريعته فقد ابتدع في دينه والله سبحانه وتعالى يقول:]وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة[[4].

فعبادتهم لله في دين الله لا يبتدعون ما تستحسنه أهواؤهم لا أقول :ما تستحسنه عقولهم لأن العقول

---

[1] سورة الفاتحة، الآية: 5.

[2] سورة الفاتحة، الآية: 5.

[3] سورة الفاتحة، الآية: 5.

[4] سورة البينة، الآية: 5.

الصحيحة لا تستحسن الخروج عن شريعة الله لأن لـزوم شـريعة اللـه مقتضـى العقـل الصـريح،ولهـذا كـان اللـه سبحانه وتعـالى ينعي على المكـذبين لرسـوله عقـولهم ويقول:]بل أكثرهم لا يعقلون[.

لو كنا نتعبد لله بما تهـواه نفوسـنا وعلى حسـب أهوائنـا لكنا فرقاً وشيعاً كل يستحسـن مـا يريـد فيتعبـد للـه بـه وحينئذ لا يتحقق فينـا وصـف اللـه سـبحانه وتعـالى في قوله:]وإن هذه أمتكم أمة واحدة[[5].

ولننظر إلى هؤلاء الذين يتعبدون لله بالبدع الـتي مـا إذاً الله بها ولا أنزل بها من سلطان، كيف كانوا فرقاً يكفـر بعضهم بعضاً ويفسق بعضهم بعضاً، وهم يقولـون: إنهم مسلمون لقد كفر بعض الناس بعضـاً في أمـور لا تخـرج الإنسـان إلى الكفـر ولكن الهـوى أصـمهم وأعمى أبصارهم.

نحن نقول إننا إذا سرنا على هذا الخـط لا نعبـد اللـه إلا في دين الله فإننا سوف نكون أمـة واحـدة، لـو عبـدنا اللـه تعـالى بشـرعه وهـداه لا بهوانـا لكنـا أمـة واحـدة فشريعة الله هي الهدي وليست الهوى.

إذاً لو أن أحداً من أهـل البـدع ابتـدع طريقـة عقديـة (أي تعود للعقيدة) أو عملية (تعود إلى العمـل) من قـول أو فعل، ثم قال: إن هذه حسنة. والنبي، صلى الله عليـه وسلم ، يقول: "من سن في الإسـلام سـنة حسـنة فلـه أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة". قلنا له بكـل بسـاطة : هـذا الحسـن الـذي ادعيت أنـه ثـابت في هـذه البدعـة هـل كـان خافيـاً لـدى الرسـول، عليـه الصـلاة والسلام، أو كان معلوماً عنده لكنه كتمه ولم يطلع عليـه أحد من سلف الأمة حتى ادخر لك علمه؟!

والجواب: إن قال بالأول فشـر وإن قـال بالثـاني فـأطم وأشر.

فـإن قـال: إن الرسـول، عليـه الصـلاة والسـلام لا يعلم حسن هذه البدعة ولذلك لم يشرعها.

قلنا: رميت رسول الله، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، بـأمر عظيم حيث جهلته في دين الله وشريعته.

---

[5] سورة المؤمنون، الآية: 52.

وإن قال :إنه يعلم ولكن كتمه عن الخلق.
قلنا له: وهذه أدهى وأمر لأنك وصفت رسـول اللـه، صلى الله عليه وسلم ، الذي هو الأمين الكـريم وصـفته بالخيانة وعدم الجود بعلمه، وهذا أشـر من وصـفه بعـدم الجود بماله، مع أنه، صلى الله عليه وسـلم ، كـان أجـود الناس، وهنا شـر قـد يكـون احتمـالاً ثالثـاً بـأن الرسـول، صلى اللـه عليـه وسـلم ، علمهـا وبلغهـا ولكن لم تصـل إلينا، فنقول له :وحينئـذ طعنت في كلام اللـه عـز وجـل لأن اللـه تعـالى يقـول:]إنـا نحن نزلنـا الـذكر وإنـا لـه لحافظون[[1] وإذا ضاعت شريعة من شريعة الذكر فمعنى ذلـك أن اللـه لم يقم بحفظـه بـل نقص من حفظـه إيـاه بقدر ما فات من هذه الشريعة التي نـزل من أجلهـا هـذا الذكر.
وعلى كل حال فإن كل إنسان يبتـدع مـا يتقـرب بـه إلى ربه من عقيـدة أو عمـل قـولي أو فعلي فإنـه ضـال لقول رسول الله، صـلى اللـه عليـه وسـلم : "كـل بدعـة ضلالة" وهذه كلية عامـة لا يسـتثنى منهـا شـيء إطلاقـاً فكـل بدعـة في دين اللـه فإنهـا ضـلالة وليس فيهـا من الحق شيء فإن الله تعـالى يقـول:]فمـاذا بعـد الحـق إلا الضلال فأنى تصرفون[[2] .
ثم نقول : إن الحديث لا يدل على كل بدعة بل قال: "من سـن في الإسـلام" ومـا خـرج عن شـريعة الرسـول ليس من الإسلام بل قد قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة" وبهذا نعرف أنـه لابـد أن تكـون هـذه السـنة ممـا أثبتـه الإسـلام وإلا ليسـت سـنة في الإسـلام ومن علم سـبب الحـديث الـذي ذكرنـاه علم أن المـراد بالسـنة المبادرة بالعمـل أو السـبق إلى تنفيـذ سـنة كـان أسـبق الناس بها لأن سبب الحديث معلوم وهو أن جماعة جاؤوا إلى النبي، صلى الله عليه وسـلم ، وكـانوا فقـراء فحث المسلمين على التصـدق عليهم فـأتى رجـل من الأنصـار بصرة قد أثقلت يده فوضعها بين يديه، صـلى اللـه عليـه وسلم ، فقال: "من سن في الإسـلام سـنة حسـنة فلـه

---

(1) سورة الحجر، الآية: 9.

(2) سورة يونس، الآية: 32.

أجرها وأجر من عمل بهـا". وبهـذا عرفنـا المـراد أن من سنها ليس من شرعها لكن من عمل بهـا أولاً لأنـه بـذلك أي بعمله أولاً يكون هو إماماً للناس فيهـا فيكـون قـدوة خير وحسنة فيكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يـوم القيامة.

ولا يرد على ذلك ما ابتدع من الوسائل الموصلة إلى الأمور المشـروعة فـإن هـذه وإن تلجلج بهـا أهـل البـدع وقعدوا بها بدعهم فإنه لا نصيب لهم منهـا، إلا أن يكـون الراقم على الماء له نصيب من الحروف بارزة في الماء.

أقول :إن بعض الناس يستدلون على تحسين بدعهم التي ابتدعوها في دين الله والـتي يلـزم منهـا مـا سـبق ذكره بما أحدث من الوسائل لغايات محمودة.

احتجــوا على ذلــك بجمــع القــرآن، وبتوحيــده في مصحف واحد وبالتأليف، وببناء دور العلم وغير ذلك ممــا هو وسائل لا غايات، فهناك فرق بين الشيء الذي يكـون وسيلة إلى غاية محمودة مثبتة شرعاً لكنها لا تتحقــق إلا بفعل هـذه الوسـيلة فهـذه الوسـيلة طبعـاً تتجـدد بتجـدد الـزمن وتختلـف بـاختلاف العصـور، هـا هـو قولـه عـز وجل:]وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة[[1] وإعداد القــوة على عهده عليه الصلاة والسـلام غـير إعـداد القـوة في زمننا هذا فإذا ما أحدثنا عملاً معيناً نتوصل بـه إلى إعـداد القوة فإن هذه بدعة وسيلة وليسـت بدعـة غايـة يتقـرب بها إلى الله ولكنها بدعة وسيلة، ومن القواعـد المقـررة عند أهل العلم أن للوسائل أحكام المقاصد وبهذا نعــرف أن ما تلجلج به مبتدع الحوادث في دين اللـه باسـتدلالهم بمثل هذه القضايا أنه ليس لهم فيها دليـل أبـداً لأن كـل ما حصل فهو وسائل لغايات محمودة.

فجمع القرآن والتصنيف وما أشبه ذلك كلـه وسـائل لغايات هي مشروعة في نفسها فيجب على الإنسـان أن يفـرق بين الغايـة والوسـيلة فمـا قصـد لذاتـه فقـد تم تشريعه من عند الرسول عليه الصلاة والسلام بما أوحـاه الله إليه من الكتاب العظيم ومن السنة المطهرة ولـدينا ولله الحمد آية نتلوها في كتاب الله. وهي قولـه تعـالى:

---

[1] سورة الأنفال، الآية: 60.

]اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمـتي ورضـيت لكم الإسلام ديناً[[1] فلو كان في المحدثات مـا يكمـل بـه الـدين لكـانت قـد شـرعت وبينت وبلغت وحفظت، ولكن ليس فيها شيء يكون فيه كمال الدين بل نقص في دين الله.

قد يقول بعض الناس: إننـا نجـد في هـذه الحـوادث نجـد عاطفة دينية ورقـة قلبيـة واجتماعـاً عليهـا فنقـول :إن الله تعالى أخبر عن الشـيطان أنـه قـال:]ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شـمائلهم[[2] يزينها الشيطان في قلب الإنسان ليصده عمـا خلـق لـه، عن عبادة الله التي شرع فترضخ النفس بواسطة تسلط الشـيطان على المـرء حـتى يصـده عن دين الحـق، وقـد أخبر الرسول، صلى اللـه عليـه وسـلم ، بـأن الشـيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، بل في القرآن قبل ذلك. قال الله تعالى:]إنه ليس له سـلطان على الـذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلون. إنما سـلطانه على الـذين يتولونـه والذين هم به مشركون[[3] فجعل الله للشيطان سـلطاناً على من تولاه وأشرك به أي جعل لله شريكاً به بواسطة الشيطان وكـل من جعـل لـه متبوعـاً في بدعـة من دين الله فقد أشرك بالله عز وجل وجعل هذا المتبوع شريكاً لله تعالى في الحكم.

وحكم الله الشرعي والقدري لا شريك لـه فيـه أبـداً]إن الحكم إلا لله أمـر ألا تعبـدوا إلا إيـاه[[4] وركـزت على هذا الأمر لكي يعلم أهل الإحداث المحـدثون أنـه لا حجـة لهم فيما أحـدثوه، واعلم رحمـك اللـه أنـه لا طريـق إلى الوصـول إلى اللــه عــز وجــل وإلى دار كرامتــه إلا من الطريـق الـذي وضـعه هـو سـبحانه وتعـالى على لسـان رسوله، صلى الله عليه وسلم .

]للـه المثـل الأعلى[لـو أن ملكـاً من الملـوك فتح بابـاً للدخول عليه وقال : من أراد أن يصـل إلي فليـدخل من

---

(1) سورة المائدة، الآية: 3.

(2) سورة الأعراف، الآية: 17.

(3) سورة النحل، الآيتان: 99-100.

(4) سورة يوسف، الآية: 40.

هـذا البـاب فمـا ظنكم بمن ذهب إلى أبـواب أخـرى هـل يصل إليه. كلا بالطبع.
والملك العظيم، ملك الملوك، وخالق الخلق جعل طريقـاً إليـه خاصـاً بمـا جـاءه بـه رسـله وعلى رأسـهم خـاتمهم محمد، صلى الله عليه وسـلم ، الـذي بعـد بعثـه لا يمكن لأي بشـر أن ينـال السـعادة إلا من طريقـه، صـلى اللـه عليه وسلم .
والحقيقة أن تعظيم الرسول، صلى الله عليه وسلم ، وأن الأدب مـع الرسـول، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، أن نسلك مـا سـلك، ونـذر مـا تـرك، وأن لا نتقـدم بين يديـه فنقول في دينـه مـا لم يقـل، أو نحـدث في دينـه مـا لم يشرع.
هــل من محبــة الرســول عليــه الصــلاة والســلام وتعظيمه أن نحدث في دينه شـيئاً يقـول هـو عنـه: "كـل بدعة ضلالة". ويقـول: "من عمـل عملاً ليس عليـه أمرنـا فهو رد". هل هذا من محبة الرسول؟! هل هذا من محبـة الله عز وجل؟! أن تشرع في دين الله مالم يشرع؟] قل إن كنتم تحبـون اللـه فـاتبعوني يحببكم اللـه ويغفـر لكم ذنوبكم[[1]

---

[1] سورة آل عمران، الآية: 31.

ثالثاً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم

من المعلوم أنـه لا يتم الإسـلام إلا بشـهادة أن لا إلـه إلا اللـه وأن محمـداً رسـول اللـه، والشـهادة لا تتحقـق إلا بثلاثة أمور:

1- 1- عقيدة في القلب.
2- 2- نطق في اللسان.
3- 3- عمل في الأركان.

ولهذا يقول المنافقون للرسول عليه الصلاة والسلام إذا جاؤوه : نشهد إنك لرسول الله. ويقول الباري جل ذكره فيهم:]والله يشهد إن المنافقين لكاذبون[[1] لمـاذا؟ لأن هذه الشهادة فقد منهـا أعظم ركن فيهـا وهـو العقيـدة فهم يقولـون بألسـنتهم مـا لا يعتقدونـه في قلـوبهم، فمن قال: أشهد أن محمداً رسول الله ولكن قلبـه خـال من هذه الشهادة فإنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله.

ومن اعتقـد ذلـك ولم يقلـه بلسـانه فإنـه لم يحقـق شهادة أن محمداً رسول الله.

ومن قال ذلك لكن لم يتبعه في شريعته فإنـه لم يحقـق شهادة أن محمداً رسول الله . وكيف تخالفه وأنت تعتقد بأنه رسول رب العالمين وأن شريعة الله هو ما جاء به؟. كيف تقول : إنك شهدت أن محمداً رسول الله على وجه التحقيق. لهذا نعتقد أن كل من عصى الله ورسوله فإنه لم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله.

لست أقول : إنه ما يشهد ولكنه لم يحقق وقـد نقص من تحقيقه إياه بقدر ما حصل منه من مخالفة.

إذاً طريقة أهل السنة والجماعة في حق رسول اللـه عليه الصلاة والسلام الشـهادة لـه بقلـوبهم، وألسـنتهم، وأعمالهم أنه رسول الله كذلك أيضـاً يحبونـه حب تقـدير وتعظيم حباً تابعاً لمحبة الله عز وجل.

---

[1] سورة المنافقون، الآية: 1.

وليسوا يحبونه من باب التعبد له بمحبته لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يتعبد لله به ـ أي بشرعه ـ ولكنه لا يعبد هو.

فهم يحبون الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه رسول رب العالمين. ومحبتهم له من محبة الله تبارك وتعالى، ولولا أن الله أرسل محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي لكان رجلاً من بني هاشم لا يستحق هذه المرتبة التي استحقها بالرسالة.

إذاً نحن نحبه ونعظمه لأننا نحب الله ونعظمه فمن أجل أنه رسول الله وأن الله تبارك وتعالى هدى به الأمة حينئذ نحبه فالرسول عليه الصلاة والسلام عند أهل السنة والجماعة محبوب، لأنه رسول رب العالمين، ولا شك أنه أحق الناس، بل أحق الخلق وأجدرهم بتحمل هذه الرسالة العظيمة عليه الصلاة والسلام.

كذلك أيضاً يعظمون الرسول عليه الصلاة والسلام حق التعظيم ويرون أنه أعظم الناس قدراً عند الله عز وجل.

لكن مع ذلك لا ينزلونه فوق منزلته التي أنزله الله، يقولون: إنه عبد الله، بل هو أعبد الناس لله عز وجل حتى إنه يقوم حتى تتورم قدماه فيقال: كيف ذلك وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: "أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً".

من يحقق العبادة كتحقيق الرسول عليه الصلاة والسلام ولهذا قال: "إني والله أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقى". فهو بلا شك أعظم العابدين عبادة وأشدهم تحقيقاً لها صلى الله عليه وسلم، ولهذا حين تحدث عن البصل والكراث قال المسلمون : حرمت فقال: "أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله".

انظروا إلى هذا الأدب مع الله عز وجل هكذا العبودية، ولهذا هم يقولون : إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، عبد من عباد الله، وهو أكمل الناس في عبوديته لله.

ويؤمنون أيضاً بأن الرسول، صلى الله عليه وسلم ، لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه لا يملك لنفسه ضراً

ولا نفعاً ولا لغيره والله تعالى قد أمره أن يبلغ ذلـك إلى الأمة فقال:]قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك[[1].
وما هي وظيفته]إن أتبع إلا ما يوحى إلي[. ومن زعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم شـيئاً من الغيب غـير ما أطلعه الله عليه فهو كافر بالله ورسوله، لأنـه مكـذب لله ورسوله.
فإن الرسول أمـر أن يقـول وقـال، قـال قـولاً يتلى إلى يوم القيامة قوله:]قل لا أقـول لكم عنـدي خـزائن اللـه ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك[.
وبمناسـبة هـذه الآيـة الكريمـة أود أن أقـول:إن القـرآن الكريم أحياناً تصدر الأخبار فيه بكلمة
]قل[وكل شيء صدر بهذه الكلمة معناه أن الله سـبحانه وتعالى اعتنى به عناية خاصة لأن الرسول، عليه الصـلاة والسلام، قد أمر أن يقول كل القرآن.]يا أيهـا الرسـول بلغ ما أنزل إليـك من ربك[[2] لكن هـذا الـذي خص بكلمـة]قل[فيه عناية خاصة اسـتحق أن يصـدر بـالأمر بـالتبليغ على وجه الخصوص، مثل هذه الآية ومثلهـا في الأحكـام]قل للمؤمـنين يغضـوا من أبصـارهم[[1]]وقـل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن[[2] والأمثلة كثيرة في القـرآن. إذاً الرسـول ، عليـه الصـلاة والسـلام لا يعلم الغيب إلا مـا أطلعه الله ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعـاً بـل ولا لغـيره أيضاً] قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً[[3] ـ]قل إني لن يجـيرني من اللـه أحد[[4] لـو أراد اللـه بي شـيئاً مـا أجارني أحد منه ولن أجد من دونه ملتحداً.
ويعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسـلام، بشـر ليس له من شؤون الربوبية شيء ولا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه حتى إنه عليه الصلاة والسلام يسأل أحيانـاً عن

([1]) سورة الأنعام، الآية: 50.

([2]) سورة المائدة، الآية: 67.

([1]) سورة النور، الآية: 30.

([2]) سورة النور، الآية: 31.

([3]) سورة الجن، الآية: 21.

([4]) سورة الجن، الآية: 22.

شيء من الأحكام الشرعية فيتوقف حتى يأتيه الـوحي ، حـتى إنـه أحيانـاً يصـدر القـول فيأتيـه الاسـتثناء أو الاستدراك من عند الله عز وجل فقد سئل عليـه الصـلاة والسـلام عن الشـهادة هـل تكفـر كـل شـيء؟ فقـال: "نعم". ثم قـال: "أين السـائل؟" فقـال: "إلا الـدين أخبرني بذلك جبريـل آنفـاً". أحيانـاً يجتهـد عليـه الصـلاة والسلام ولكن يأتيه الوحي من الله عز وجـل بـأن الخـير في كذا وكذا خلاف ما اجتهد فيه صلى الله عليه وسلم .
إذاً الرسول عليه الصلاة والسلام عبد عابد لله عـز وجـل وليس له من شؤون الربوبية شـيء هـذا هـو قـول أهـل السنة والجماعة في رسول الله صلى الله عليه وسلم .
يعتقد أهل السنة والجماعة أيضـاً أن رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، بشـر تجـوز عليـه كـل الخصـائص البشـرية والجسـدية فينـام، ويأكـل، ويشـرب، ويمـرض، ويتألم، ويحزن، ويرضى، ويغضب عليه الصلاة والسـلام، ويموت كما يمـوت النـاس.]إنـك ميت وإنهم ميتـون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون[[5]]ومـا محمـد إلا رسـول قـد خلت من قبلـه الرسـل أفـإن مـات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضـر الله شـيئاً[[6] ولا ريب أن رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسلم ، قد مات ميتة جسدية فارقت روحه جسده فيها، وقام أهله وأصحابه بما يقومون به في غيره من شؤون الموتى، سوى أنـه عليـه الصـلاة والسـلام لم يجـرد عنـد تغسيله والمعروف أنه لم يصـل عليـه جماعـة إنمـا كـان النـاس يصـلون عليـه أفـراداً لأنـه الإمـام عليـه الصـلاة والسلام.
ومن زعم أنه حي في قبره حياة جسدية لا حياة برزخيـة وأنـه يصـلي ويصـوم ويحج وأنـه يعلم مـا تقولـه الأمـة وتفعله فإنه قد قال قولاً بلا علم.
فالرسول عليه الصلاة والسلام انقطع عملـه بموتـه كمـا قال هو نفسه: "إذا مـات الإنسـان انقطـع عملـه إلا من

([5]) سورة الزمر، الآيتان: 30-31.
([6]) سورة آل عمران، الآية: 144.

ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".
فعمله الذي يعمله بنفسه انقطع بموته ولكن لا شك أن كل علم علمناه من شريعة الله فإنه بواسطته عليه الصلاة والسلام وحينئذ فيكون منتفعاً من كل هذه العلوم التي علمناها بعد موته صلى الله عليه وسلم ،وكذلك الأعمال الصالحة التي نعملها كانت بدلالته صلى الله عليه وسلم ، فيكون له مثل أجر العاملين.

رابعاً : طريقة أهل السنة والجماعة في حق الصحابة رضي الله عنهم

أهل السنة والجماعة يعرفون للصحابة قدرهم، وأنهم خير القرون بشهادة النبي، صلى الله عليه وسلم ، فإنه صلى الله عليه وسلم ، قال فيما ثبت عنه من حديث عمران بن حصين: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" فالصحابة خير هذه الأمة بلا شك ولكنهم على مراتب بعضهم أفضل من بعض.

قال الله تعالى:]لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى[[1] وقال الله تعالى:]لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم[[2].

ولكن هذه المراتب وهذه الفضائل يجب أن نعرف أن الواحد فيهم له مرتبة على الإطلاق وله مرتبة خاصة. أي أنه قد يكون أفضل من غيره على سبيل العموم والإطلاق ويكون في غيره خصلة هو أفضل منه فيها وأهل السنة والجماعة يقولون: إن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي يرتبونهم في الفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، ولكن لا يلزم من كون أبي بكر أفضل الصحابة ألا يتميز أحد من الصحابة عن أبي بكر بمنقبة خاصة.

وقد يكون لعلي بن أبي طالب منقبة ليست لأبي بكر، وقد يكون لعمر منقبة ليست لأبي بكر، كذلك قد يكون لعثمان، ولكن الكلام على الفضل المطلق والمرتبة الكلية العامة فإن مراتب الصحابة تختلف اختلافاً اتفق عليه أهل السنة والجماعة وهو دلالة القرآن، ودلالة السنة أيضاً.

فإن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف تنازعا في أمر فقال النبي، صلى الله عليه وسلم ، لخالد: "لا

---

(1) سورة الحديد، الآية: 10.

(2) سورة النساء، الآية: 95.

تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثــل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه".

كذلك أيضاً أهل السـنة والجماعـة يقولـون: إن بعض الصحابة لـه مزيـة ليسـت لغـيرهم فيجب أن نـنزلهم في منازلهم، فإذا كـان الصـحابي من آل بيت الرسـول عليـه الصلاة والسلام كعلي بن أبي طالب، وحمـزة، والعبـاس، وابن عباس وغيرهم فإننا نحبه أكـثر من غـيره من حيث قربه من الرسول عليـه الصـلاة والسـلام، لا على سـبيل الإطلاق. فنعرف له حقه بقرابته من رسول اللــه، صــلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا يلزم من ذلـك أن نفضـله على غيره تفضيلاً مطلقاً ممن له قدم راسخ في الإسلام أكثر من هذا القريب من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن المراتب والفضائل هي صفات يتميز الإنسان بصفة منها لا يتميز بها الآخر.

وأهل السنة والجماعـة في آل الـبيت لا يغلـون غلـو الــروافض، ولا ينصــبون العــداوة لهم نصــب النواصــب، ولكنهم وســـط بين طـــــرفين، يعرفــــون لهم حقهم بقرابتهم من الرسول عليـه الصـلاة والسـلام، ولكنهم لا يتجاوزون بهم منزلتهم.

خامساً: طريقة أهل السنة والجماعة في حق الأولياء والأئمة

أئمة هذه الشريعة الإسلامية ولله الحمد أئمة مشهورون أثنت عليهم الأمة وعرفت لهم قدرهم، ولكنها لا تعتقد فيهم العصمة، فليس عند أهل السنة والجماعة أحد معصوم من الخطأ ولا من الإقرار على الخطأ.إلا الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه معصوم من الإقرار على الخطأ. أما غيره مهما بلغت إمامته فإنه ليس معصوماً أبداً، كل يخطئ وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، الذي أمرنا الله تعالى بطاعته على الإطلاق.

فهم يقولون لا شك أن في هذه الأمة أئمة، ولا شك أن فيها أولياء ولكننا لا نريد بذلك أن نثبت العصمة لأحد من هؤلاء الأئمة، ولا أن نثبت لأحد من الأولياء أنه يعلم الغيب أو يتصرف في الكون، وهم أيضاً لا يجعلون الولي من قال عن نفسه:إنه ولي أو أتى بالدعايات الباطلة لأجل أن يجلب الناس إليه يقولون : إن الولي بينه الله تعالى بقوله:

[ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكان يتقون][1] هؤلاء الأولياء: الذين آمنوا، وكانوا يتقون. فالإيمان: العقيدة. والتقوى: العمل قولاً كان أو فعلاً، وأخذ شيخ الإسلام من هذه الآية عبارة طيبة وهي قوله: "من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً". هذا الولي حقيقة، لا الولي الذي يجلب الناس إليه، ويجمع الحاشية ويقول: أنا أفعل ويستعين بالشياطين على معرفة الخفي، ثم يبهر الناس بما يقول فيقولون : هذا ولي. لا لأن الولاية تكون باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، وبإيمانه وتقواه. فإن كان مؤمناً تقياً فهو ولي.

ولكن هؤلاء الأولياء أيضاً لا يلزم في كل ولي أن يجعل الله له كرامة فما أكثر الأولياء الذين لا كرامة لهم، لأن الكرامة في الغالب لا تأتي إلا لنصر حق أو دفع باطل لا لتثبيت شخص بعينه فلا يلزم إذاً أن يكون لكل ولي كرامة. قد يحيا الولي ويموت وليس له كرامة وقد

---

[1] سورة يونس، الآيتان: 62-63 .

يكون له كرامات متعددة وهذه الكرامات كما قال أهل العلم كل كرامة لولي فإنها آية للنبي الذي اتبعه، ولا أقول: "معجزة" لأن الأولى أن تسمى آية، لأن هذا التعبير القرآني والآية أبلغ من المعجزة لأن الآية معناها العلامة على صدق ما جاء به هذا الرسول، والمعجزة قد تكون على يد مشعوذ أو على يد إنسان قوي يفعل ما يعجز عنه غيره، لكن التعبير بـ"الآية" أبلغ وأدق وهي التعبير القرآني فنسمي المعجزات بالآيات هذا هو الصواب.

يوجد أناس حسب ما نسمع في هذه الأمة يدعون أنهم أولياء ولكن من تأمل حالهم وجد أنهم بعيدون عن الولاية، وأنه لا حظ لهم فيها لكن لهم شياطين يعينونهم على ما يريدون فيخدعون بذلك البسطاء من الناس.

سادساً: طريقة أهل السنة والجماعة في إصلاح المجتمع

يرى أهل السنة والجماعة أن المجتمع الإسلامي لا يكمل صلاحه إلا إذا تمشى مع ما شرعه الله سبحانه وتعالى له، ولهذا يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف: كل ما عرفه الشرع وأقره، والمنكر: كل ما أنكره الشرع وحرمه فهم يرون أن المجتمع الإسلامي لا يصلح إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأننا لو فقدنا هذا المقوم لحصل التفرق، كما يشير إليه قول الله عز وجل:]ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم[[1].

وهذا المقوم وللأسف في هذا الوقت ضاع أو كاد لأنك لا تجد شخصاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى في المحيط القليل المحصور إلا ما ندر.

وإذا ترك الناس هكذا كل إنسان يعمل ما يريد تفرق الناس ولكن إذا تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكرصاروا أمة واحدة ولكن لا يلزم إذا رأيت أمراً معروفاً أن يكون معروفاً عند غيرك، إلا في شيء لا مجال للاجتهاد فيه إنما ما للاجتهاد فيه مجال فقد أرى أن هذا من المعروف ويرى الآخر أنه ليس منه وحينئذ يكون المرجع في ذلك كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم.

]فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر[[2] ولكن طريقة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الذي فضلت فيه هذه الأمة على غيرها أنهم يرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مقومات المجتمع الإسلامي ولكنه يحتاج إلى أمور:

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان: 104-105.

(2) سورة النساء، الآية: 59.

أولاً: أن يكون الإنسان عالماً بالحكم بحيث يعرف أن هـذا معروف وأن هذا منكـر، أمـا أن يـأتي عن جهـل ثم يـأمر بشيء يراه معروفاً في ظنـه وهـو ليس بمعـروف فهـذا قد يكون ضره أكـبر من نفعـه، لـذلك لـو فرضـنا شخصـاً تربى في مجتمع يرون أن هذه البدعة معـروف ثم يـأتي إلى مجتمع جديد غيره يجدهم لا يفعلونها فيقـوم وينكـر عليهم عـدم الفعـل ويـأمرهم بهـا فهـذا خطـأ، فلا تـأمر بشيء إلا حيث تعرف أنه معروف في شريعة اللـه، ليس بعقيدتك أنت ومـا نشـأت عليـه فلابـد من معرفـة الحكم وأن هذا معروف حتى تأمر به وكذلك المنكر.

ثانياً: لابد أن تعلم أن هذا المعـروف لم يفعـل، وأن هـذا المنكر قد فعـل، وكم من إنسـان أمـر شخصـاً بمعـروف فإذا هـو فاعلـه فيكـون في هـذا الأمـر عبئـاً على غـيره وربما يضع ذلك من قدره بين الناس.

وإذا رأينا هدي النبي، صلى الله عليه وسلم ، وجــدنا أن هذه طريقته دخل رجـل يـوم الجمعـة والنـبي، صـلى الله عليه وسلم ، يخطب وجلس فقال النبي، صــلى الله عليه وســلم: "أصــليت؟" قــال: لا. قــال: "فقم فصــل ركعتين" صلاة الركعتين لداخل المسجد من المعروف ولا شك ولكن الرسول، عليـه الصـلاة والسـلام مـا أمـره بـه مباشرة حتى علم أنه لم يفعله فأنت قد تأمر هذا الرجل أن يفعل شيئاً، وإذا هـو قـد فعلـه فتتسـبب إلى التعجـل وعدم التريث وتحط من قدرك ولكن اسأل وتحقق إذا لم يفعل حينئذ تأمر به.

وكذلك أيضاً بالنسـبة للمعاصـي فبعض النـاس قـد ينهى شخصاً عما يراه منكراً وليس بمنكر.

مثال ذلك:

رأيت رجلاً يصلي الفريضة وهو جالس فنهيتـه بأنـه ليس له حق أن يصلي وهو جالس. فهذا غير صحيح لكن اسأل أولاً لماذا جلس، قد يكـون لـه عـذر في جلوسـه وأنت لا تعلم حينئذ تكون متسرعاً ويكون ذلك ناقصـاً من قـدرك، هذا أمر أيضاً لابـد منـه: أن تعـرف الحكم الشـرعي، وأن تعرف الحال الـتي عليهـا المـأمور والمنهي حـتى تكـون على بصيرة من أمرك.

ثالثاً: أن لا يترتب على فعل المعروف ما هو منكر أعظم مفسدة من منفعة المعروف ، فإن ترتب على فعل المعروف منكر هو أشد ضرراً من المنفعة الحاصلة بهذا المعروف فإن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، وهذه الكلمة المعروفة هي القاعدة التي دل عليها القرآن ليست أيضاً على إطلاقها أي إنه ليست كل مفسدة درؤها أولى من جلب مصلحة، بل إذا تكافأت مع المصلحة فدرء المفسدة أولى، وإذا كانت أعظم من المصلحة فدرء المفسدة أولى، والله سبحانه وتعالى يقول :] ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم[[1] فسب آلهة المشركين كل يعلم أنه مصلحة وأن فيه خيراً لكن إذا تضمنت هذه المصلحة ما هو أنكر ـ وأنكر من باب التفاضل الذي ليس في الطرف الآخر منه شيء ـ إذا تضمن مفسدة عظيمة فإنها تترك، لأننا إذا سببنا آلهتهم ونحن نسبها بحق سبوا الله عدواً بغير علم.

فهذه نقطة ينبغي أن نتفطن لها عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما إذا كانت المفسدة تنغمر في جانب المصلحة، فإننا نفضل المصلحة ولا يهمنا وهذا عليه شيء كثير من أحكام الله الشرعية والكونية.

فمثلاً هذا المطر الذي ينزل وفيه مصلحة عامة لكن فيه ضرراً على إنسان بنى سقفه الآن وجاء المطر فأفسده لكن هذه المفسدة القليلة منغمرة في جانب المصلحة العامة. وهكذا أيضاً الأحكام الشرعية كالأحكام الكونية وهذا أمر ينبغي التنبه له، وهو أننا قد لا يكون من المصلحة أن ننهى عن هذا المنكر لأنه يتضمن مفسدة أكبر ولكننا نتريث حتى تتم الأمور.

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية بالتدرج في التشريع حتى يقبلها الناس شيئاً فشيئاً، وهكذا المنكر لابد أن نأخذ الناس فيه بالمعالجة حتى يتم الأمر هذه هي الثلاثة الأمور:

1- 1- العلم بالحكم.

2- 2- العلم بالحال.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 108.

3- 3- أن لا يترتب على فعل المعروف منكـر أعظم مفسدة.

سابعاً: قول أهل السنة والجماعة في الإيمان

الإيمان حقيقته عند أهل السنة والجماعة هي: "اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح". ويستدلون لقولهم هذا بقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "إن الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان". فالقول قول اللسان : "لا إله إلا الله" وعمل الجوارح وعمل القلب "الحياء" "وإماطة الأذى عن الطريق".

أما عقيدة القلب فقوله، صلى الله عليه وسلم: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره".

وهم أيضاً يقولون : إن الإيمان يزيد وينقص، فالقرآن قد دل على زيادته والضرورة العقلية تقتضي أن كل ما ثبت أنه يزيد فهو ينقص إذ لا تعقل الزيادة بدون نقص]ويزداد الذين آمنوا إيماناً[[1]]فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً[[2] ولا شك في ذلك، ومتى قلنا : إن الإيمان قول وعمل فإنه لا شك أن الأقوال تختلف فليس من قال: "سبحان الله والحمد لله، والله أكبر" مرة كمن قالها أكثر، وكذلك أيضاً نقول : إن الإيمان الذي هو عقيدة القلب يختلف قوة وضعفاً وقد قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام:]رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي[[3] فإنه ليس الخبر كالمعاينة والمشاهدة.

رجل أخبر بخبر أخبره رجل واحد حصل عنده شيء من هذا الخبر فإذا جاء ثان ازداد قوة فيه، وإذا جاءه الثالث ازداد قوة وهلم، وعليه نقول: الإيمان يزيد وينقص حتى في عقيدة القلب وهذا أمر يعلمه كل إنسان من نفسه، وأما من أنكر زيادته ونقصانه فإنه مخالف للشرع والواقع. فهو يزيد وينقص.

---

[1] سورة المدثر، الآية: 31.
[2] سورة التوبة، الآية: 124.
[3] سورة البقرة، الآية: 260.

وبهذا تم ما أردنا الكلام عليه، والله الموفق، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

القضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله تعالى بين يدي الساعة بشيراً، ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذاًه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد...

فأيها الإخوة الكرام إننا في هذا اللقاء الذي نرجو أن يفتح الله علينا فيه من خزائن فضله ورحمته، وأن يجعلنا من الهداة المهتدين، ومن القادة المصلحين، ومن المستمعين المنتفعين، نبحث في أمر مهم يهم جميع المسلمين ألا وهو "قضاء الله وقدره" والأمر ولله الحمد واضح، ولولا أن التساؤلات قد كثرت، ولولا أن الأمر اشتبه على كثير من الناس، ولولا كثرة من خاض في الموضوع بالحق تارة وبالباطل تارات، ونظراً إلى أن الأهواء انتشرت وكثرت وصار الفاسق يريد أن يبرر لفسقه بالقضاء والقدر لولا هذا وغيره ما كنا نتكلم في هذا الأمر.

والقضاء والقدر ما زال النزاع فيه بين الأمة قديماً وحديثاً، فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فنهاهم عن ذلك وأخبر أنه ما أهلك الذين من قبلكم إلا هذا الجدال.

ولكن فتح الله على عباده المؤمنين السلف الصالح الذين سلكوا طريق العدل فيما علموا وفيما قالوا، وذلك أن قضاء الله تعالى وقدره من ربوبيته سبحانه وتعالى لخلقه فهو داخل في أحد أقسام التوحيد الثلاثة التي قسم أهل العلم إليها توحيد الله عز وجل:-

القسم الأول: توحيد الألوهية وهو إفراد الله تعالى بالعبادة.

القسم الثاني: توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته.

فالإيمان بالقدر هو من ربوبية الله عز وجل، ولهذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ــ: "القدر قدرة الله". أ.هـ. لأنه من قدرته ومن عمومها بلا شك، وهو أيضاً سر الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مكتوب في اللوح المحفوظ في الكتاب المكنون الذي لا يطلع عليه أحد، ونحن لا نعلم بما قدره الله لنا أو علينا، أو بما قدره الله تعالى في مخلوقاته إلا بعد وقوعه أو الخبر الصادق عنه.

أيها الإخوة إن الأمة الإسلامية انقسمت في القدر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: غلوا في إثبات القدر وسلبوا العبد قدرته واختياره وقالوا: إن العبد ليس له قدرة ولا اختيار وإنما هو مسير لا مخير كالريشة في مهب الريح، ولم يفرقوا بين فعل العبد الواقع باختياره وبين فعله الواقع بغير اختياره. ولا شك أن هؤلاء ضالون، لأنه مما يعلم بالضرورة من الدين، والعقل والعادة أن الإنسان يفرق بين الفعل الاختياري والفعل الإجباري.

القسم الثاني: غلوا في إثبات قدرة العبد واختياره حتى نفوا أن يكون لله تعالى مشيئة، أو اختيار، أو خلق فيما يفعله العبد، وزعموا أن العبد مستقل بعمله، حتى غلا طائفة منهم فقالوا: إن الله تعالى لا يعلم بما يفعله العباد إلا بعد أن يقع منهم، وهؤلاء أيضاً غلوا وتطرفوا تطرفاً عظيماً في إثبات قدرة العبد واختياره.

القسم الثالث: وهم الذين آمنوا فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق وهم أهل السنة والجماعة سلكوا في ذلك مسلكاً وسطاً قائماً على الدليل الشرعي وعلى الدليل العقلي، وقالوا: إن الأفعال التي يحدثها الله تعالى في الكون تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يجريه الله تبارك وتعالى من فعله في مخلوقاته فهذا لا اختيار لأحد فيه، كإنزال المطر، وإنبات الزرع، والإحياء، والإماتة، والمرض، والصحة وغير ذلك من الأمور الكثيرة التي تشاهد في مخلوقات الله تعالى. وهذه بلا شك ليس لأحد فيها اختيار وليس لأحد فيها مشيئة وإنما المشيئة فيها لله الواحد القهار.

القسم الثاني: ما تفعله الخلائق كلها من ذوات الإرادة فهذه الأفعال تكون باختيار فاعليها وإرادتهم، لأن الله تعالى جعل ذلك إليهم قال الله تعالى:]لمن شاء منكم أن يستقيم[[1] وقال تعالى:]منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة[[2] وقال تعالى:]فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[[3]. والإنسان يعرف الفرق بين ما يقع منه باختياره وبين ما يقع منه باضطرار وإجبار، فالإنسان ينزل من السطح بالسلم نزولاً اختيارياً يعرف أنه مختار.و لكنه يسقط هاوياً من السطح ويعرف أنه ليس مختاراً لذلك، ويعرف الفرق بين الفعلين وأن الثاني إجبار والأول اختيار وكل إنسان يعرف ذلك.

وكذلك الإنسان يعرف أنه إذا أصيب بمرض سلس البول فإن البول يخرج منه بغير اختياره، وإذا كان سليماً من هذا المرض فإن البول يخرج منه باختياره ويعرف الفرق بين هذا وهذا، ولا أحد ينكر الفرق بينهما وهكذا جميع ما يقع العبد يعرف فيه الفرق بين ما يقع اختياراً وبين ما يقع اضطراراً وإجباراً، بل إن من رحمة الله عز وجل أن من الأفعال ما هو باختيار العبد ولكن لا يلحقه منه شيء كما في فعل الناسي والنائم يقول الله تعالى في قصة

---

[1] سورة التكوير، الآية: 28.

[2] سورة آل عمران، آية: 152.

[3] سورة الكهف، آية: 29.

أصحاب الكهـف:]ونقلبهم ذات اليمين وذات الشـمال[[1] وهم الذين يتقلبون ولكن الله تعـالى نسـب الفعـل إليـه لأن النائم لا اختيار له ولا يؤاخذ بفعله فنسب فعلـه إلى الله عز وجل، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : "من نسـي وهـو صـائم فأكـل، أو شـرب فليتم صـومه فإنمـا أطعمه الله وسقاه" فنسب هذا الإطعـام وهـذا الإسـقاء إلى الله عز وجل، لأن الفعل وقع منـه بغـير ذكـر فكأنـه صـار بغـير اختيـاره، وكلنـا يعـرف الفـرق بين مـا يجـده الإنسـان من ألم بغـير اختيـاره ومـا يجـده من خفـة في نفسه أحياناً بغير اختياره، ولا يـدري مـا سـببه، وبين أن يكون الألم هذا ناشئاً من فعل هو الذي اكتسـبه، أو هـذا الفرح ناشئاً من شيء هو الذي اكتسبه وهذا الأمـر وللـه الحمد واضح لا غبار عليه.

أيها الإخوة: إننا لو قلنـا بقـول الفريـق الأول الـذين غلـوا في إثبـات القـدر لبطلت الشـريعة من أصـلها لأن القول بأن فعل العبد ليس له فيه اختيار يلزم منــه أن لا يحمد على فعل محمود، ولا يلام على فعـل مـذموم لأنـه في الحقيقة بغير اختيار وإرادة منه وعلى هـذا فالنتيجـة إذاً أن الله تبارك وتعـالى يكـون ــ تعـالى عن ذلـك علـواً كبيراً ـ ظالماً لمن عصى إذا عذبـه وعاقبـه على معصـيته لأنه عاقبه على أمر لا اختيار لـه فيـه ولا إرادة، وهـذا بلا شك مخالف للقرآن صـراحة يقـول اللـه تبـارك وتعـالى:]وقال قرينه هذا ما لدي عتيد . ألقيا في جهنم كل كفـار عنيد . مناع للخير معتد مريب .الـذي جعـل مـع اللـه إلهـاً آخـر فألقيـاه في العـذاب الشـديد. قـال قرينـه ربنـا مـا أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد. قال لا تختصـموا لـدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القـول لـدي ومـا أنـا بظلام للعبيد[[2] فبين سبحانه أن هـذا العقـاب منـه ليس ظلماً بل هو كمـال العـدل لأنـه قـد قـدم إليهم بالوعيـد، وبين لهم الطــرق، وبين لهم الحــق، وبين لهم الباطــل فلم يبق لهم حجة عند الله عز وجل ولو قلنا بهذا القول الباطل لبطل قول الله تعالى:]رسلاً مبشـرين ومنـذرين

---

(1) سورة الكهف، الآية: 18.

(2) سورة ق ، الآيات: 23-29.

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[[3]] فإن الله تبارك وتعالى نفى أن يكون للناس حجة بعد إرسال الرسل لأنهم قامت عليهم الحجة بذلك فلو كان القدر حجة لهم لكانت هذه الحجة باقية حتى بعد بعث الرسل لأن قدر الله تعالى لم يزل ولا يزال موجوداً قبل إرسال الرسل وبعد إرسال الرسل، إذاً فهذا القول تبطله النصوص، ويبطله الواقع كما فصلنا بالأمثلة السابقة.

أما أصحاب القول الثاني فإنهم أيضاً ترد عليهم النصوص والواقع، ذلك لأن النصوص صريحة في أن مشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله عز وجل قال الله تعالى:]لمن شاء منكم أن يستقيم. وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين[[1]]وربك يخلق ما يشاء ويختار[[2]]والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[[3] والذين يقولون بهذا القول هم في الحقيقة مبطلون لجانب من جوانب الربوبية، وهم أيضاً مدعون بأن في ملك الله تعالى مالا يشاؤه ولا يخلقه، والله تبارك وتعالى شاء لكل شيء، خالق لكل شيء، مقدر لكل شيء، وهم أيضاً مخالفون لما يعلم بالاضطرار من أن الخلق كله ملك لله عز وجل ذواته وصفاته، لا فرق بين الصفة والذات، ولا بين المعنى والجسد. إذاً فالكل لله عز وجل ولا يمكن أن يكون في ملكه ما لا يريد تبارك وتعالى ولكن يبقى علينا إذا كان الأمر راجعاً إلى مشيئة الله تبارك وتعالى وأن الأمر كله بيده فما طريق الإنسان إذاً؟ وما حيلة الإنسان إذا كان الله تعالى قد قدر عليه أن يضل ولا يهتدي؟.

فنقول :الجواب عن ذلك: أن الله تبارك وتعالى إنما يهدي من كان أهلاً للهداية ويضل من كان أهلاً للضلالة يقول الله تبارك وتعالى:]فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم[[4] ويقول تعالى:]فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم

([3]) سورة النساء، الآية: 165.

([1]) سورة التكوير، الآيتان: 28-29.

([2]) سورة القصص، الآية: 68.

([3]) سورة يونس، الآية: 25.

([4]) سورة الصف، الآية: 5.

وجعلنــا قلــوبهم قاســية يحرفــون الكلم عن مواضــعه ونسوا حظاً مما ذكروا به][5] فبين الله تبارك وتعـالى أن أسباب ضلاله لمن ضل إنما هو بسـبب من العبـد نفسـه، والعبد كما أسلفنا آنفاً لا يدري مـا قـدر اللـه تعـالى لـه، لأنه لا يعلم بالقدر إلا بعد وقوع المقـدور فهـو لا يـدري هل قدر الله له أن يكون ضالاً أم أن يكون مهتـدياً؟ فمـا باله يسلك طريق الضلال ثم يحتج بأن الله تعالى قد أراد له ذلك، أفلا يجدر به أن يسلك طريـق الهدايـة ثم يقـول إن الله تعالى قد هداني للصراط المستقيم؟! أيجـدر بـه أن يكون جبرياً عند الضلالة قدرياً عند الطاعة.

كلا لا يليـق بالإنسـان أن يكـون جبريـاً عنـد الضـلالة والمعصية فإذا ضل أو عصى الله قال : هذا أمر قـد كتب علي وقـدر علي ولا يمكنـني أن أخـرج عمـا قضـى اللـه وقدر، وإذا كـان في جـانب الطاعـة ووفقـه اللـه تعـالى للطاعة والهدايـة زعم أن ذلـك منـه ثم من بـه على اللـه وقـال:أنـا أتيت بـه من عنـد نفسـي، فيكـون قـدرياً في جـانب الطاعـة جبريـاً في جـانب المعصـية، هـذا لا يمكن أبداً، فالإنسان في الحقيقة له قدرة ولـه اختيـار، وليس باب الهداية بأخفى من بـاب الـرزق وبـأخفى من أبـواب طلب العلم، والإنسان كما هو معلوم لدى الجميع قد قدر له ما قدر من الـرزق ومـع ذلـك هـو يسـعى في أسـباب الرزق في بلده وخارج بلده يمينـاً وشـمالاً، لا يجلس في بيته ويقول : إن قدر لي رزق فإنه يأتيني بل هو يسـعى في أسباب الرزق مع أن الـرزق نفسـه مقـرون بالعمـل كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حـديث ابن مسعود رضي الله عنه: "إن أحدكم يجمـع خلقـه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكـون علقـة مثـل ذلـك، ثم يكـون مضـغة مثـل ذلـك ثم يبعث إليـه الملـك فيـؤمر بـأربع كلمـات : بكتب رزقـه، وأجلـه، وعملـه، وشـقي أم سعيد" فهذا الرزق أيضاً مكتوب كما أن العمل من صـالح أو سيىء مكتوب فما بالك تـذهب يمينـاً وشـمالاً وتجـوب الأرض والفيافي طلباً لرزق الدنيا ولا تعمل عملاً صـالحاً لطلب رزق الآخرة والفوز بدار النعيم؟!، إن البابين واحد

([5] سورة المائدة، الآية: 13.

ليس بينهما فرق فكما أنك تسعى لرزقك وتسعى لحياتك وامتداد أجلك فإذا مرضت بمرض ذهبت إلى أقطار الدنيا تريد الطبيب الماهر الذي يداوي مرضك ومع ذلك فإن لك ما قدر من الأجل لا يزيد ولا ينقص ولست تعتمد على هذا وتقول: أبقى في بيتي مريضاً طريحاً وإن قدر الله لى أن يمتد الأجل امتد. بل نجدك تسعى بكل ما تستطيع من قوة وبحث لتبحث عن الطبيب الذي ترى أنه أقرب الناس أن يقدر الله الشفاء على يديه فلماذا لا يكون عملك في طريق الآخرة وفي العمل الصالح كطريقك فيما تعمل للدنيا؟!. وقد سبق أن قلنا : إن القضاء سر مكتوم لا يمكن أن تعلم عنه فأنت الآن بين طريقين: طريق يؤدي بك إلى السلامة وإلى الفوز، والسعادة، والكرامة، وطريق يؤدي بك إلى الهلاك، والندامة، والمهانة وأنت الآن واقف بينهما ومخير ليس أمامك من يمنعك من سلوك طريق اليمين ولا من سلوك طريق الشمال، إذا شئت ذهبت إلى هذا وإذا شئت ذهبت إلى هذا فما بالك تسلك طريق اليمين وتقول : إنه قد قدر لي؟! فلو أنك أردت السفر إلى بلد ما وكان أمامك طريقان أحدهما معبد قصير آمن، والآخر غير معبد وطويل ومخوف، لوجدنا أنك تختار المعبد القصير الآمن ولا تذهب إلى الطريق الذى ليس بمعبد وليس بقصير وليس بآمن هذا في الطريق الحسي إذاً فالطريق المعنوي موازٍ له ولا يختلف عنه أبداً، ولكن النفوس والأهواء هي التي تتحكم أحياناً في العقل وتغلب على العقل، والمؤمن ينبغي أن يكون عقله غالباً على هواه وإذا حكم عقله فالعقل بالمعنى الصحيح يعقل صاحبه عما يضره ويدخله فيما ينفعه ويسره.

بهذا تبين لنا أن الإنسان يسير في عمله الاختياري سيراً اختيارياً ليس إجبارياً، وأنه كما يسير لعمل دنياه سيراً اختيارياً وهو إن شاء جعل هذه السلعة أو تلك تجارته فكذلك أيضاً هو في سيره إلى الآخرة يسير سيراً اختيارياً بل إن طرق الآخرة أبين بكثير من طرق الدنيا لأن الذي بين طرق الآخرة هو الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فلابد أن تكون

طرق الآخرة أكـثر بيانـاً وأجلى وضـوحاً من طـرق الـدنيا ومع ذلك فإن الإنسان يسير في طرق الـدنيا الـتي ليس ضامناً لنتائجهـا، ولكنـه يـدع طـرق الآخـرة الـتي نتائجهـا مضـمونة معلومـة لأنهـا ثابتـة بوعـد اللـه، واللـه تبـارك وتعالى لا يخلف الميعاد.

بعد هذا نقول: إن أهل السنة والجماعـة قـرروا هـذا وجعلوه عقيدتهم ومذهبهم أن الإنسـان يفعـل باختيـاره وأنه يقول كما يريد ولكن إرادته واختيـاره تابعـان لإرادة اللـه تبـارك وتعـالى ومشـيئته، ثم يـؤمن أهـل السـنة والجماعـة بـأن مشـيئة اللـه تعـالى تابعـة لحكمتـه وأنـه سبحانه وتعـالى ليسـت مشـيئته مطلقـة مجـردة ولكنهـا مشيئة تابعة لحكمته لأن من أسماء الله تعالى "الحكيم"، والحكيم هـو الحـاكم المحكم الـذي يحكم الأشـياء كونـاً وشرعاً، ويحكمها عملاً وصنعاً، والله تعالى بحكمته يقـدر الهداية لمن أرادهـا لمن يعلم سـبحانه وتعـالى أنـه يريـد الحق وأن قلبه على الاسـتقامة، ويقـدر الضـلالة لمن لم يكن كذلك لمن إذا عرض عليه الإسلام يضيق صدره كأنما يصعد في السماء فإن حكمة الله تبارك وتعالى تـأبى أن يكون هذا من المهتدين إلا أن يجدد الله لـه عزمـاً ويقلب إرادته إلى إرادة أخرى والله تعالى على كل شيء قـدير، ولكن حكمة الله تأبى إلا أن تكون الأسباب مربوطـة بهـا مسبباتها.

ومراتب القضاء والقدر عند أهـل السـنة والجماعـة أربـع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم وهي أن يؤمن الإنسان إيمانـاً جازماً بأن الله تعالى بكل شـيء عليم وأنـه يعلم مـا في السـموات والأرض جملـة وتفصـيلاً سـواء كـان ذلـك من فعلـه أو من فعـل مخلوقاتـه، وأنـه لا يخفى على اللـه شيء في الأرض ولا في السماء.

المرتبة الثانية: الكتابة وهي أن اللـه تبـارك وتعـالى كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء.

وقد جمع الله تعالى بين هاتين المرتبتين في قولـه:]ألم تعلم أن اللـه يعلم مـا في السـماء والأرض إن ذلـك

في كتاب إن ذلك على الله يسير[[1] فبدأ سـبحانه بـالعلم وقـال:]إن ذلـك في كتـاب[أي إنـه مكتـوب في اللـوح المحفوظ كما جاء به الحديث عن رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم "إن أول مـا خلـق اللـه القلم قـال لـه: اكتب قال :رب ماذا أكتب؟ قال :اكتب ما هو كـائن فجـرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامـة" ولهـذا سـئل النبي صلى الله عليه وسلم عما نعملـه أشـيء مسـتقبل أم شيء قد قضي وفرغ منه؟ قال : إنه قد قضي وفــرغ منه. وقال أيضاً حين سـئل أفلا نـدع العمـل ونتكـل على الكتاب الأول؟ قال: "اعملـوا فكـل ميسـر لمـا خلـق لـه" فأمرهم النبي صـلى الله عليه وسـلم بالعمـل، فـأنت يـا أخي اعمل وأنت ميسر لما خلقت له.

ثم تلا صــلى الله عليه وســلم قولــه تعــالى:]فأمــا من أعطى واتقى .وصدق بالحسـنى . فسنيسـره لليسـرى . وأما من بخل واسـتغنى . وكـذب بالحسـنى . فسنيسـره للعسرى[[2].

المرتبة الثالثة: المشيئة وهي أن الله تبارك وتعالى شـاء لكل موجود أو معدوم في السـموات أو في الأرض، فمـا وجد موجود إلا بمشيئة الله تعالى، ومـا عـدم معـدوم إلا بمشيئة الله تعالى وهذا ظاهر في القـرآن الكـريم وقـد أثبت الله تعـالى مشـيئته في فعلـه ومشـيئته في فعـل العباد فقال اللـه تعـالى:]لمن شـاء منكم أن يسـتقيم . وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين[[1]]ولـو شـاء الله ما فعلـوه[[2]]ولـو شـاء اللـه مـا اقتتلـوا ولكن اللـه يفعل ما يريد[[3]. فبين الله تعالى أن فعـل النـاس كـائن بمشيئته،وأما فعله تعالى فكثير قـال تعـالى:]ولـو شـئنا لآتينا كل نفس هـداها[[4] وقولـه:]ولـو شـاء ربـك لجعـل الناس أمة واحدة[[5] إلى آيات كثـيرة تثبت المشـيئة في

---

(1) سورة الحج، الآية: 70.

(2) سورة الليل، الآيات: 5-10.

(1) سورة التكوير، الآيتان: 28-29.

(2) سورة الأنعام، الآية: 137.

(3) سورة البقرة، الآية: 253.

(4) سورة السجدة، الآية: 13.

فعله تبارك وتعالى، فلا يتم الإيمان بالقـدر إلا أن نـؤمن بأن مشيئة اللـه عامـة لكـل موجـود أو معـدوم، فمـا من معدوم إلا وقد شاء الله تعالى عدمه ومـا من موجـود إلا وقد شاء الله تعالى وجوده، ولا يمكن أن يقع شـيء في السموات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله تعالى.

المرتبة الرابعة: الخلق أي أن نؤمن بأن الله تعالى خـالق كل شيء فما من موجود في السـموات والأرض إلا اللـه خالقه حتى الموت يخلقه الله تبارك وتعالى وإن كان هو عدم الحياة يقول الله تعالى:]الذي خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً[[6] فكل شيء في السموات أو في الأرض فإن الله تعالى خالقه لا خالق إلا اللـه تبـارك وتعالى. وكلنا يعمل أن ما يقع من فعله سبحانه وتعـالى بأنه مخلوق له فالسماوات، والأرض، والجبال، والأنهـار، والشمس، والقمر، والنجوم، والرياح والإنسان، والبهائم كلها مخلوقات الله وكـذلك مـا يحـدث لهـذه المخلوقـات من صفات، وتقلبات، وأحوال كلها أيضاً مخلوقة لله عـز وجل. ولكن قد يشكل على الإنسان كيف يصح أن نقـول في فعلنا وقولنا الاختياري :

فنقول : نعم يصح أن نقول ذلك ؛ لأن فعلنا وقولنا نـاتج عن أمرين :إنه مخلوق لله عز وجل؟.

أحدهما: القدرة.

والثاني: الإرادة.

فإذا كان فعـل العبـد ناتجـاً عن إرادتـه وقدرتـه فـإن الذي خلق هذه الإرادة وجعل قلب الإنسـان قـابلاً للإرادة هو الله عز وجل، وكذلك الذي خلق فيه القـدرة هـو اللـه عز وجل ويخلق السبب التـام الـذى يتولـد عنـه المسـبب نقول : إن خلق السبب التام خالق للمسبب أي إن خـالق المؤثر خالق للأثر، فوجه كونه تعالى خالقـاً لفعـل العبـد أن نقول إن فعل العبد وقوله ناتج عن أمرين هما:

(1) (1) الإرادة.

(2) (2) القدرة.

فلولا الإرادة لم يفعل، ولـولا القـدرة لم يفعـل، لأنـه إذا أراد وهـو عـاجز لم يفعـل، لعجـزه عن الفعـل وإذا كـان

---

(6) سورة الملك، الآية: 3.

قادراً ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعـل ناتجـاً عن إرادة جازمة وقدرة كاملـة فالـذي خلـق الإرادة الجازمـة والقدرة الكاملـة هـو اللـه، وبهـذا الطريـق عرفنـا كيـف يمكن أن نقول : إن الله تعـالى خـالق لفعـل عبـده، وإلا فالعبـد هـو الفاعـل في الحقيقـة فهـو المتطهـر وهـو المصلي، وهو المزكي، وهـو الصـائم، وهـو الحـاج، وهـو المعتمر، وهو العاصي، وهـو المطيـع لكن هـذه الأفعـال كلها كانت ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقتين لله عز وجـل والأمر لله الحمد واضح.

وهذه المراتب الأربع المتقدمة يجب أن تثبت لله عـز وجـل، وهـذا لا ينـافي أن يضـاف الفعـل إلى فاعلـه من ذوي الإرادة.

كما إننا نقول النار تحرق والذي خلق الإحـراق فيهـا هـو اللـه تعـالى بلا شـك فليسـت محرقـة بطبيعتهـا بـل هي محرقة بكـون اللـه تعـالى جعلهـا محرقـة ولهـذا لم تكن النار التي القي فيها إبراهيم محرقة لأن الله قـال لهـا:]كوني برداً وسلاماً على إبراهيم[[1]. فكانت برداً وسـلاماً على إبـراهيم، فالنـار بـذاتها لا تحـرق ولكن اللـه تعـالى خلق فيها قوة الإحراق، وقـوة الإحـراق هي في مقابـل فعل العباد كإرادة العبد وقدرته فبالإرادة والقدرة يكـون الفعل، وبالمادة المحرقـة في النـار يكـون الإحـراق، فلا فـرق بين هـذا وهـذا، ولكن العبـد لمـا كـان لـه إرادة، وشعور، واختيار، وعمل صار الفعل ينسـب إليـه حقيقـة وحكماً وصار مؤاخذاً بالمخالفة معاقباً عليهـا لأنـه يفعـل باختيار ويدع باختيار.

وأخيراً نقول: على المـؤمن أن يرضـى باللـه تعـالى ربـاً، ومن تمـام رضـاه بالربوبيـة أن يـؤمن بقضـاء اللـه وقـدره، ويعلم أنـه لا فـرق في هـذا بين الأعمـال الـتي يعملها وبين الأرزاق التي يسعى لها، وبين الآجـال الـتي يدافعها، الكل بابه سواء، والكـل مكتـوب، والكـل مقـدر، وكل إنسان ميسر لما خلق له.

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن ييسـرون لعمـل أهـل السعادة وأن يكتب لنا الصلاح في الدنيا والآخرة، والحمد

([1]) سورة الأنبياء، الآية: 69.

لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.
تمت بحمد الله تعالى.

شرح حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله،صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". متفق عليه.

قوله، صلىالله عليه وسلم: "فيؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد". يرد فيه إشكال حيث جاء في حديث النبي، صلىالله عليه وسلم: "من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه". فيفهم منه أن الأجل يتمدد.

والجواب: أنه محدد، وأن من كتب له أن يموت في مدة معينة فإنه لا يتعداها ولا ينقص عنها، وأن من وصل رحمه فقد كتب له في الأصل أنه واصل وأن أجله محدود، والفائدة من قوله عليه الصلاة والسلام: "من أحب" هي حث الناس على صلة الرحم، ليكتب له هذا كغيره من الأسباب التي تترتب عليها مسبباتها.

وفي هـذا الحـديث أيضـاً أن عمـل الجـنين يكتب وهـذا يشمل العمل الصالح والسيىء، لأن كلمـة (عمـل) مفـرد مضاف، وهو يكون للعمـوم، والـدليل قوله تعـالى:]وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها[[1] فكلمة نعمة مفـرد، وكلمـة لا تحصوها تدل أنه مفرد يعم الجمع. فكل مفـرد مضـاف يفيد العموم.

وعمـل الإنسـان كتب قبـل أن تخلـق السـموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولهـذا سـئل النـبي، صـلى الله عليه وسـلم ، عمـا نعملـه في هـذه الـدنيا من أعمـال الـدنيا والآخرة هل هو شيء مستأنف أو شـيء قـد فـرغ منـه؟ فأخبر أنه قد فرغ منه، وقال: "ما منكم من أحد إلا وقـد كتب مقعـده من الجنـة ومقعـده من النـار". قـالوا: يـا رسول الله، أفلا ندع العمـل ونتكـل على الكتـاب الأول؟ قال: "لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

فعملك مكتوب، ولكن لو سئلت هل تعلم ما كتب لـك من العمل؟ لا تدري ماذا يكون لك في الغد قال الله تعالى :] وما تدري نفس ماذا تكسب غداً[[2] . فإذا كنت لا تدري فإنه يبطل احتجاجك بالقدر، ولهذا أبطل الله حجة الذين يحتجـون على شـركهم بالقـدر، فقـال سـبحانه :]سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشـركنا ولا آباؤنـا ولا حرمنا من شيء كـذلك كـذب الـذين من قبلهم حـتى ذاقوا بأسنا[[1].ووجه إبطال هذه الحجة قوله تعالى:]حتى ذاقوا بأسنا[. ولو كان لهم حجة في ذلك ما أذاقهم الله بأسه، فـإذا كنت لا تـدري مـاذا كتب لـك فلا احتجـاج لـك بالقدر، ولهذا فـأنت لا تـدري مـاذا كتب لـك من الـرزق، ولهذا تسعى في طلب الـرزق، والعمـل كـالرزق مقـدور لك ولكن يجب عليك أن تسعى للعمل كما تسعى للـرزق وتقوم بطاعة الله.

وكذلك فلا احتجاج لأحـد بالقـدر على معصـية اللـه، فمن الناس من إذا أمرته بالطاعة أجابك بكلمة حـق أريـد بهـا باطـل، فيقـول: نسـأل اللـه أن يهـدينا. ولا شـك أن

---

(1) سورة إبراهيم، الآية: 34.

(2) سورة لقمان، الآية: 34 .

(1) سورة الأنعام، الآية: 148 .

الإنسان ينبغي أن يسأل الله الهداية لكن هذا أراد بقوله دفع اللوم عن نفسه ولو كـان صـادقاً في طلب الهدايـة لجد في الهداية وعمـل لهـا. فكمـا أنـك لن تـرزق الولـد بمجرد التمني بـل لابـد أن تأخـذ بأسـبابه فتـتزوج فإنـك لكي تنال الهداية لابد أن تتجه إلى ربك، وإذا اتجهت إليه سبحانه فثق أن ما يؤتيك اللـه سـبحانه أكـثر من عملـك. وفي الحديث القدسـي: "من عـادى لي وليـاً فقـد إذاَتـه بـالحرب، ومـا تقـرب إلى عبـدي بشـيء أحب إلي ممـا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بـه، ويـده الـتي يبطش بهـا، ورجلـه الـتي يمشـي بهـا، ولئن سـألني لأعطينه، ولئن استعإذاَي لأعيذنه". فانظر ما يؤتيك اللـه سبحانه وتعالى إذا تقربت إليـه يكـون سـمعك، وبصـرك، ويدك ورجلك، أي يسددك في جميع أعمالك، في كل مـا تدركه بجوارحـك، وإذا سـألته أعطـاك، وإذا اسـتعذت بـه أعاذك.

وثبت كذلك عن رسول اللـه، عليـه الصـلاة والسـلام أنه أخبر عن ربه أن من تقرب إلى الله شبراً تقرب اللـه إليه ذراعاً، ومن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليـه باعـاً ، ومن أتاه يمشي أتاه الله هرولة. فأقبـل على ربـك تجـد أكـثر بكثير من عملـك، أمـا أن تعـرض وتقـول: أسـأل اللـه أن يهديني. فهذا أشبه ما يكون بالاستهزاء بالله سبحانه.

ولهذا فنقول لمن يزعم أنه يترك العمل ويتكل على مـا كتب، نقـول لـه: اعمـل فقـد جاءتـك الرسـل ونـزلت الكتب وبين الخـير ورغب فيـه، وبين الشـر وحـذر منـه، وأوتيت عقلاً فمـا عليـك إلا أن تقـوم بمـا يقتضـيه هـذا العقل من اتباع ما جاءت به الرسل . ولهذا قـال ، صـلى الله عليه وسلم:"اعملوا فكل ميسر لما خلـق لـه" ثم تلا قـول اللـه عـز وجـل:]فأمـا من أعطى واتقى . وصـدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى .وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى[[2].

وهـؤلاء الـذين يحتجـون بالقـدر لـو ضـربهم أحـد أو أخـذ مالهم ثم احتج عليهم بأن هذا قضاء وقـدر فلن يقبلـوا،

---

(2) سورة الليل، الآيات: 5-10.

ولهـذا فالاحتجـاج بالقـدر إبطـال للشـرع، لأن كـل من يقـترف إثمـاً من زنى، أو قتـل، أو شـرب خمـر، وغـيره سيقول : هذا قضاء وقدر فتفسد الأرض ويفسد الشرع.

وقد ذكر أن أمير المؤمنين عمـر بن الخطـاب رضـي الله عنه أتي بسـارق فـأمر بقطـع يـده، فقـال السـارق: مهلاً يا أمير المؤمنين، والله مـا سـرقت إلا بقضـاء اللـه وقدره، فقال عمر: ونحن نقطع يدك بقضاء الله وقدره. فاحتج عليه عمر بما احتج به هو على عمله السيىء.

وقد يورد البعض هنا مـا جـاء في السـنة من احتجـاج آدم على موسى بقوله: "أتلومني على شيء كتبه اللــه علي قبل أن أخلـق". وذلـك حين قـال موسـى لآدم: "خيبتنـا، أخرجتنـا ونفسـك من الجنـة". فقـال النـبي، صـلى الله عليه وسلم: "فحج آدم موسى" أي غلبه في الحجة.

فقال أهل العلم: إن موسى لم يلم آدم على ما وقع منه من المعصية والأكل من الشجرة وإنما ذكر المصــيبة وهي الإخراج من الجنة. وموسـى أعلم وأفقـه وآدب من أن يلـوم أبـاه على ذب قـد تـاب منـه، وقـال اللـه فيـه:]وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى[[1] وإنما كان العتب من جهة الإخراج من الجنة وهي مصـيبة ويجـوز للإنسـان أن يحتج بالقـدر على المصــيبة لأنهـا ليسـت من فعلـه بـل من تقـدير اللـه ونظـير ذلـك رجـل سـافر فأصــيب في سـفره بحـادث فجئت تلومــه على سـفره فلا يتوجـه هـذا اللـوم لأنـه لم يسـافر من أجـل الحادث وسيقول لك: هذا بقضاء الله وقدره. ويقبل منـه هذا.

وهكـذا آدم فهـو لم يأكـل من الشـجرة من أجـل أن يخـرج من الجنـة، ولكن الشـيطان وسـوس لـه وقاسـمه وغره فنسي ما عهـد اللـه إليـه ألا يقـرب هـذه الشـجرة فحصلت المصيبة وأخرج من الجنة.

فاحتجاج آدم بالقدر على المصيبة، وهذا جائز لا بأس به.

وكذلك يورد البعض هنا ما جاء أن النبي، صــلى الله عليه وسلم ، جاء إلى علي وفاطمة رضـي اللـه عنهمـا وهمـا نائمان لم يقوما لصلاة الليل، فكأنه لامهما، فقال علي:

---

(1) سورة طه، الآيتان: 121-122.

يا رسول الله، إن أنفسنا بيد الله. يعني كنا نائمين، فخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وهو يضرب على فخذه ويقول: "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً". فقال المحتجون بالقدر: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، لم ينكر على علي احتجاجه بالقدر.
وأجاب أهل العلم على ذلك، فأجاب عنها ابن القيم بأنهما لما يحتجا على الاستمرار في المعصية وإنما على أمر قد فرغ وانتهى، وفرق بين شخص يحتج بالقدر على أمر قد مضى وهو نادم عليه ويعزم ألا يعود إليه، وبين شخص يحتج بالقدر ليبرر استمراره على المعصية فالأول يقبل، والثاني لا يقبل.
وهذا وجه جيد أن الإنسان إذا أصاب معصية وندم واحتج بالقدر بعد ندمه وتوبته فلا بأس بذلك ولا حرج، وليس كذلك من يحتج بالقدر ليبرر خطأه ويستمر عليه، فهذا لا يقبل أبداً.
وإن قال قائل: ما الجمع بين إبطال الله احتجاج المشركين على شركهم بمشيئته، وما أثبته الله من أن شركهم وقع بمشيئته، فقد قال سبحانه:]ولو شاء الله ما أشركوا[[1] مع ما سبق من قوله تعالى:]سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا[[2].
فالجمع أنهم يحتجون بالمشيئة لدفع اللوم والعتاب ويقولون: إن تعذيب الله لهم ظلم بزعمهم أنه قدره عليهم ثم يعاقبهم عليه. أما الآية الأخرى فهي تسلية لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإعلام أن لله تعالى حكمة في وقوع الشرك من بني آدم ولو شاء سبحانه لجعل الناس أمة واحدة على الحق لكن ليبلو بعض الناس ببعض.
ثم قال عليه الصلاة والسلام: "وشقي أم سعيد". الشقاء هو الخيبة وعدم إدراك الآمال. والسعادة هي النجاة والفلاح وحصول الأمل. وهما في الدنيا والآخرة، فالشقي في الدنيا شقي في الآخرة، والسعيد في الدنيا سعيد في الآخرة، فالشقي في الدنيا شقي في

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 107.
[2] سورة الأنعام، الآية: 148.

الآخـرة، والسـعيد في الـدنيا سـعيد في الآخـرة، ولكن سعادة الدنيا ليست بكثرة المال، والولد، والمتـاع، وإنمـا بالعمل الصالح، ودليل ذلك قوله تعالى:]من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهـو مـؤمن فلنحيينـه حيـاة طيبة[[3] فلا حياة طيبة إلا لمن عمل صـالحاً وهـو مـؤمن، سـواء كـان ذكراً أو أنثى.

وحيـاة المـترفين ليسـت طيبـة، لأن لـديهم من التنغيص والنكـد مـا يتكـدر بـه العيش، فتجـده إذا فاتتـه ذرة من الـترف انقبض وانـزعج وأصـيب بالضـغط والبلاء، أمـا المؤمن فلو فاته هذا الشيء فهـو مطمئن راض بقضـاء اللـه وقـدره لا يهمـه هـذا الشـيء مـادام من عنـد اللـه. ولهذا فـالمؤمن بين أمـرين إمـا شـكر على نعمـة، وإمـا صبر على ضراء، كما قال عليه الصـلاة والسـلام: "عجبـاً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سـراء شـكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

وقال بعض السلف: "لو يعلم الملـوك وأبنـاء الملـوك مـا نحن فيـه لجالـدونا فيـه بالسـيوف ". وقـد صـدق واللـه فالملوك وأبناء الملـوك في تـرف، لكن المـؤمن وإن لم يكن في تــرف فهــو في نعيم قلب، فالإنســان تكتب سعادته وشقاوته وهو في بطن أمه، لكنه لا يعـذر بـترك السـعي للسـعادة بـل هـو مـأمور بـأن يسـعى لمـا فيـه سعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة.

ثم قـال في الحـديث: "فوالـذي نفسـي بيـده إن أحـدكم ليعمل بعمل أهـل الجنـة حـتى مـا يكـون بينـه وبينهـا إلا ذراع فيسـبق عليـه الكتـاب فيعمـل بعمـل أهـل النـار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمـل بعمـل أهـل النـار حـتى مـا يكون بينه وبينهـا إلا ذراع فيسـبق عليـه الكتـاب فيعمـل بعمل أهل الجنة فيدخلها".

هاتان الجملتـان فيهمـا خـوف شـديد، وفيهمـا رجـاء عظيم، فالخوف من أن يعمل الإنسان بعمـل أهـل الجنـة ثم يختم له بالنار ـ والعياذ بالله ـ والعكس بالعكس، وهذا شيء مشاهد في هذا وفي هذا، وكله قد وقـع في عهـد رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فقد كان مـع النـبي،

---

[3] سورة النحل، الآية: 97.

صلى الله عليه وسلم ، في إحدى المعـارك رجـل شـجاع مقدام لا يدع شيئاً للكفار إلا قضى عليـه، فقـال رسـول الله، صلى الله عليه وسلم: "هذا من أهـل النـار" فعظم ذلك على الصحابة، إذ كيف يكـون من أهـل النـار وعملـه عمل أهـل الجنـة. فقـال رجـل: واللـه لألزمنـه. فتابعـه، فبينما هويقاتل أصابه سهم، فحزن وغضـب ورأى أنـه لا خير له في البقاء بعـد هـذا ، فأخـذ بسـيفه ووضـعه على صدره واتكأ عليه حـتى خـرج السـيف من ظهـره، فقتـل نفسه، ومعلوم أن قاتل نفسه في النار، ولهذا لم يصــل النبي، صلى الله عليه وسلم ، على قاتل نفسـه، فقاتـل نفسه يعذب في النار بما انتحر به خالداً فيها مخلداً.

فلما أصبح الرجل الذي كان يراقبه ذهب إلى النــبي، صلى الله عليه وسلم ، وقـال: أشـهد أنـك رسـول اللـه. فقال: "وماذاك ؟ " قال: إن الرجـل الـذي قلت: إنـه من أهل النار حدث له كذا وكذا. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إن الرجـل ليعمـل بعمـل أهـل الجنـة فيمـا يبدو للناس وهو من أهل النار".

فهذا يبين ما جاء في الروايـة الأولى وهـو أن المقصـود بقوله عليه الصلاة والسلام: "ليعمل بعمـل أهـل الجنـة" أن ذلك فيما يبدو للناس وهذا والحمد لله يخفف الأمر.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "حتى ما يكون بينـه وبينهـا إلا ذراع" أي: حتى يقترب أجله، فهـو فيمـا يبـدو للنـاس يعمل بعمل أهل الجنة، أما فيما يخفى على الناس ففي قلبـه سـريرة خبيثـة أودت بـه وأهلكتـه ولهـذا فأنـا أحث دائمـاً أن يحـرر الإنسـان قلبـه ويـراقب قلبـه، فأعمـال الجوارح بمنزلة الماء تسقى به الشجرة لكن الأصـل هـو القلب، وكثـير من النـاس يحـرص ألا يخطئ في العمـل الظاهر، وقلبه مليء بالحقد على المسلمين، وعلمائهم، وعلى أهل الخير، وهذا يختم لـه بسـوء الخاتمـة والعيـاذ بالله، لأن القلب إذا كان فيه سريرة خبيثة فإنهـا تهـوي بصاحبه في مكان سحيق.

فالحسد، وهـو كراهيـة نعمـة اللـه على الآخـرين وإن لم يتمن زوالها، وقد اشتهر بين العلماء تعريف الحسد بأنـه تمني زوال نعمة اللـه على الغـير ولكن المعـنى الـدقيق

للحسد هو كراهية نعمة الله على غيره سواء تمنى زوالها أو لم يتمن.
وهذا الحسد موجود في كثير من الناس وهو من خصال اليهود كما هو من خصال إبليس لعنه الله، فقال تعالى:]ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم[[1] فإذا وجدت في قلبك حسداً على المسلمين جماعات أو أفراداً فاعلم أن في قلبك خصلة من خصال اليهود والعياذ بالله، فطهر قلبك من هذا الحسد، واعلم أن هذا الخير الذي فيه غيرك إنما هو فضل من الله فلا تعترض على فضل الله ولا تكره تقدير الله:]أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله[[2].
وكذلك البغضاء ، بغض المؤمنين أو دين الإسلام حتى وإن كان الشخص لا ينفذه لقول الله ــ تعالى ــ :]ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم[[3] ولا إحباط للعمل إلا إذا كان هناك كفر.
فليلاحظ الإنسان قلبه فيزيل عنه الحسد والبغضاء والحقد والكراهية والغل ويجعله صافياً مخلصاً لله تعالى وصافياً للمؤمنين.
وأيضاً فمن أسباب سوء الخاتمة محبة الكفار، لأنها سريرة خبيثة، بل الواجب على المسلم محبة المسلمين وموالاتهم وكراهية الكفار ومعاداتهم، فإذا كان الأمر بالعكس عند أحد الناس فذلك أمر خطير يخشى على صاحبه أن يختم له بسوء الخاتمة.
والمعاملة بالربا أيضاً من أسباب سوء الخاتمة، وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي" أن رجلاً من الناس كان يعامل بالربا، فلما حضرته الوفاة جعلوا يلقنونه الشهادة فيقول :عشرة، أحد عشر. لأنه ليس في قلبه إلا إرادة الدنيا فختم له بسوء الخاتمة، لأن الربا من أعظم الذنوب ، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ

---

(1) سورة البقرة، الآية: 109.
(2) سورة النساء، الآية: 54.
(3) سورة محمد، الآية: 9.

: "إنه ورد فيه من الوعيد ما لم يرد على أي ذنب آخر دون الكفر، ولو لم يكن فيه إلا قول الله ـ تعالى ـ:]يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فإذاًوا بحرب من الله ورسوله[[4] والمحارب لله ورسوله يجب أن يكون حرباً على المؤمنين أيضاً، لأن المؤمن يوالي من والاه الله ورسوله ويعادي من عاداه الله ورسوله." أسأل الله لي ولكم حسن الخاتمة وأن يتوفانا على الإيمان وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

ومما ورد من الأمثلة على أن من أكرمه الله ـ سبحانه ـ بحسن الخاتمة مع ما كان عليه من عمل أهل النار، ما وقع للأصيرم من بني عبد الأشهل، فقد كان رجلاً كافراً، ولما سمع الصيحة لغزوة أحد خرج إلى القتال، فقاتل حتى قتل، فنظر إلى أصحابه وهو في آخر الرمق، فقالوا: ما الذي جاء بك؟ فقد علمنا أنك تكره هذا الأمر. فأخبرهم أنه خرج عندما سمع الهيعة، وطلب منهم أن يبلغوا رسول الله منه السلام، فصار خاتمة هذا الرجل الشهادة ومآله السعادة.

أسال الله ـ عز وجل ـ أن يختم لي ولكم بخاتمة السعادة إنه سميع مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مجموع فتاوى و رسائل - 5	الابداع في بيان كمال الشرع و خطر الابتداع	محمد بن صالح العثيمين

الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله،نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً

---

[4] سورة البقرة، الآيتان: 278-279.

عبده ورسـوله، أرسـله اللـه تعـالى بالهـدى ودين الحـق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهـد في اللـه حـق جهـاده حـتى أتـاه اليقين، وتـرك أمتـه على محجـة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالـك، بين فيهـا مـا تحتاجه الأمة في جميع شؤونها حتى قـال أبـو ذر رضـي الله عنه: "ما ترك النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم طـائراً يقلب جناحيه في السماء إلا ذكـر لنـا منـه علمـاً". وقـال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضـي اللـه عنـه: علمكم نبيكم حتى الخراءة ـ آداب قضـاء الحاجـة ــ قـال: "نعم، لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائـط أو بـول، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نسـتنجي بـاليمين، أو أن نستنجي برجيع أو عظم".

*** وإنك لترى هـذا القـرآن العظيم قـد بين اللـه تعـالى فيه أصول الدين وفروع الـدين، فـبين التوحيـد بجميـع أنواعـه، وبين حـتى آداب المجـالس والاسـتئذان قـال تعالى:] يا أيها الذين آمنـوا إذا قيـل لكم تفسـحوا في المجالس فافسحوا يفسح اللـه لكم [[1]. وقـال تعـالى:]يا أيها الذين آمنوا لا تـدخلوا بيوتـا غـير بيـوتكم حـتى تستأنسـوا وتسـلموا على أهلهـا ذلكم خـير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيهـا أحـداً فلا تـدخلوها حـتي يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هـو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم [[2] .**

حتى آداب اللباس قال الله تعالى:]والقواعد من النسـاء اللاتي لا يرجـون نكاحـاً فليس عليهن جنـاح أن يضـعن ثيابهن غير متبرجات بزينة [[3] .

وقال تعالى:]يا أيها النبي قـل لأزواجـك وبناتـك ونسـاء المؤمـنين يـدنين عليهن من جلابيبهن ذلـك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكـان اللـه غفـوراً رحيمـاً[[4] . وقـال تعالى:]ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن[

---

(1) سورة المجادلة، آية: 11.

(2) سورة النور، الآيتان: 27-28.

(3) سورة النور، آية: 60.

(4) سورة الأحزاب، آية:59.

[5]. وقال تعالى:]وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها [[6] .إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي يتبين بها أن هذا الدين شامل كامل لا يحتاج إلى زيادة كما أنه لا يجوز فيه النقص، ولهذا قال الله تعالى في وصف القرآن:]ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء[[1].فما من شيء يحتاج الناس إليه في معادهم ومعاشهم إلا بينه الله تعالى في كتابه إما نصاً، أو إيماء وإما منطوقاً، وإما مفهوماً.

* أيها الإخوة: إن بعض الناس يفسر قول الله تعالى:]وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب شي ثم إلى ربهم يحشرون[[2] . يفسر قوله:]ما فرطنا في الكتاب[. على أن الكتاب القرآن.

والصواب: أن المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، وأما القرآن فإن الله تعالى وصفه بأبلغ من النفي وهو قوله:]ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء[[7] .ولعل قائلاً يقول : أين نجد أعداد الصلوات الخمس في القرآن؟ وعدد كل صلاة في القرآن؟ وكيف يستقيم أننا لا نجد في القرآن بيان أعداد ركعات كل صلاة والله يقول:]ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء[؟.

والجواب على ذلك أن الله تعالى بين لنا في كتابه أنه من الواجب علينا أن نأخذ بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وبما دلنا عليه]من يطع الرسول فقد أطاع الله[[3]]وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا[[4] . فما بينته السنة فإن القرآن قد دل عليه، لأن السنة أحد قسمي الوحي الذي أنزله الله على رسوله وعلمه إياه كما قال الله تعالى:]وأنزل الله

---

[5] سورة النور، الآية: 31.

[6] سورة البقرة، الآية: 189.

[1] سورة النحل، آية: 89

[2] سورة الأنعام، الآية: 38

[3] سورة النساء، الآية: 80

[4] سورة الحشر، الآية: 7

عليك الكتاب والحكمة[5][. وعلى هذا فما جاء في السنة فقد جاء في كتاب الله عز وجل.

*** أيها الإخوة: إذا تقرر ذلك عندكم فهل النبي صلى الله عليه وسلم توفي وقد بقي شيء من الدين المقرب إلى الله تعالى لم يبينه؟**

أبداً فالنبي عليه الصلاة والسلام بين كل الدين إما بقوله وإما بفعله وإما بإقراره ابتداءً أو جواباً عن سؤال، وأحياناً يبعث الله أعرابياً من أقصى البادية ليأتي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله عن شيء من أمور الدين لا يسأله عنه الصحابة الملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كانوا يفرحون أن يأتي أعرابي يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض المسائل. ويدلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئاً مما يحتاجه الناس في عبادتهم ومعاملتهم وعيشتهم إلا بينه يدلك على ذلك قوله تعالى:]اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً [[6] .

*** إذا تقرر ذلك عندك أيها المسلم فاعلم أن كل من ابتدع شريعة في دين الله ولو بقصد حسن فإن بدعته هذه مع كونها ضلالة تعتبر طعناً في دين الله عز وجل، تعتبر تكذيباً لله تعالى في قوله:]اليوم أكملت لكم دينكم[. لأن هذا المبتدع الذي ابتدع شريعة في دين الله تعالى وليست في دين الله تعالى كأنه يقول ـ بلسان الحال ـ : إن الدين لم يكمل لأنه قد بقي عليه هذه الشريعة التي ابتدعها يتقرب بها إلى الله عز وجل.**

ومن عجب أن يبتدع الإنسان بدعة تتعلق بذات الله عز وجل وأسمائه وصفاته، ثم يقول إنه في ذلك معظم لربه، إنه في ذلك منزه لربه، إنه في ذلك متمثل لقوله تعالى:]فلا تجعلوا لله أنداداً[[1] . إنك لتعجب من هذا أن

---

(5) سورة النساء، الآية: 113

(7) سورة النحل ، الآية : 89.

(6) سورة المائدة، الآية: 3.

(1) سورة البقرة، آية: 22.

يبتدع هذه البدعة في دين الله المتعلقة بذات الله التي ليس عليها سلف الأمة ولا أئمتها ثم يقول : إنه هو المنزه لله، وإنه هو المعظم لله، وإنه هو الممتثل لقول الله تعالى:]فلا تجعلوا لله أنداداً[. وإن من خالف ذلك فهو ممثل مشبه، أو نحو ذلك من ألقاب السوء.

كما إنك لتعجب من قوم يبتدعون في دين الله ما ليس منه فيما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم. ويدعون بذلك أنهم هم المحبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم المعظمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن من لم يوافقهم في بدعتهم هذه فإنه مبغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من ألقاب السوء التي يلقبون بها من لم يوافقهم على بدعتهم فيما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن العجب أن مثل هؤلاء يقولون : نحن المعظمون لله ولرسوله، وهم إذا ابتدعوا في دين الله، وفي شريعته التي جاء بها رسوله صلى الله عليه وسلم ما ليس منها فإنهم بلا شك متقدمون بين يدي الله ورسوله وقد قال الله عز وجل:]يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم[[2] .

*** أيها الإخوة: إني سائلكم ومناشدكم بالله عز وجل وأريد منكم أن يكون الجواب من ضمائركم، لا من عواطفكم، من مقتضى دينكم، لا من مقتضى تقليدكم، كأن سواء فيما يتعلق بذات الله، وصفات الله، وأسماء الله، أو فيما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقولون : نحن المعظمون لله ولرسول الله أهؤلاء أحق بأن يكونوا معظمين لله ولرسول الله؟ أم أولئك القوم الذين لا يحيدون قيد أنملة عن شريعة الله، يقولون فيما جاء من الشريعة: آمنا، وصدقنا فيما أخبرنا به، وسمعنا وأطعنا فيما أمرنا به أو نهينا عنه، ويقولون فيما لم تأت به الشريعة: أحجمنا وانتهينا، وليس لنا أن نتقدم بين يدي الله ورسوله، وليس لنا أن نقول في دين الله ما**

---

[2] سورة الحجرات، الآية: 1.

ليس منه. أيها أحق أن يكون محبا لله ورسوله ومعظماً لله ورسوله؟.
لا شك أن الذين قالوا: آمنا وصدقنا فيما أخبرنا به وسمعنا وأطعنا فيما أمرنا به، وقالوا نحن أقل قدراً في نفوسنا من أن نجعل في شريعة الله ما ليس منها، أو أن نبتدع في دين الله ما ليس منه، لا شك أن هؤلاء هم الذين عرفوا قدر أنفسهم، وعرفوا قدر خالقهم، هؤلاء هم الذين عظموا الله ورسوله، وهم الذين أظهروا صدق محبتهم لله ورسوله.
لا أولئك الذين يبتدعون في دين الله ما ليس منه في العقيدة، أو القول، أو العمل، وإنك لتعجب من قوم يعرفون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) ويعلمون أن قوله: "كل بدعة" كلية عامة شاملة، مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم "كل" والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ إلا بشيء يقصد معناه. إذاً فالنبي صلى الله عليه وسلم حينما قال: (كل بدعة ضلالة) كان يدري ما يقول، وكان يدري معنى ما يقول، وقد صدر هذا القول منه عن كمال نصح للأمة.
وإذا تم في الكلام هذه الأمور الثلاثة ــ كمال النصح، والإرادة، وكمال البيان والفصاحة وكمال العلم والمعرفة ـ دل ذلك على أن الكلام يراد به ما يدل عليه من المعنى، أفبعد هذه الكلية يصح أن نقسم البدعة إلى أقسام ثلاثة، أو إلى أقسام خمسة؟ أبداً هذا لا يصح.
وما ادعاه العلماء من أن هناك بدعة حسنة. فلا تخلو من حالين:
1- 1- أن لا تكون بدعة لكن يظنها بدعة.
2- 2- أن تكون بدعة فهي سيئة لكن لا يعلم عن سوئها.
فكل ما ادعي أنه بدعة حسنة فالجواب عنه بهذا. وعلى هذا فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة وفي يدنا هذا السيف الصارم من

رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل بدعة ضلالة). إن هذا السيف الصارم إنما صنع في مصانع النبوة والرسالة، إنه لم يصنع في مصانع مضطربة، لكنه صنع في مصانع النبوة، وصاغه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول: إنها حسنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كل بدعة ضلالة).

وكأني أحس أن في نفوسكم دبيباً يقول يقول : ما تقول في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الموفق للصواب حينما أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في رمضان، فخرج والناس على إمامهم مجتمعون فقال: "نعمت البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون".

*** فالجواب عن ذلك من وجهين:**

الوجه الأول: أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يعارض كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بأي كلام، لا بكلام أبي بكر الذي هو أفضل الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عمر الذي هو ثاني هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام عثمان الذي هو ثالث هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام علي الذي هو رابع هذه الأمة بعد نبيها، ولا بكلام أحد غيرهم لأن الله تعالى يقول:]فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم[[1]. قال الإمام أحمد رحمه الله: "أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول النبي صلى الله عليه وسلم ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك". أ.هـ.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون : قال أبو بكر وعمر".

الوجه الثاني: أننا نعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشد الناس تعظيماً لكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان مشهوراً بالوقوف على حدود الله تعالى حتى كان يوصف بأنه كان وقافاً عند كلام الله تعالى. وما قصة

---

(1) سورة النور، الآية: 63.

المـرأة الـتي عارضـته ـ إن صـحت القصـة ـ في تحديـد المهور بمجهولة عند الكثير حيث عارضته بقولـه تعـالى:]وآتيتم إحداهن قنطاراً[[2] . فـانتهى عمـر عمـا أراد من تحديد المهـور. لكن هـذه القصـة في صـحتها نظـر. لكن المراد بيان أن عمر كان وقافاً عند حـدود اللـه تعـالى لا يتعداها، فلا يليق بعمر رضـي اللـه عنـه وهـو من هـو أن يخالف كلام سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وأن يقول عن بدعة:"نعمت البدعة" وتكـون هـذه البدعـة هي التي أرادها رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم بقولـه: (كل بدعة ضلالة) بل لابد أن تنزل البدعة التي قال عنها عمر : إنها "نعمت البدعة" على بدعة لا تكون داخلة تحت مراد النبي صلى الله عليه وسلم في قولـه: (كـل بدعـة ضلالة) فعمر رضي الله عنه يشير بقوله: "نعمت البدعـة هـذه" إلى جمـع النـاس على إمـام واحـد بعـد أن كـانوا متفرقين، وكان أصل قيام رمضان من رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فقـد ثبت في الصـحيحين من حـديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم قام في الناس ثلاث ليال وتأخر عنهم في الليلة الرابعة وقـال: (إني خشـيت أن تفـرض عليكم فتعجـزوا عنهـا). فقيام الليل في رمضان جماعة من سنة الرسـول عليـه الصـلاة والسـلام، وسـماها عمـر رضـي اللـه عنـه بدعـة باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم لمـا تـرك القيـام صار الناس متفرقين يقوم الرجل لنفسه، ويقوم الرجل ومعه الرجل، والرجل ومعـه الـرجلان، والرهـط، والنفـر في المسجد، فرأى أمير المؤمنين عمر رضـي اللـه عنـه برأيه السديد الصـائب أن يجمـع النـاس على إمـام واحـد فكان هذا الفعل بالنسبة لتفرق النـاس من قبـل بدعـة، فهي بدعـة اعتباريـة إضـافية، وليسـت بدعـة مطلقـة إنشائية أنشـأها عمـر رضـي اللـه عنـه، لأن هـذه السـنة كانت موجودة في عهد الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم فهي سنة لكنها تركت منـذ عهـد الرسـول عليـه الصـلاة والسلام حتى أعادها عمر رضي الله عنه وبهـذا التقعيـد

([2] سورة النساء، الآية: 21.

لا يمكن أبداً أن يجد أهل البدع من قول عمر هـذا منفـذاً لما استحسنوه من بدعهم.

*** وقـد يقـول قائـل: هنـاك أشـياء مبتدعـة قبلهـا المسلمون وعملوا بها وهي لم تكن معروفة في عهـد النـبي صـلى الله عليـه وسـلم كالمـدارس، وتصـنيف الكتب، ومـا أشـبه ذلـك وهـذه البدعـة استحسـنها المسـلمون وعملـوا بهـا ورأوا أنهـا من خيـار العمـل، فكيف تجمع بين هذا الذي يكاد أن يكـون مجمعـاً عليـه بين المسـلمين وبين قـول قائـد المسـلمين ونـبي المسـلمين ورسـول رب العـالمين صـلى الله عليـه وسلم: (كل بدعة ضلالة)؟.**

فالجواب: أن نقول : هذا في الواقع ليس ببدعة، بل هذا وسيلة إلى مشروع، والوسائل تختلـف بـاختلاف الأمكنـة والأزمنة، ومن القواعد المقررة أن الوسائل لهـا أحكـام المقاصـد، فوسـائل المشـروع مشـروعة، ووسـائل غـير المشروع غير مشروعة بل وسائل المحرم حرام. والخير إذا كان وسيلة للشر كان شراً واستمع إلى الله عز وجل يقول:]ولا تسـبوا الـذين يـدعون من دون اللـه فيسـبوا الله عدواً بغير علم[[1]. وسب آلهة المشركين ليس عدواً بل حـق وفي محلـه، لكن سـب رب العـالمين عـدو وفي غـير محلـه وعـدوان وظلم، ولهـذا لمـا كـان سـب آلهـة المشـركين المحمـود سـبباً مفضـياً إلى سـب اللـه كـان محرماً ممنوعاً، سـقت هـذا دليلاً على أن الوسـائل لهـذا أحكـام المقاصـد فالمـدارس، وتصـنيف العلم، وتـأليف الكتب وإن كان بدعة لم يوجد في عهد النبي صـلى اللـه عليه وسلم على هذا الوجه إلا أنـه ليس مقصـداً بـل هـو وسيلة والوسـائل لهـا أحكـام المقاصـد. ولهـذا لـو بـنى شخص مدرسة لتعليم علم محرم كان البناء حرامـاً، ولـو بنى مدرسة لتعليم علم شرعي كان البناء مشروعاً.

*** فإن قال قائل: كيف تجيب عن قول النبي صلى الله عليه وسـلم: (من سـن في الإسـلام سـنة حسـنة فلـه أجرهـا وأجـر من عمـل بهـا إلى يـوم القيامـة) وسـن بمعنى "شرع"؟.**

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 108.

* فالجواب: أن من قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة" هو القائل: "كل بدعة ضلالة" ولا يمكن أن يصدر عن الصادق المصدوق قول يكذب له قولاً آخر، ولا يمكن أن يتناقض كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أبداً، ولا يمكن أن يرد على معنى واحد مع التناقض أبداً، ومن ظن أن كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم متناقض فليعد النظر فإن هذا الظن صادر إما عن قصور منه ، وإما عن تقصير . ولا يمكن أن يوجد في كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم تناقض أبداً .

وإذا كان كذلك فبيان عدم مناقضة حديث "كل بدعة ضلالة" لحديث "من سن في الإسلام سنة حسنة" أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من سن في الإسلام) والبدع ليست من الإسلام، ويقول "حسنة" والبدعة ليست بحسنة، وفرق بين السن والتبديع.

* وهناك جواب لا بأس به: أن معنى "من سن" من أحيا سنة كانت موجودة فعدمت فأحياها وعلى هذا فيكون "السن" إضافياً نسبياً كما تكون البدعة إضافية نسبية لمن أحيا سنة بعد أن تركت.

* وهناك جواب ثالث يدل له سبب الحديث وهو قصة النفر الذين وفدوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا في حالة شديدة من الضيق، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التبرع لهم، فجاء رجل من الأنصار بيده صرة من فضة كادت تثقل يده فوضعها بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي عليه الصلاة والسلام يتهلل من الفرح والسرور وقال: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) فهنا يكون معنى "السن" سن العمل تنفيذاً وليس العمل تشريعاً ، فصار معنى (من سن في الإسلام سنة حسنة) من عمل بها تنفيذاً لا تشريعاً، لأن التشريع ممنوع "كل بدعة ضلالة".

* وليعلم أيها الإخوة أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

* الأول : السبب فإذا تعبد الإنسان لله عبـادة مقرونـة بسبب ليس شرعياً فهي بدعة مردودة على صاحبها .
مثال ذلك: أن بعض الناس يحيي ليلة السـابع والعشـرين من رجب بحجة أنها الليلة التي عـرج فيهـا برسـول اللـه صلى الله عليه وسلم ، فالتهجد عبـادة، ولكن لمـا قـرن بهذا السبب كان بدعة لأنه بنى هـذه العبـادة على سـبب لم يثبت شرعاً. وهذا الوصف ـ موافقة العبادة للشـريعة في السبب ـ أم مهم يتبين به ابتداع كثير ممـا يظن أنـه من السنة وليس من السنة.
* الثـاني: الجنس فلا بـد أن تكـون العبـادة موافقـة للشرع في جنسها فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.
مثال ذلك: أن يضحي رجل بفرس، فلا يصح أضـحية لأنـه خالف الشـريعة في الجنس، فالأضـاحي لا تكـون إلا من بهيمة الأنعام، الإبل، البقر، الغنم.
* الثالث: القدر فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غـير مقبولـة لأنهـا مخالفـة للشرع في القدر ومن باب أولى لو أن الإنسـان صـلى الظهر مثلاً خمساً فإن صلاته لا تصح بالاتفاق.
* الرابع: الكيفية فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسـح رأسـه ثم غسـل يديـه، ثم وجهـه فنقـول: وضؤوه باطل لأنه مخالف للشرع في الكيفية.
* الخـامس: الزمـان فلـو أن رجلاً ضحى في أول أيـام ذي الحجـة فلا تقبـل الأضـحية لمخالفـة الشـرع في الزمان.
وسمعت أن بعض الناس في شهر رمضان يـذبحون الغنم تقربـاً للـه تعـالى بالـذبح، وهـذا العمـل بدعـة على هـذا الوجه، لأنه ليس هناك شيء يتقرب بـه إلى اللـه بالـذبح إلا الأضحية، والهدي والعقيقة، أما الذبح في رمضان مع اعتقاد الأجر على الذبح كالذبح في عيد الأضحى فبدعـة. وأما الذبح لأجل اللحم فهذا جائز.
* السادس: المكان فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلـك لأن الاعتكـاف لا يكـون إلا في المساجد، ولـو قـالت امـرأة: أريـد أن أعتكـف في

مصلى البيت. فلا يصح اعتكافها لمخالفة الشرع في المكان. ومن الأمثلة لو أن رجلاً أراد أن يطوف فوجد المطاف قد ضاق ووجد ما حوله قد ضاق فصار يطوف من وراء المسجد فلا يصح طوافه لأن مكان الطواف البيت قال الله تعالى لإبراهيم الخليل:]وطهر بيتي للطائفين[[1].

فالعبادة لا تكون عملاً صالحاً إلا إذا تحقق فيها شرطان:

الأول: الإخلاص ـــ الثاني: المتابعة، والمتابعة لا تتحقق إلا بالأمور الستة الآنفة الذكر.

*** وإنني أقول لهؤلاء الذين ابتلوا بالبدع ـ الذين قد تكون مقاصدهم حسنة ويريدون الخيرـ : إذا أردتم الخير فلا والله لا نعلم طريقاً خيراً من طريق السلف رضي الله عنهم.**

*** أيها الإخوة عضوا على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنواجذ واسلكوا طريق السلف الصالح وكونوا على ما كانوا عليه وانظروا هل يضيركم ذلك شيئاً؟.**

وإني أقول ـ وأعوذ بالله أن أقول ما ليس لي به علم ـ أقول : إنك لتجد الكثير من هؤلاء الحريصين على البدع يكون فاتراً في تنفيذ أمور ثبتت شرعيتها وثبتت سنيتها، فإذا فرغوا من هذه البدع قابلوا السنن الثابتة بالفتور، وهذا كله من نتيجة أضرار البدع على القلوب فالبدع أضرارها على القلوب عظيمة، وأخطارها على الدين جسيمة، فما ابتدع قوم في دين الله بدعة إلا أضاعوا من السنة مثلها أوأ شد، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم من السلف.

لكن الإنسان إذا شعر أنه تابع لا مشرع حصل له بذلك كمال الخشية والخضوع، والذل، والعبادة لرب العالمين، وكمال الاتباع لإمام المتقين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم.

إنني أوجه نصيحة إلى كل إخواني المسلمين الذين استحسنوا شيئاً من البدع سواء فيما يتعلق بذات الله، أو أسماء الله، أو صفات الله، أو فيما يتعلق برسول الله

---

[1] سورة الحج، الآية: 26.

صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، أن يتقوا الله ويعدلوا عن ذلك، وأن يجعلوا أمرهم مبنياً على الاتباع لا على الابتداع، على الإخلاص لا على الإشراك، على السنة لا على البدعة، على ما يحبه الرحمن لا على ما يحبه الشيطان، ولينظروا ماذا يحصل لقلوبهم من السلامة، والحياة، والطمأنينة، وراحة البال، والنور العظيم.

وأسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين، وقادة مصلحين، وأن ينير قلوبنا بالإيمان، والعلم، وأن لا يجعل ما علمنا وبالاً علينا ، وأن يسلك بنا طريق عباده المؤمنين ، وأن يجعلنا من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح حديث عائشة رضي الله عنها

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

عائشة هي بنت أبي بكر الصديق، تزوجها النبي، صلى الله عليه وسلم ، وهي صغيرة لها ست سنوات، ودخل عليها وهي صغيرة أيضاً لها تسع سنوات، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، وكان عندها من العلم الكثير الذي نفع الله به الأمة، وكنيتها أم عبدالله، والصحيح أنها لم تلد وقيل إنها تكنت بابن أختها عبدالله بن الزبير.

قوله: "أحدث" أي أتى بشيء جديد.

"في أمرنا" أي في ديننا.

"ما ليس منه" أي باعتبار الشرع.

"رد" بمعنى مردود، وهـذه الكلمـة مصـدر، والفعـل (رد)، والمصـدر هنـا بمعـنى اسـم المفعـول (مـردود)، ويـأتي المصدر بمعنى اسم المفعول ولـذلك شـواهد من اللغـة، منهـا كلمـة (الحمـل) فهي بمعـنى (المحمـول) كمـا في قوله تعالى:]وإن كن أولات حمل[[1] أي محمول.

وفي هذا الحديث يخبر النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، بجملة شرطية أن من أحـدث في دين اللـه مـا ليس منـه فهـو رد مـردود على صـاحبه، حـتى إن كـان أحدثـه عن حسن نية فإنه لا يقبل منه، لأن اللـه لا يقبـل من الـدين إلا ما شرع.

ولهـذا كـان من القواعـد المقـررة عنـد أهـل العلم " أن الأصل في العبادات الحظر والمنع حتى يقوم دليل على المشروعية" قال سبحانه :]أم لهم شـركاء شـرعوا لهم من الدين ما لم يإذن به الله[[2] وهذا إنكار عليهم.

وعلى العكس من ذلك فالأصل في المعـاملات والأفعـال والأعيان الإباحة والحل حتى يقول دليل على المنع.

وهذا الحديث ورد في العبادات وهي التي يقصد الإنسان بها التعبد والتقـرب إلى اللـه، فنقـول لمن يـزعم شـيئاً عبـادة: هـات الـدليل على أن هـذا عبـادة، وإلا فقولـك مردود.

ويحتاج هذا الحديث إلى تحرير بالغ.

فأولاً: ينبغي معرفة هل هذا عبادة أم عادة.

فمثلاً لو أن رجلاً قال لصاحبه الذي نجا من هلكة: ما شاء الله، هنيئاً لك. فقال له رجل: هـذه بدعـة. فهـذا القـول غـير صـحيح، لأن هـذا من أمـور العـادة وليس من أمـور العبادة. وفي الشـرع مـا يشـهد لهـذا حيث جعـل النـاس يهــنئون كعب بن مالــك بتوبــة اللــه عليــه في حديثــه الطويل. وكثـير من التهـاني الـتي تحـدث بين النـاس لا يـزعم أحـد أنهـا بدعـة إلا بـدليل، لأنهـا أمـور عـادات لا عبـادات، وكمن قابـل رجلاً نجح في امتحـان فقـال لـه: مبارك. فمن يقول : هذه بدعة غير محق في ذلك.

---

[1] سورة الطلاق، الآية: 6.

[2] سورة الشورى، الآية: 21.

وإذا تردد الأمر بين كونه عبادة أو عادة فالأصل أنه عـادة ولا ينهى عنه حتى يقوم دليل على أنه عبادة.

وتوجد أشياء ابتدعها النـاس في دين اللـه، كإحـداث أذكار معينة بصيغ وعدد ووقت وهي لم تشـرع على هـذا الوجه لا في الزمن ولا العدد، ولا الهيئة، كمن يسبح ألف مرة ويلتزم بذلك ويجعله في الصـباح مثلاً، فهـذا العمـل بدعة، مردود على صاحبه لا ثواب له.

فإن قـال: كيـف تنكـرون أن أقـول : سـبحان اللـه ؟ فنقول: نحن لا ننكر عليك سبحان الله، بل ننكر عليك أن تأتي بها على هذه الصفة التي لم ترد، أما أن تسبح آنــاء الليل وأطراف النهار تسبيحاً غير مقيـد بـزمن، ولا عـدد، ولا هيئة فلا ننكر عليك.

وكذلك ما يحدث في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من اجتماع النـاس وإتيـانهم بصـيغ من الصـلاة والسـلام على رسول الله لم ترد عن الرسول ولا أصحابه بــل هي محشوة من الغلو في رسول اللـه الـذي حـذر أمتـه منـه، ويأخذون في ترانيم على صـفات معينـة، فكـل هـذا بـدع مردودة.

وإذا قــالوا: نحن نصــلي على رســول اللــه لننــال ثــواب الصلاة عليه. فنقول لهم: تحديدها بزمـان، وعـدد معين، وصيغة معينة قد تكون غير واردة أو منهياً عنها، كل هذا جعلها بدعة مردودة.

واعلم أنك لن تحدث بدعة في دين الله إلا انتزع الله من قلبك من السنة ما يقابل هـذه البدعـة، لأن القلب وعـاء إن ملأته بالخير لم يبق فيه مكان للشر، وإن ملأته بالشر لم يبق فيه مكان للخير، وإذا ملأتـه بالسـنة لم يبـق فيـه مكـان للبدعـة، وإذا ملأتــه بالبدعــة لم يبــق فيــه مكــان للسنة.

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تجد هـؤلاء الحريصـين على البدع عنـدهم قصـور وفتـور في اتبـاع السـنن، ولا يكادون يأتون بها على الوجه المطلوب.

ولذلك فإذا تعبد إنسان في ليلـة السـابع والعشـرين من شهر رجب بعبادات من أذكـار وصـلوات على رسـول

الله وغير ذلك، فهذه بدعة، ونجيب على من يفعل ذلك من وجهين:
الأول: أنه لم يثبت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، عرج به في هذه الليلة، وهذا يبطل كل ما ينبني على هذا.
الوجه الثاني: لو سلمنا بذلك فهذا لا يقتضي أن نثبت لها شيئاً من العبادات، لأن الصحابة لم يجعلوا فيها شيئاً من هذه العبادات، والواجب على المؤمن أن يتبع ما جاء به الشرع، ولو اتبعنا ما كان عليه سلفنا الصالح فعلاً وتركاً صرنا أسعد مما نحن عليه اليوم.
وهذا الحديث كذلك ميزان للأعمال الظاهرة، كما أن حديث عمر في النية ميزان للأعمال الباطنة، فحديث عائشة عن المتابعة، وحديث عمر عن النية، والعبادة لا تقبل إلا بالإخلاص والمتابعة.
وهنا نذكر مثلاً ما يفعله الناس من التسابق على الجليد، فهذا لا ينكر عليه، لأن هذا من العادات لا من العبادات، وكذلك المصارعة فيما لا ضرر فيه، فإن اشتمل على ضرر كان حراماً، ليس لأنه بدعة، بل لما فيه من الضرر.
فالبدعة تكون في الأمور التعبدية، أما أمور العادات فإن كان فيها ضرر منعت وإلا فالأصل فيها الحل.
وكذلك من لبس لباساً غير معهود ولم ينه الشرع عنه فلا ننكر عليه.
ولو أن رجلاً داوم على حلق رأسه كلما نبت شعره حلقه، فهذا من الأمور العادية، ولهذا لما رأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، غلاماً قد حلق بعض رأسه، قال: "احلقه كله أو اتركه كله". وهذا دليل على أنه ليس من باب العبادة وإلا لأرشد النبي، صلى الله عليه وسلم ، إلى إبقاء الشعر، ولهذا فالراجح من أقوال أهل العلم أن إطلاق الشعر من الأمور العادية إن اعتادها الناس فعلت وإلا فلا.
ولو لبس الإنسان لباساً يخالف العادة ولكنه غير محرم شرعاً فلا ينبغي لئلا يكون لباس شهرة، ولباس الشهرة هو الذي يشتهر به الإنسان حتى يقال : هذا الثوب مثل

ثوب فلان، وقد يكون بالدون وقد يكـون بـالأعلى، حـتى قال بعض العلماء: لو أن رجلاً فقيراً لبس ثيـاب الأغنيـاء صار في حقه ثوب شـهرة ولـو أن رجلاً غنيـاً لبس ثيـاب الفقـراء صـار في حقـه ثـوب شـهرة. وإنمـا يلبس كـل إنسان ما يناسب حاله. واليوم والحمد لله لم يعـد هنـاك فرق كبير بين ثوب الغني والفقير.

وبناء على ما تقدم فإنه لا يستحب أن يقصد العمـرة في ليلة السابع والعشرين من رمضـان، ومن قصـد ذلـك فقد أتى بشيء لا دليل عليه، فليلة القـدر وإن كـان لهـا خاصـية لكنهـا لا تطلب بـأداء العمـرة فيهـا بـل بقيامهـا لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القـدر إيماناً واحتساباً غفر له مـا تقـدم من ذنبـه". ولم يقـل : من اعتمـر، وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "عمـرة في رمضـان تعـدل حجـة" ولم يقـل : عمـرة في ليلـة سـبع وعشرين تعدل حجة.

فننصح لإخواننـا الـذين يريـدون وجـه اللـه أن تكـون أعمالهم موافقـة لشـرع اللـه سـبحانه لأن مجـرد إخلاص النية وإرادة وجه الله لا يكفي في قبول العلم كما سـبق بيانه. ولم أجـد في سـنة رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، مـا يـدل على اسـتحباب العمـرة ليلـة السـابع والعشرين، بل هي كغيرهـا من أيـام رمضـان في فضـل الاعتكـاف لمـا سـبق من قولـه عليـه الصـلاة والسـلام: "عمرة في رمضان".

ولا يفيـد الإنسـان أن يعبـد اللـه بالعاطفـة بـدون أصـل شرعي يرجع إليه لأن ذلك اتباع للهـوى، فللشـرع حـدود معينة مضبوطة من كل وجه حتى لا يتفرق النـاس فيهـا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

ثم إن ليلــة القــدر ليســت مخصوصــة بليلــة ســبع وعشرين، فالنصوص الواردة عن رسول الله، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، تـدل أنهـا تتنقـل في الأعـوام ففي عـام تكــون ليلــة ثلاث وعشــرين، وفي آخــر ليلــة خمس وعشرين، وغيره ليلة تسـع وعشـرين وثمـان وعشـرين، وست وعشرين.. وهكذا.

وقد ثبت في الصحيحين أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، اعتكف العشر الأوسط ابتغاء ليلة القدر فخرج على أصحابه ليلة إحدى وعشرين وأخبرهم أنه كان يعتكف طلباً لليلة القدر وأنه رأى ليلة القدر في العشر الأواخر ولكنه أنسيها حكمة من الله تعالى، وقال عليه الصلاة والسلام: "وقد رأيتني أسجد في صبيحتها في ماء وطين". قال أنس: فمطرت السماء تلك الليلة فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام يصلي الفجر فرأيت على جبهته أثر الماء والطين. وكانت تلك ليلة إحدى وعشرين. وقال عليه الصلاة والسلام: "التمسوها في خامسة تبقى، في رابعة تبقى،..." إلى آخر الحديث.

وهذا يدل أنها تنتقل ولا تتعين في ليلة سبع وعشرين. ونرى كثيراً من المسلمين يجتهدون في ليلة سبع وعشرين ويتساهلون فيما عداها، وقد تكون في غيرها فيحرمون خيرها.

وينبغي للإنسان أن يجتهد في تلك الليالي كلها في الدعاء بقلب خالص وأمل في الله سبحانه، وأن يحرص على اجتناب أكل الحرام، لأنه من أسباب رد الدعاء، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" وفي الحديث: "ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، وملبسه حرام، ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له". فذكر النبي، صلى الله عليه وسلم ، من أسباب إجابة الدعاء السفر وهو مظنة للإجابة، وكذلك ذكر الشعث والغبر ولا شك أن كون الإنسان غير مترف ولا مهتم بأمور ملبسه ومظهره بل مهتم بإصلاح قلبه، وكذلك ذكر مد اليدين إلى السماء وهو من إظهار الافتقار إلى الله وإظهار الضعف والحاجة لله سبحانه، وذكر كذلك قوله : يا رب يا رب. ودعوة الله بهذا الاسم هو توسل إلى الله بأسمائه وخلقه للناس وربوبيته لهم.

ثم ذكر رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، أن مأكله، ومشربه، وملبسه، وغذاءه كله من حرام، فيمنع إجابة الدعاء.

و(أنى) للاستفهام بمعنى الاستبعاد، أي بعيد أن يستجيب الله له.
ولهذا فأحذر إخواني من أكل الحرام، وهو ليس فقط كما يظن البعض أكل الخنزير، والميتة، وشرب الخمر بل يشمل أكل الحرام لذاته كهذه الأشياء، وأكله لكسبه بأن يكون الشيء حلالاً ثم يصير حراماً كالمغصوب والمسروق.
وكذلك المرابي ومن يأكل الربا سواء بصراحة أو بتحايل، والحيلة في ذلك أقبح من الصراحة لأنها تتضمن مفسدتين: المحرم والمخادعة والخيانة لله سبحانه، وهذا لا يخادع إلا نفسه فالله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
وكذلك الذي يكسب المال بالغش والخداع، فيظهر السلعة بمظهر طيب وهي رديئة فيظنها المشتري جيدة ويدفع فيها الثمن الكثير وهي في الحقيقة لا تساوي هذا الثمن. وقد يظن هذا البائع الغشاش أنه ربح ولكنه في الحقيقة خاسر، لأن المغبون سيأخذ من حسناته يوم يكون أحوج إلى الحسنة من الدنيا وما عليها ولا يستطيع أن يفدي نفسه.
وقد مر النبي، صلى الله عليه وسلم ، بصاحب تمر فأدخل يده في التمر فإذا أسفله مبلول، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام"؟ فقال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال النبي، صلى الله عليه وسلم: "من غش فليس منا". وكان الواجب على هذا أن يظهر الرديء حتى يعرفه الناس.
ومن ذلك أيضاً الكسب عن طريق الكذب، كمن يحلف أن هذه السلعة تساوي مائة وهي لا تساوي أكثر من خمسين، وقد يغتر من لا يعرف سعر هذه السلعة، فهذه الزيادة قد جاءت بالكذب وقد يزين له الشيطان أن المشتري قد اشترى برضاه، ولكن نقول له: لو علم المشتري أن القيمة الحقيقية أقل مما دفع فإنه لن يرضى، فهو إذاً لم يشتر عن تراضٍ بل بكذب وتغرير ودجل.

وقد تجد من يبيع السلعة بمائة ويبيعها من بجواره بخمسين، ولا شك أن هذا فرق كبير ليس مما يجري به العرف ويوجد بين الناس عادة ويتراضون به.

فالخلاصة أن الأصل في العبادات الحظر والمنع حتى يقوم دليل على المشروعية وأن كل من أحدث في دين الله ما ليس منه فهو رد مردود على صاحبه، وأن الله لا يقبل من الدين إلا ما شرع، وأنه لابد من الإخلاص لله عز وجل والمتابعة لرسوله، صلى الله عليه وسلم.

مفاتح الغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين أما بعد...

نتكلم في هذا الدرس إن شاء الله ـ تعالى ـ عن مفاتح الغيب:]وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو[[1]، وقد بينها النبي، صلى الله عليه وسلم ، حيث تلا قوله ـ تعالى ـ :]إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت[[2].

هذه مفاتح الغيب، وسميت مفاتح لأن كل واحد منها فاتحة لشيء بعده:

]إن الله عنده علم الساعة[[3]، فالساعة فاتحة للآخرة التي هي النهاية.

]وينزل الغيث[[4]، والغيث فاتحة لحياة النبات.

]ويعلم ما في الأرحام[[5]، فاتحة لحياة كل شيء.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 59.

(2) سورة لقمان، الآية: 34.

(3) سورة لقمان، الآية: 34.

(4) سورة لقمان، الآية: 34.

(5) سورة لقمان، الآية: 34.

]وما تدري نفس ماذا تكسب غداً[[6]، فاتحة للمستقبل.
]وما تدري نفس بأي أرض تمـوت[[7]، فاتحـة لقيامـة كـل إنسان بحسبه، علم الساعة: القيامة العامة، وأما قولـه ـ تعالى ـ:]وما تدري نفس بأي أرض تموت[[8]، فهو فاتحة لقيامة كل إنسان، لأن من مات فقد قامت قيامته.

أولاً: إن الله عنده علم الساعة:

علم الساعة لا يمكن لأحد أن يدركه إلا الرب ـ عز وجل ـ، فها هو أفضل الرسل من الملائكة جبريل يسـأل أفضـل الرسل من البشر محمداً، صلى الله عليه وسلم ، يقول: أخـبرني عن السـاعة؟ فقـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسلم: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل". أي علمي وعلمك فيهـا سـواء، فكمـا أنـك لا تعلمهـا فأنـا كـذلك لا أعلمهـــا، ولهـــذا من ادعى علم الســاعة فهـــو مكـــذب للقــرآن، ومكــذب للســنة، ومكــذب لإجمــاع المســلمين وخارج عن المسلمين.

يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:]يسألونك عن السـاعة أيـان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هــو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتـة يسـألونك كأنك حفي عنهـا قـل إنمـا علمهـا عنـد اللـه ولكن أكـثر الناس لا يعلمون[[1] وقال ـ تعالى ـ:]وعنده علم السـاعة وإليه ترجعون[[2]، وتقديم الخـبر في قولـه:]وعنـده علم الساعة[[3]، يفيد الحصر، لأن من طرق الحصر تقـديم مـا حقه التأخير.

ومن صدق من ادعى علم السـاعة فهـو كـافر أيضـاً، لأن من صدق من يكذب بالقرآن أو بالسنة فقد كذب القرآن والسنة، وعلى هذا فلا يمكن أن نصدق شخصاً يدعي أنـه يعلم متى تكون الساعة، ومن صدقه فهو كـافر لتكذيبـه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

---

[6] سورة لقمان، الآية: 34.

[7] سورة لقمان، الآية: 34.

[8] سورة لقمان، الآية: 34.

[1] سورة الأعراف، الآية: 187.

[2] سورة الزخرف ، الآية: 85.

[3] سورة الزخرف، الآية: 85.

لكن هل للساعة علامات؟
فالجواب: نعم قال ـ تعالى ـ:]فهل ينظـرون إلا السـاعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جـاءتهم ذكراهم[[4].
ثانياً: نزول الغيث:
]وينزل الغيث[وهنا لم يقل : يعلم نزول الغيث، بل قال:]وينزل الغيث[، وإذا كـان تنزيـل الغيث ليس لأحـد سـوى الله، فعلم نزوله ليس لأحد سوى الله ـ عز وجل ـ.
ولكن قد يقول قائل: ما الحكمة في أن الله ـ عز وجـل ـ قـال في السـاعة:]إن اللـه عنـده علم السـاعة[[5]، وفي الغيث قـــال:]ويـــنزل الغيث[[6]، دون أن يقـــول: ويعلم نـزول الغيث؟ مـع أن عـدم العلم بـنزول الغيث مسـتفاد من كون الذي ينزل الغيث هو الله وحده، فإذا كان الـذي ينزل الغيث هو الله وحده لزم من ذلـك أنـه لا يعلم أحـد نزول الغيث إلا من ينزله؟.
لكن الحكمة والله أعلم أن الـذي ينفـع النـاس ويسـتفيد الناس منه ويلمسونه بأيديهم هو الغيث وهو الذي يكـون مفتاحاً لحياة الأرض.
إذاً لا يعلم مـتى يـنزل المطـر إلا اللـه، لأن الـذي يـنزل المطر والغيث هو الله.
لكن يرد علينا أننا نسمع في الإذاعات، يقولـون: سـينزل غـداً مطـر في جهـات معينـة، فهـل هـذا ينـافي أن علم نزول الغيث خاص بالله؟.
فالجواب: أن هذا يشكل على كثير من النـاس، فيظن أن هـذه التوقعـات ــ الـتي تـذاع في الإذاعـات ــ يظن أنهـا تعارض قـول اللـه ــ تعـالى ــ:]وعنـده مفـاتح الغيب[[1]، والحقيقـة أنهـا لا تعـارض ذلـك، لأن علمهم بهـذا علم مستند إلى محسوس لا إلى غيب، وهذا المحسـوس هـو أن الله ــ عـز وجـل ــ حكيم، كـل شـيء يقـع لـه سـبب، فالأشياء مربوطة بأسبابها، فقد تكون الأسـباب معلومـة

---

(4) سورة محمد، الآية: 18.
(5) سورة لقمان، الآية: 34.
(6) سورة لقمان، الآية: 34.
(1) سورة الأنعام، الآية: 59.

لكل أحد، وقد تكـون معلومـة لبعض النـاس، وقـد تكـون غير معلومة لأحد، فإننا لا نعلم سبب كـل شـيء وحكمـة كل شيء، المطر إذا أراد الله ـ عز وجـل ــ إنزالـه، فـإن الجو يتغير تغيراً خاصـاً، يتكـون معـه السـحاب، ثم نـزول المطر، كما أن الحامل عندما يريد الله ــ عـز وجـل ــ أن يخـرج منهـا الولـد فـإن الجـنين ينشـأ في بطنهـا شـيئاً فشـيئاً حـتى يصـل إلى الغايـة، فهـؤلاء عنـدهم مراصـد دقيقة، تلامس الجو، ويعرف بها تكيـف الجـو، فيقولـون إنه سيكون مطـر، ولهـذا نجـدهم لا يتجـاوز علمهم أكـثر من ثمان وأربعين ساعة هذا أكـثر مـا سـمعت، وإن كـان قد قيل:إنهم وصلوا إلى أن يعلموا مدى ثلاثة أيام، على كل حال فعلمهم محدود، لأنه مبـني على أسـباب حسـية لا تـــدرك إلا بواســـطة هـــذه الآلات، ونحن مثلاً بحســـنا القاصـر إذا رأينـا السـماء ملبـدة بـالغيوم، ورأينـا هـذا السحاب يرعد ويبرق، فإننا نتوقع أن يكـون ذلـك مطـراً، هم كذلك يتوقعون إذا رأوا في الجو تكيفـاً معينـاً يصـلح معه أن يكون المطـر وحينئـذ لا معارضـة بين الآيـة وبين الواقع، على أنهم أيضاً يتوقعون توقعـاً فربمـا يخطئـون وربما يصيبون.

ثالثاً: ويعلم ما في الأرحام:

أولاً: قوله ـ تعالى ـ:]ويعلم ما في الأرحام[[2]،]ما[اسـم موصول يفيد العموم، وتعلق العلم بهذا العـام هـو تعلـق عام أيضاً، فعلم ما في الأرحام لا يقتصر على علم كونه ذكراً، أو أنثى، واحداً أم متعدداً، بل علم مـا في الأرحـام أشمل من ذلك، فهو يشمل كونه ذكـراً أو أنـثى، يشـمل كونه واحداً أو متعدداً، يشـمل يخـرج حيـاً أو يخـرج ميتـاً، يشمل أن هذا الجنين سيبقى مـدة طويلـة في الـدنيا أو مدة قصيرة يشمل أن هذا الجنين سيكون ذا مال كثير أو فقـر مـدقع، يشـمل أن هـذا الجـنين سـيكون عالمـاً أو جـاهلاً، فكـل مـا يتعلـق بهـذا الجـنين يـدخل في قولـه:]ويعلم ما في الأرحام[[3] فهو شـامل عـام خـاص باللـه ـ تعالى ـ.

---

[2] سورة لقمان، الآية: 34.

[3] سورة لقمان، الآية: 34.

ولكن يشـكل على هـذا أنـه في عصـرنا الحاضـر توصـل الطب إلى أن يعلم أن مـافي بطن هـذه الأنـثى ذكـر أو أنثى فهل يبقى معارضة في الآية؟ فـالجواب: أنـه ليس هناك معارضة للآية، لأنهم لا يعلمون أنه ذكر أو أنـثى إلا بعد أن يكون ذكراً أو أنثى، أما قبل ذلـك فلا يسـتطيعون العلم بأنه ذكـر أو أنـثى، وإذا كـان ذكـراً أو أنـثى وخلـق ذكراً أو خلق أنثى فإنه يكـون من عـالم الغيب عنـد أكـثر النـاس، ويكـون من عـالم الشـهادة عنـد من يحصـل لـه العلم بـذلك، فالملـك مثلاً يرسـله اللـه ــ تعـالى ــ إلى الرحم، ويعلمه الله ـ عز وجل ـ أنه ذكر أو أنـثى، يقـول: يارب ذكر أو أنثى فيأمره الله ـ تعالى ــ بمـا أراد، فصـار هذا علم شهادة بالنسبة للملك، وقبل أن يكـون ذكـراً أو أنثى فهو علم غيب حتى بالنسبة للملائكة.

إذاً يكـون علم شـهادة بواسـطة تقـدم الطب لا يعـارض الآية الكريمة.

وبهـذه المناسـبة أود أن أقـول لكم : كـل مـا جـاء بـه القـرآن، وصـحت بـه السـنة، فإنـه لا يمكن أن يعـارض الواقع.

رابعاً: وما تدري نفس ماذا تكسب غداً؟

وانظـر إلى التعبـير بقولـه :]مـاذا تكسـب غـداً[[1] ، فـإن الإنسان قد يدري ماذا سيعمل غـداً ، لكنـه لا يـدري هـل سيكسب ذلك العمل أم لا. فلو أن شخصاً عنده عمل في المكتب ، ومرتب شؤونه ، وقال : غداً أول شـيء أعملـه كذا وكذا ، فإنه يكون قد علم ماذا يعمـل غـدا ، ولكنـه لا يعلم هل سيكسب ذلك العمـل ويحصـل لـه أم لا، ولهـذا قال سبحانه:]وما تدري نفس ماذا تكسب غداً[[2].

فأنت قد تخطط لعمل مستقبل كغد مثلاً، لكن لا تكسـبه، فقد يحول بينك وبينه مانع من موت، أو مرض، أو شـغل آخر ترى أنه أقدم منه أو ما أشبه ذلك.

خامساً: وما تدري نفس بأي أرض تموت:

وصدق الله فلا أحد يسـتطيع أن يحكم بأنـه سـيموت في الأرض الفلانية، فقد يقـول الإنسـان : أنـا لن أخـرج من

---

[1] سورة لقمان، الآية: 34.

[2] سورة لقمان، الآية: 34.

بلـدي فسـأموت في بلـدي، لكن هـذا قـد لا يتم فأحيانـاً يكـون الإنسـان في بلـده لا يخـرج أبـداً منهـا، فيمـرض، وتحدثـه نفسـه وتحـدوه همتـه وعزيمتـه إلى أن يسـافر للعلاج، فإذا وصـل إلى البلـد الـذي قـرر أن يتعـالج فيـه مات فور وصوله، وهـذا موجـود ويحـدث إذاً فهـو لا يعلم بأي أرض يموت، ومن بـاب أولى أيضـاً فإنـه لا يعلم في أي وقت يموت، لأن الإنسان يتصرف في مكانـه، فربمـا يقول قائل: إذا أحس بالموت ورأى أنه لا شـفاء لـه مثلاً قال: أذهب إلى الأرض الفلانية وأموت فيها، فإذا كان لا يعلم هذا فما بالك بالزمن الـذي لا يمكن تحديـده أبـداً؟! فالذي لا يعلم المكان لا يعلم الزمان من باب أولى.

ولقد جرت مسألتان إحداهما أدركتها أنا، والثانيـة حـدثت بها من ثقة.

أما الأولى: فإنه كان راكبان على دباب ــ دراجـة ناريـة ـ يمران بشارع فرعي، وهناك سيارة تمر بالشارع العـام ، فلما رأى صاحب السيارة هذا الدباب وقـف من أجـل أن يعبر الدباب ، والراكبـان على الـدباب لمـا رأيـا السـيارة وقفا لتعبر السيارة، فهذا تصرف سـليم، لكنـه في خلال دقيقــة أو دقيقــتين تحــركت الســيارة وتحــرك الــدباب واصـطدما، فمـات أحـد الراكـبين، فبمـاذا نفسـر هـذه الواقعة؟

نفسرها بأن هذا الرجل الذي مات بقي له من عمره دقيقتان أو دقيقة ، لو شاء الله ـ عز وجـل ــ لعـبر كـل من السيارة والدباب بسلام، أو لعـبرا من أول مـا التقيـا بسرعة وحصل الحادث، لكن حصل التوقف لمـدة دقيقـة أو دقيقتين من أجل أن يستكمل الأجل لهذا الـذي مـات، وهذه من آيات الله ـ عز وجل ــ قـال النـبي، صـلى اللـه عليه وسلم: "إنه لن تمـوت نفس حـتى تسـتكمل رزقهـا وأجلها".

أما المسألة الثانية: فقد حدثني بها من أثق به، فقد كان النـاس في السـابق يـأتون مكـة عن طريـق الـبر على الجمـال وكـان النـاس في ذلـك الـوقت يـنزلون جميعـاً ويسـيرون جميعـاً ، لأن البلاد غـير آمنـة تمامـاً ، يقـول: فخرج الحجاج إلى مكـة ، وكـانوا يمشـون في الريعـان ـ

أي الجبال والأودية ـ على حدود الحجـاز من نجـد، وكـان أحد القوم معه أمه مريضة وهو يمرضـها، فسـار النـاس من مكان نزولهم ليلاً، وهو جالس يمرض أمه، ويمهد لها الفراش من أجل أن تنـام على الراحلـة مسـتقرة، ولمـا أكمل رحـل المـركب لأمـه مشـى، ولكنـه أخطـأ القـوم، لأنهم تجـاوزوا كثـيراً، يقـول: فـدخل في طريـق جـادة صغيرة مع أحد الريعان، وصار يمشي وهو يظن أنه على إثـرهم حـتى ارتفعت الشـمس، وخـاف على نفسـه من العطش، فتبدى ـ ظهر ـ له خباء بدو ـ أي خيمة صـغيرة ـ فاتجه إليهـا ووصـل إليهم، وقـال: أين طريـق الحجـاج؟ قالوا له: طريق الحجـاج وراءك، لكن انـزل أنت والمـرأة معك حـتى تسـتريح ونـدلك فـنزل بأمـه يقـول : فمـا أن وضع أمه على الأرض حتى فاضت روحهـا، سـبحان اللـه العظيم، فمن يقـول: إن امـرأة من القصـيم تـأتي إلى الحجاز إلى هذه الأماكن التي قد لا يحلم أن يصل إليهـا، حتى تموت في هذا المكان؟!]وما تدري نفس بـأي أرض تموت إن الله عليم خبير[.

هذه مفاتح الغيب التي لا يعلمهـا إلا اللـه ــ عـز وجـل ــ. واللـه أعلم وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمـد وآلـه وصحبه أجمعين.

التوسل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد للـه رب العـالمين وصـلى اللـه وسـلم على المبعوث رحمة للعـالمين نبينـا محمـد وعلى آلـه وصـحبه أجمعين.

التوســل في اللغــة: مــأخوذ من الوســيلة، والوســيلة والوصـيلة والتوسـل والتوصـل معناهمـا متقـارب، لأن السـين والصـاد دائمـاً يتناوبـان، يعـني أحـدهما يسـتعير المكان من الآخر، ولهذا يقرأ قوله تعالى:]اهدنا الصراط

المستقيم[(1)] ويقرأ:]اهدنا السراط..[(2)] بالسين، وكلتاهما قراءة سبعية فيجوز أن تقرأ :]اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم[(3)] أو تقول:]اهدنا السراط المستقيم سراط الذين أنعمت عليهم[(4)] .

فالتوسل والتوصل معناهما متقارب جداً.

والوسيلة هي السبب الموصل إلى المقصود.

وهو على نوعين:

النوع الأول:

عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة، ولهذا نقول : جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار ودخول الجنة. قال الله تعالى:]أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب[(5)] فإذا صمت رمضان فإنه يقال : هذا وسيلة إلى مغفرة الذنوب، وقمت رمضان وسيلة أيضاً لمغفرة الذنوب، وقمت ليلة القدر وسيلة لمغفرة الذنوب، وكل هذا لابد أن يكون إيماناً واحتساباً، إذاً الأعمال الصالحة كلها وسيلة، والغرض من الأعمال الصالحة قوله تعالى:]فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز[(6)] ولهذا كان النبي، صلى الله عليه وسلم يستعيد من النار فيقول: "أعوذ بالله من النار". ويل لأهل النار.

أما النوع الثاني من الوسيلة: فهو ما يتخذ وسيلة لإجابة الدعاء وهو أقسام:

القسم الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه سواء كان بالأسماء على سبيل العموم أو باسم معين منها.

فمثال الأول التوسل بالأسماء على سبيل العموم ما ثبت في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهم والغم: "اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن

---

(1) سورة الفاتحة، الآية: 6.

(2) سورة الفاتحة، الآية: 6.

(3) سورة الفاتحة، الآيتان: 6- 7.

(4) سورة الفاتحة، الآيتان: 6-7.

(5) سورة الإسراء، الآية: 57.

(6) سورة آل عمران، الآية: 185.

أمتـــك، ناصـــيتي بيـــدك، مـــاض في حكمـــك، عـــدل في قضـاؤك، أسـألك اللهم بكـل اسـم هـو لـك سـميت بـه نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمتـه أحـداً من خلقـك، أو استأثرت بـه في علم الغيب عنـدك أن تجعـل القـرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صـدري، وجلاء حـزني، وذهـاب همي وغمي".

والشاهد من الحديث قوله: "بكل اسم هو لك". ونقـول : نحن اللهم إني أسـألك بأسـمائك الحسـنى، ودليـل هـذا القسـم قولـه تعـالى:]ولـلـه الأسـماء الحسـنى فـادعوه بها[[1].

أما الثاني وهو التوسل باسم خاص فمثل أن تقـول: "يـا غفور اغفر لي يـا رحيم ارحمـني، اللهم إنـك عفـو تحب العفو فاعف عني". وهذا توسل باسم لكنه خاص.

وفي هذا النوع يجب أن يكون الاسم مناسباً للدعاء، فإذا أردت أن تسأل الله الرزق تقول: يا رزاق، والمغفـرة يـا غفور، والعفو يا عفو، وهكذا.

لكن لو قلت : اللهم يا شديد العقاب اعف عني فهذا غير مناسب، فكيف تتوسل باسم يدل على العقوبة إلى عفو الله عز وجل، إنما تدعو اللـه تعـالى بالأسـماء المناسـبة لما تدعو به.

القسم الثـاني: التوسـل إلى اللـه تعـالى بصـفاته سـواء كـان ذلـك على سـبيل العمـوم أو بصـفة خاصـة، ومن الصفات الأفعـال، فـإن الأفعـال صـفات، مثـال ذلـك أن تقـول: "اللهم إني أسـألك بأسـمائك الحسـنى وصـفاتك العليا" وهذا التوسل صـحيح، والتوسـل بالصـفات يكـون كذلك عاماً، ويكون خاصاً، فمثـال العـام مـا ذكرتـه آنفـاً، ومثال الخاص: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شـر مـا أجـد وأحاذر" فهنا توسل بصفة من صفات الله عز وجل.

ومن التوسل بالأفعال: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم".

فـأنت تسـأل الـذي منَّ بصـلاته على إبـراهيم وعلى آل إبـراهيم أن يمن بصـلاته على محمـد وعلى آل محمـد، فالكاف في قولك: "كما صليت" ليست للتشـبيه ولكنهـا

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 180.

للتعليل، والكاف تـأتي للتعليـل كمـا قـال ابن مالـك في الألفية:

شبه بكاف وبها التعليل قد يعنى وزائداً لتوكيد ورد

والشاهد من البيت قوله: "وبها التعليل قد يعـنى" يعـني قد يراد بهـا التعليـل. "اللهم صـل على محمـد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم" يعـني لأنـك صـليت على إبــراهيم، فمنتــك على عبــدك وخليلــك إبــراهيم وآلــه، نتوسل بها إليك، أن تصلي على خليلك محمد وآله.

ومثـال ذلـك في القـرآن على أن الكـاف للتعليـل قولـه تعـالى:]واذكـروه كمـا هـداكم[[1] واذكـروه لأنـه هـداكم، وعلى كل حال المسألة معروفة، والكاف للتعليل.

وإذا قلنـا : إن الكـاف للتعليـل في قولـه: "كمـا صـليت" سلمنا من شـبهة مشـهورة عنـد العلمـاء وهـذه الشـبهة يقولون: إذا قلنا الكاف للتشبيه حصل إشكال، لأن معنى ذلـك: أننـا نطلب أن اللـه يصـلي على محمـد صـلى اللـه عليه وسلم ، وآله، صلاة دون صـلاة إبـراهيم وآلـه، بنـاء على أن المشبه أقـل من المشـبه بـه، فـإذا قلت : فلان كالبحر في كرمه، فمقتضـى ذلـك أنـه دون البحـر، فـإذا جعلنا الكاف في قوله : "كما صليت" للتشبيه معناه أننـا نطلب من الله صلاة تكون في الواقـع دون الصـلاة على إبراهيم وآله.

فإذا قلنا : إن الكاف للتعليـل فـالمعنى أنـك تسـأل اللـه الذي من بصلاته على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أن يمن بصلاته على محمد وعلى آل محمد وبذلك يزول الإشكال نهائياً.

ولا حاجة إلى ما ذكره بعض الناس وتكلف فيـه من أهـل العلم.

ومعنى "اللهم صل على محمـد"، صـلاة اللـه على النـبي صلى الله عليه وسلم معناهـا، اللهم أثن عليـه في الملأ الأعلى، واذكره بالجميل.

وليست صلاة اللـه على عبـده بمعـنى رحمتـه ، وإن كـان بعض العلماء قال : " إن الصلاة من اللـه الرحمـة " لكنـه

---

[1] سورة البقرة، الآية: 198.

قول مرجوح بالآية التي قال الله فيها :] أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة[[2] والعطف يقتضي التغاير.
القسم الثالث: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به، أي أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله فيقول: اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا. فيصح هذا، ودليله قوله تعالى:]إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار[[3] إلى أن قال:]ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا[[4] أي فبسبب إيماننا برسولك فاغفر لنا، فجعلوا الإيمان به وسيلة للمغفرة.
فالتوسل بالإيمان بالله، والإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم ، والتوسل بمحبة الله، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم جائز، لأن الإيمان بالله سبب موصل للمغفرة، ومحبة الله ورسوله سبب موصل للمغفرة فصح أن يتوسل إلى الله تعالى به.
القسم الرابع: التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي أي أن يتوسل الداعي إلى الله بحاله ولا يذكر شيئاً مثل أن يقول: "اللهم إني أنا الفقير إليك، اللهم إني أنا الأسير بين يديك" وما أشبه ذلك، والدليل على ذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام حين سقى للمرأتين ثم تولى إلى الظل فقال:]رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير[[1] ولم يذكر شيئاً.
ووجه هذه الآية أن حال الداعي إذا وصفها الإنسان فإنها تقتضي الرحمة واللطف والإحسان لا سيما إذا كانت بين يدي أرحم الراحمين جل وعلا.
أرأيت لو أن رجلاً مشى معك وقال: أنا فقير أبو عائلة لا أستطيع التكسب غريب الدار، فيسأل ويتوسل إليك بحاله، فأنت إذاً تعرف الأمر وتعطيه إذا كنت كريماً.
والقسم الخامس: التوسل بدعاء من ترجى إجابة دعائه، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله

([2] سورة البقرة، الآية: 157.
([3] سورة آآل عمران ، الآية: 190.
([4] سورة آل عمران،الآية : 193.
([1] سورة القصص، الآية: 24.

عليه وسلم ، كان يخطب الناس يوم الجمعة فدخل رجل فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال: يا رسـول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فـادع اللـه يغيثنـا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم ، يديه ثم قال: "اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا" ـ ثلاث مرات ـ. قال أنس بن مالـك: "واللـه مـا نـرى في السـماء من سـحاب ولا قزعة" ـ والقزعة هي القطعة الصغيرة من الغيم ـ، ومـا بيننا وما بين سلع من بيت ولا دار ـ وسلع جبل بالمدينـة تأتي من نحوه السحب ـ قال : فخرجت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السـماء انتشـرت ثم أمطـرت فما نزل النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ، من منـبره إلا والمطر يتحادر من لحيته.

وفي هذا آيتـان: آيـة من آيـات اللـه، وآيـة من آيـات رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما من آيات الله فالقدرة العظيمة بهذه السرعة نشأ السحاب ورعد وبرق وأمطـر، فمـا أن نـزل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته، والمعروف أن النـبي صلى الله عليه وسلم ، كان لا يطيل الخطبـة، وهـذا أتى في أثناء الخطبة.

وأما كونه آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الله أجاب دعاءه بهذه السرعة، وآيات النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، في جلب المـاء من السـماء أو من الأرض معلومة، فبقي المطر يـنزل أسـبوعاً كـاملاً حـتى سال الوادي المعروف بالمدينة باسم قنـاة، سـال شـهراً كـاملاً، فجـاء الرجـل أو رجـل آخـر من الجمعـة الثانيـة والنبي، صلى الله عليه وسلم ، يخطب فقال : يا رسـول الله تهدم البناء وغرق المـال فـادع اللـه يمسـكها فرفـع النبي، صلى الله عليه وسلم ، يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينـا" وجعـل يشـير بيـده فمـا يشـير إلى ناحيـة إلا انفرجت، ليس بقدرة الرسول، صلى اللـه عليـه وسـلم ، ولكن بقـدرة اللـه عـز وجـل، "اللهم حوالينـا ولا علينـا" فجعل السحاب يتفرق، يمطـر حـول المدينـة، ولا يمطـر في المدينـــة فخرجـــوا من الصـــلاة وهم يمشـــون في الشمس.

فالرجل قال: "ادع الله يمسكها" والنبي صلى الله عليه وسلم ، لم يسأل الله أن يمسكها لأن إمساكها ليس من المصلحة، لكنه دعا بدعاء تحصل به المصلحة وتزول المفسدة، قال: "اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر"، وفي هاتين القصتين كان الرسول، صلى الله عليه وسلم ، يرفع يديه وهو يخطب.

وفي الأول عندما سأل الله الغيث رفع الصحابة أيديهم معه وهم يستمعون الخطبة، فيستفاد من هذا أن الخطيب إذا دعا بالغيث أو دعا بالصحو أنه يرفع يديه وأن الناس يرفعون أيديهم معه إذا دعا بالغيث، وفيما عدا ذلك إذا دعا الخطيب في خطبة الجمعة لا يرفع يديه ولا يرفع الناس، لأن الصحابة رضي الله عنهم أنكروا على بشر بن مروان حين خطب ودعا في الخطبة ورفع يديه، فرفع اليدين في الدعاء في حال الخطبة ليس من هدي الرسول، صلى الله عليه وسلم ، إلا إذا دعا باستسقاء أو استصحاء.

"كذلك كانوا في غزوة الحديبية. ونفد الماء الذي معهم فجاء الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله نفد الماء، وكان بين يديه ركوة ـ إناء من جلد ـ فوضع يديه في الماء فجعل الماء يفور أمثال العيون حتى استقى الناس ورووا". والله على كل شيء قدير.

وهذه الآية تأييد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون الآية التي يرسلها الله عز وجل تكذيباً لمن أرسلت إليه:

يقال : إن مسيلمة الكذاب ادعى النبوة، فجاء إليه قوم فدعوه بالوصف الكاذب، وهو "يا رسول الله" وهو من أكذب عباد الله، قالوا إن بئراً لنا نزحت وليس فيها إلا ماء قليل تأتي إليها لعل الله يأتي فيها البركة، فجاء إلى البئر وأخذ ماء بفمه ومجه فيها ينتظر أن يخرج الماء إلى أعلى، ولكن الماء الذي فيها غار بالكلية، فالماء الذي كان موجوداً ذهب، فهذه آية من آيات الله، ولكنها آية لتكذيب هذا الرجل وليست لتأييده وتصديقه.

ولكن ينبغي أن تلاحظ أنك إذا طلبت من شخص أن يدعو لـك وهـو ممن تـرجى إجابتـه أن يكـون غرضـك بـذلك مصلحته هو لا مصلحتك أنت.
فإذا سألت إنساناً مرجو الإجابة بالدعاء أن تقصد بطلبـك منه أن يـدعو لـك لمصـلحته هـو لا مصـلحتك أنت فكيـف يكون مصلحته؟ لأن الإنسان إذا دعـا لأخيـه بظهـر الغيب قال له الملك: آمين ولك مثله، فإذا دعا لك أخـوك الـذي طلبت منه أن يدعو لـك بظهـر الغيب قـال الملـك: آمين ولك بمثله.
أما إذا طلبت منه أن يدعو لك وأنت لا تريـد إلا مصـلحتك فقط، فإن هذا يخشى أن يكون من المسألة المذمومـة، لأن من جملة مـا بـايع النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، أصحابه عليه أن لا يسألوا الناس شيئاً.
وهـذه مسـألة ينبغي أن يتنبـه لهـا حـتى لا نقـع في ذل المسألة.
القسم السادس: التوسل إلى الله بالعمل الصـالح. وهـو أن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملاً صالحاً يكـون سـبباً في حصول المطلوب، ومثاله قصـة الثلاثـة الـذين حـدث عنهم الرسول، صلى اللـه عليـه وسـلم ، ثلاثـة من بـني إسرائيل آواهم المبيت إلى غار، فدخلوا الغار فأراد الله عز وجل بحكمته أن تنطبق عليهم صخرة ابتلاء وامتحانـاً وعـــبرة لعبـــاده انطبقت عليهم الصـــخرة فـــأرادوا أن يدفعوها فعجزوا فقـال بعضـهم لبعض : إنـه لا يخـرجكم من ذلك إلا أن تتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمـالكم، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمـالهم فقـال أحـدهم: اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبـق قبلهمـا أهلاً ولا مالاً، فأتي بي طلب الشجر يوماً فرحت عليهمـا فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق أحداً قبلهمـا، فبقي الإنـــاء على يـــدي حـــتى بـــرق الفجـــر، ثم اســـتيقظا فســـقيتهما، اللهم إن كنت فعلت ذلـــك ابتغـــاء وجهـــك فاصـرف عنـا مـا نحن فيـه، أو فـافرج عنـا مـا نحن فيـه فانفرجت الصخرة قليلاً لكنهم لا يستطيعون الخروج.
أما الثاني: "فذكر أن له ابنة عم وكان يحبها حبـاً شـديداً فأرادها على نفسها فأبت، ثم إنه في سنة من السنوات

ألمت بها الحاجة فجاءت إليه تطلب دفع حاجتها فأعادها إلا أن تمكنه من نفسها ـ هي للضرورة مكنته من نفسها ـ فلما جلس منها مجلس الرجل من امرأته قالت لـه: يـا هذا اتـق اللـه، ولا تفض الخـاتم إلا بحقـه ــ فهـذه كلمـة عظيمة مؤثرة ـ قال: فقمت عنها وهي أحب النـاس إلي ـ يعني ما تركتها رغبة لأني لا أريدها لكنـه تركهـا خوفـاً من الله عز وجل حين ذكر به ـ وأعطاها حاجتهـا" فجمـع هـذا الرجـل بين كمـال العفـة والصـلة، قـال: "اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهـك فـافرج عنـا مـا نحن فيـه، فانفرجت الصخرة إلا أنهم لا يستطيعون الخروج".

أما الثالث: فذكر أن له أجراء ـ يعـني أناسـاً اسـتأجرهم ـ وأعطى كل واحد منهم أجره، إلا واحداً لم يعطـه أجـره، فنماه له، وصار فيه إبـل وغنم وبقـر ورقيـق حـتى جـاء العامل يطلب أجـره فقـال لـه : كـل مـا تـرى من الإبـل والغنم والرقيق كله لك، فقـال لـه الأجـير: اتـق اللـه، لا تستهزئ بي، فقال: لا أستهزئ بك هذه أجرتك، فأخـذها الأجير وذهب بها كلها فهذه المعاملة والوفـاء التـام من هذا الرجل، لأنه من الممكن أنه إذا جـاء يطلب أجـره أن يعطيه أجره وينتهي، لكن لأمانته ووفائه أعطـاه كـل مـا نماه أجره، قال: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغـاء وجهـك فـافرج عنـا مـا نحن فيـه، فـانفرجت الصـخرة وخرجـوا يمشون.

فلو قال قائل : اللهم إني أسألك ببر والدي أن توفقـني لبر أولادي بي، فهذا توسل صحيح، وهـو توسـل بالعمـل الصالح.

أما القسم الذي لا يجـوز أن تتوسـل إلى اللـه تعـالى بـه فهو ما ليس بوسيلة في الواقع مثل أن تتوسل بـالنبي، صلى الله عليه وسلم ، بذاته، أو أن تتوسل بجاه النـبي، صلى اللـه عليـه وسـلم ، لأن ذلـك لا ينفعـك أنت، فجـاه الرسول، صلى الله عليه وسلم ، ومنزلته عند الله ينتفع بها الرسول، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، نفسـه. أمـا أنت فليس لك فيها منفعة وكذلك ذاته من باب أولى.

ويدل على أن التوسل بالنبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، الآن ليس بصحيح أن الصحابة قحطوا في عهـد عمـر بن

الخطاب رضي الله عنه فخرج يستسقي بهم فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ـ والصحابة يتوسلون بنبيهم بدعائه ـ وإنا نستشفع إليك بعم نبينا فاسقنا فيقوم العباس بن عبد المطلب ويدعو الله تعالى بالسقيا فيسقون. وهذا دليل على معنى التوسل بالنبي، صلى الله عليه وسلم ، الوارد عن الصحابة أن معناه أنهم يتوسلون بدعائه لا بذاته.

أما توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم وتوسل الجاهلين بأوليائهم فهو توسل شركي، لا نقول: توسل بدعي بل هو توسل شركي، ولا يصح أن نسميه توسلاً بل هو شرك محض.

لأن هؤلاء المتوسلين يدعون من يزعمون أنهم وسيلة، يأتي الرجل إلى من يزعمه ولياً ويقول: يا ولي الله أنقذني ـ بهذا اللفظ ـ يا آل البيت أنقذوني، يا نبي الله أنقذني، فهذا لا يصح أن نسميه وسيلة ولكن نسميه شركاً، لأن دعاء غير الله شرك في الدين وسفه في العقل، شرك في الدين لأنهم اتخذوا شريكاً مع الله، وسفه في العقل لأن الله يقول:]ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون[[1].

ويوم القيامة لا ينفعونهم]وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين[[2]– فوصف الله هذه المدعوات بأنها عاجزة لا يستجيبون أبداً لو دعوهم إلى يوم القيامة، وبأنها غافلة لا تدري من يدعوها ولا تحس بشيء من ذلك، وبأنه إذا كان يوم القيامة وهو وقت الحاجة الحقيقية إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين، كدعاء الأولياء والأصنام وما أشبهها.

فلا يصح أن نقول : إنها وسيلة بل هو شرك أكبر مخرج عن الدين:]ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون[[3] فسمى الله هذا الداعي كافراً.

---

[1] سورة الأحقاف، الآية: 5.

[2] سورة الأحقاف، الآية: 6.

[3] سورة المؤمنون، الآية: 117.

فإن قال قائل : إن هؤلاء ربمـا يـدعون هـذه الأصـنام أو هؤلاء الأولياء ويحصـل مطلـوبهم، ثم يـأتون ويقولـون : دعونا الولي الفلاني فأجاب، دعونا هـذا الصـنم فأجـاب، فما موقفنا من ذلك؟

فالجواب: موقفنا من ذلك أن الله تعالى قـد يحـدث هـذا الشيء عند الدعاء لا بالدعاء امتحاناً للـداعي فقـد يـأتي الإنسان ويدعو هذا الولي صاحب القبر بـدعاء ثم يحـدث له ما دعا به امتحاناً من الله عز وجل، لا لأن هـذا الـولي هـو الـذي أعطـاه إيـاه، لأننـا نعلم علم اليقين أن هـذا الولي لن ينفعه ولن يستجيب له، لكن قد يبتلى والابتلاء بتسـهيل المعصـية وارد في الأمم السـابقة، وفي هـذه الأمة، ففي الأمم السابقة قـال اللـه تعـالى:]واسـألهم عن القريـة الـتي كـانت حاضـرة البحـر إذ يعـدون في السبت إذ تـأتيهم حيتـانهم يـوم سـبتهم شـرعاً ويـوم لا يسبتون لا تأتيهم كـذلك نبلـوهم بمـا كـانوا يفسـقون[[1] فحـرم اللـه عليهم أن يصـطادوا السـمك يـوم السـبت، فبقوا على ذلك مدة من الزمن، فـابتلاهم اللـه فصـارت الحيتـان يـوم السـبت تـأتي شـرعاً على وجـه المـاء من كثرتها وغير يوم السبت لا يشاهدونها، واليهود أهل مكر وكيد وخيانة، وأهل طمع وشح، قالوا كيـف لا تأتينـا كـل يـوم عـدا يـوم السـبت ونحن ممنوعـون من اصـطيادها فماذا نصـنع أنحـرم منهـا؟ بـل نـدبر حيلـة نعمـل شـبكة وننصبها يوم الجمعة، فإذا جاء السمك يوم السبت دخلت في الشبكة وإذا دخل لا يستطيع الخروج، فإذا كـان يـوم الأحد نأتي إلى الشبكة ونأخذ السمك الذي فيها.

فهذه حيلة فيقولون : نحن ما نصـطاد يـوم السـبت، فالشبك نصبناه يوم الجمعة والحيتان جاءت يوم السـبت، ونحن أخذنا الحيتان يوم الأحد، ولقـد عـاقبهم اللـه على ذلك فقال:]ولقد علمتم الذين اعتـدوا منكم في السـبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين[[2] فأمرهم الله أن يكونوا قردة، وهذا أمر كوني، فكانوا قـردة وإنمـا أراد اللـه عـز وجـل أن يكونـوا قـردة، لأن القـردة أشـبه مـا يكـون

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 163.

[2] سورة البقرة، الآية: 65.

بالإنسان فلما كان القرد أشبه ما يكون بالإنسان، وكان فعل هؤلاء شبيهاً بالمباح، لأن ظاهره الإباحة وباطنه التحريم، قال الله تعالى:]كونوا قردة خاسئين[ولكن القردة الموجودة الآن غير القردة التي قلبت إليها هؤلاء الطائفة من اليهود، لأن القردة الذين مسخ بنو إسرائيل إليهم، ذهبوا وفنوا بالكلية، فهذه القردة جنس من الحيوان، وهذا ابتلاء من الله عز وجل أن الحيتان تأتي يوم السبت كثيرة وتنقطع في غير يوم السبت، ولكن لم يصبر بنو إسرائيل على ذلك فاحتالوا على محارم الله.

وفي هذه الأمة ابتلى الله عز وجل أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم ، ببلوى، إذا أحرم الإنسان بحج أو عمرة حرم عليه الصيد:]يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم[[1] فأراد الله عز وجل أن يبتلي أصحاب الرسول، صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله إليهم صيداً تناله أيديهم ورماحهم، فالصيد الذي يجري على رجله صاروا يمسكونه بأيديهم، مثل الأرانب والظباء، وصيد الطائر الذي لا ينال إلا بالسهام ينالونه برماحهم]يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم[[2] والحكمة]ليعلم الله من يخافه بالغيب[. فهل الصحابة وهم محرمون صاروا يمسكون هذا الصيد بأيديهم أو ينالونه برماحهم؟ أبداً ولا أحد من الصحابة صاد صيداً ولا حتى تحيل عليه.

وبهذا نعرف الفرق بين صلاحية هذه الأمة وبين بني إسرائيل على أنه وجد من خلف هذه الأمة من شابه اليهود في التحيل على محارم الله، فهناك من يتحيلون على الربا، وهناك من يتحيلون على النكاح، وهناك من يتحيلون على ظلم إخوانهم بأنواع الحيل، وكل من تحيل من هذه الأمة إلى الشيء المحرم بحيلة فهو مشابه لأسخف عباد الله، وهم اليهود.

وهناك أناس الآن يقولون : إذا أعطيت الإنسان عشرة آلاف ريال نقداً بأحد عشر ألف ريال إلى أجل

---

[1] سورة المائدة، الآية: 95.

[2] سورة المائدة، الآية: 94.

فهـذا حـرام، قـال: إذاً نحلـل هـذا الحـرام، فـأبيع عليـه أكياساً من الهيل بإحد عشر ألفاً وهي لا تسـاوي الآن إلا عشرة إلى سـنة ثم يشـتريها هـذا المـدين ويبيعهـا على صاحب الدكان، برغم أن صاحب الدكان لا يشـتريها منـك بمثل ما اشتريتها أنت، فيبيعهـا لصـاحب الـدكان بتسـعة آلاف وخمسمائة فقط فيكون هذا المـدين من الجـانبين، فيكوى من جهة الذي باع عليه، ومن جهة صاحب الدكان، ثم يأخذ المدين الدراهم ويخرج بها وهذا لا يعد بيعـاً، لأن الذي اشتراه هو الدائن، ما يقلبه ولا ينظر ما فيه.

وأظن أن صاحب الدكان لو أتى بأكياس من القش ولفها وقال : هذا الذي فيها هيل، أو أتى بأكياس من الرمـل، وقال : إن الذي فيها سكر وباعهـا على الـدائن، وباعهـا الدائن على المدين، لأنه ما نظر فيها الدائن ولا يقلبهـا، والمـدين كـذلك لا يقلبهـا ولا ينظـر فيهـا فـترجع إلى صاحب الدكان، فهذا لا يعد بيعاً صحيحاً.

ولكن هذا العمل جامع بين مفسدتين مفسـدة الربـا ومفسدة الخداع لله عز وجل وللمؤمنين]يخـادعون اللـه والذين آمنوا ما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون[[3].

فهذه الحيلة والعيـاذ باللـه يسـميها بعض العلمـاء الحيلـة الربوية الثلاثية، وفيها مفاسد عظيمة.

وأما بيع السيارات ممن كانت عنده لشخص يريد السيارة نفسها بثمن مؤجل لكنه أكثر من الثمن الحاضر فهـذا لا بأس به وهو جائز بالإجماع كمـا قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية، مثال ذلك أنا أحتاج إلى سيارة وأتيت إلى شـخص صاحب معرض يبيع السيارات على عشـرين ألفـاً، فقلت له : أنا ليس عنـدي دراهم الآن بـع علي سـيارة بخمسـة وعشرين ألفاً كل شـهر خمسـمائة ريـال، وقـال صـاحب الـدكان : لا بـأس، فهـذا جـائز حـتى لـو خـيره صـاحب المعرض، وقال : هذه السيارة إمـا بعشـرين نقـداً، وإمـا بخمسـة وعشـرين مؤجلـة، فقـال : آخـذها بخمسـة وعشرين مؤجلة، فإن هذا ليس به بأس، وليس هـذا بيـع دراهم بدراهم، لأن الذي اشترى السـيارة لم تثبت عليـه

---

[3] سورة البقرة، الآية: 9.

الدراهم مرتين، فالأصل وقع على سلعة بـدراهم، وليس دراهم بدراهم.
بهذا انتهى ما أردنا الكلام عليه حول التوسل والحمد لله رب العالمين.

آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، نحمده، ونسـتعينه، ونسـتغفره، ونتـوب إليـه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد: فيسرني أن أتقدم إليكم أيها الحاضرون الكـرام بمحاضرة عنوانها (آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع).

تمهيد

خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام بيده من تراب، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، وركب فيه العقل، وخلق له زوجته حواء، فبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، ومن هنا ابتدأ خلق البشر، وانتشروا في الأرض، وكانوا يتعبدون بما أوحاه الله إلى أبيهم من الوحي والتشريع المناسب في ذلك الوقت، ولم يكن هناك شيء يفتنهم عما كان يعبد به أبوهم ويقتدون به فيه، ولما طال الزمن، وتباعد النسل، وانتشر العمران في الأرض، وتنافس الناس في الدنيا حصل الاختلاف بينهم والانحراف عن طريقة أبيهم فبعث الله الرسل، وكان أول رسول إلى أهل الأرض نوحاً عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى:]كان الناس أمة واحدة ـ أي على دين واحد فاختلفوا ــ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس في ما اختلفوا فيه[[1] قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ــ: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق واختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

---

[1] سورة البقرة، الآية: 213

حكمة إرسال الرسل

لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده، كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإصلاح الخلق، وإقامة الحجة عليهم قال الله تعالى:]رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[[1]

فحكمة إرسال الرسل تتلخص في:

الأول: إقامة الحجة على الخلق حتى لا يحتج أحد على الله فيقول :]لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى[[2] لقد قطع الله هذه الحجة من أساسها بإرسال الرسل وتأييدهم بالآيات البينات الدالة على صدقهم، وصحة نبوتهم، وسلامة طريقتهم.

الثاني: توجيه الناس وإرشادهم لما فيه الخير والصلاح لهم في دينهم ودنياهم، فإن الناس مهما أوتوا من الفهم، والعقل، والذكاء لا يمكنهم أن تستقل عقولهم بالتنظيم العام المصلح للأمة بأكملها كأمة متماسكة متكافئة متساوية في إعطاء ذي الحق حقه قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش ـ وهي الدواب التي تقع في النار ـ يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنت تقتحمون فيها". رواه البخاري، فالرسل يذودون الناس عما يضرهم ويدعونهم إلى ما ينفعهم.

الثالث: جمع الأمة على دين واحد ورجل واحد فإن انقياد الناس لما يشاهدونه من الآيات المؤيدة للأنبياء أسرع وأقوى وأشد تماسكاً فإنهم يجتمعون عليه عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت فيحصل الصلاح والإصلاح.

تأييد الرسل بالآيات وكونها من جنس ما شاع في عصرهم

---

(1) سورة النساء، الآية: 165.

(2) سورة طه، الآية: 134.

لو جاءنا رجل من بيننا وقال: إنـه نـبي يـوحى إليـه، وإن طاعته فرض، وإن من عصاه فله النار، ومن أطاعه فلـه الجنة، ثم نظم قوانين، وسـن سـنناً وقـال: امشـوا على هذه النظم وإلا فلكم النار ما كان أحد ليقبل منـه مهمـا بلغ في الصدق، والأمانـة حـتى يـأتي ببرهـان يـدل على صـدقه فلـو رد أحـد دعـوة هـذا المـدعي الـذي لم يـأت ببرهان على صدقه ما كان ملوماً، فالقضية الـتي تسـلم بها العقول: أن المدعي عليه البينة، وإلا فلا يجب قبـول ما ادعاه.

وإتماماً لإقامة الحجة بالرسل على الخلق أيد اللـه رسـله بالآيات المبينات الدالة على صـدقهم، وأنهم رسـل اللـه حقاً، فاصـطفى للرسـالة من النـاس من يعلم أنـه أهـل للرسالة، وكفؤ لها، ويسـتطيع القيـام بأعبائهـا والصـبر على مكايد أعدائها]الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن النـاس إن اللـه سـميع بصـير[[1]]اللـه أعلم حيث يجعـل رسـالته[[2]. فاصــطفى الرجــال الكمــل الأقويــاء أهــل الحضارة، واللين، والفهم]وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهـل القـرى[[3]، أي: أهـل المـدن، فـإن القرية هي المدينة كما سمى الله مكة قرية]وكـأين من قرية هي أشد قوة من قريتك الـتي أخرجتك[[4] وسـماها أم القرى]لتنذر أم القرى ومن حولها[[5].

وما بعث الله رسـولاً إلا أيـده بالآيـات الدالـة على صـدق رسالته وصـحة دعـواه قـال اللـه تعـالى:]لقـد أرسـلنا رسلنا بالبينات[[6] أي: بالآيات البينات الواضحات، التي لا تدع مجالاً للشك في صدق ما جاء به الرسـول المرسـل. قـال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم: "مـا من نـبي من الأنبيــاء إلا قــد أعطي من الآيــات مــا آمن على مثلــه البشر". رواه البخاري ومسلم.

---

[1] سورة الحج، الآية: 75.

[2] سورة الأنعام، الآية: 124.

[3] سورة يوسف، الآية: 109.

[4] سورة محمد، الآية: 13.

[5] سورة الشورى، الآية: 7.

[6] سورة الحديد، الآية: 25.

وهذا من حكمة الله العليا، ورحمته بعباده أن أيد الرسل بالآيات لئلا يبقى أمرهم مشكلاً، فيقع الناس في الحيرة، والشك، ولا يطمئنون إلى ما جاؤوا به.
وهذه الآيات التي جاءت بها الرسل لابد أن تكون خارجة عن طوق البشر، إذ لو كانت في استطاعتهم ما صح أن تكون آية لإمكان البشر أن يدعي الرسالة ويأتي بها إذا كانت تحت قدرته، ولكن آيات الرسل لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثلها، وقد جاءت كبريات الآيات من جنس ما برز به أهل العصر الذي بعث فيه ذلك الرسول كما قرر ذلك أهل العلم واستشهدوا على ذلك بآيات موسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فإن عهد موسى، صلى الله عليه وسلم ، ترقى فيه السحر، حتى بلغ السحرة الغاية في المهارة، والحذق فكان من أكبر الآيات التي جاء بها موسى ما يربو على فعل السحرة وهو يشبه في ظاهره السحر وإن كان يختلف اختلافاً كبيراً لأن ما جاء به موسى حقيقة ما يراه الناظر بخلاف السحر فإنه يخيل للناظر وليست حقيقته كما يراه ، فكان من الآيات التي جاء بها موسى عصاه التي يلقيها فتكون حية ـ ثعباناً ـ ويأخذها فتعود في يده عصاه الأولى، وقد ألقاها عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله، وكذلك كان موسى يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، أي: من غير عيب، وبرص، وقد أخرجها كذلك عند فرعون حين دعاه إلى الإيمان بالله، فلما رأى فرعون هاتين الآيتين كابر وقال للملأ حوله:]إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون[[7] وقد ألقى موسى عصاه كذلك عندما ألقى السحرة حبالهم، وعصيهم في المجتمع العظيم الذي قرره موسى حين طلب فرعون أن يجعل بينه وبينه موعداً ليغالبه في سحره كما زعم فلما اجتمع العالم والسحرة وألقوا حبالهم وعصيهم، وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فجاؤوا بسحر عظيم، حتى كانت تلك الحبال، والعصي يخيل إلى رائيها أنها تسعى، فألقى موسى عصاه بأمر الله تعالى فإذا هي تلقف ما يأفكون

([7]) سورة الشعراء، الآيتان: 34-35.

فتلتهم هذه الحبال والعصي عن آخرها، فعلم السحرة وهم أهل السحر وأعلم الناس به أن ما جاء به موسى ليس بسحر، وإنما هو من الأمور التي لا يمكن للبشر معارضتها فألقي السحرة ساجدين قالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

وكذلك كان لهذه العصا مجال آخر حينما كان موسى يستسقي لقومه فيضرب بها الحجر فيتفجر منه اثنتا عشرة عيناً بقدر قبائل بني إسرائيل.

وكان لها مجال آخر أيضاً حينما وصل موسى وقومه إلى البحر وخلفهم فرعون بجنوده، فأوحى الله إليه أن أضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً فسلكه موسى وقومه فنجوا.

وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام كان علم الطب مترقياً إلى حد كبير، فجاءت آياته بشكل ما كان مترقياً في عهده من الطب إلا أنه أتى بأمر لا يستطيع الطب مثله، فكان يخلق من الطين صورة كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً يطير بإذاً الله والناس يشاهدون ذلك، وكان أيضاً يبرئ الأكمه وهو الذي خلق أعمى، ويبرئ الأبرص بإذاً الله تعالى وهذان المرضان من الأمراض التي لا يستطيع الأطباء في ذلك الوقت وإلى هذا الوقت فيما أعلم أن يبرئوهما، بل قال بعض العلماء: إنه إنما سمي المسيح لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وذكر في القرآن أن عيسى يحيي الموتى بإذاً الله، وفي آية أخرى يخرج الموتى وهذان عملان مختلفان العمل الأول إحياء الموتى قبل دفنهم والثاني إحياؤهم وإخراجهم من قبورهم بعد الدفن، ولا ريب أن هذه الآيات التي أعطيها عيسى عليه الصلاة والسلام يعجز عن مثلها البشر فتأييده بها دليل وبرهان على أنه رسول من الله الخالق القادر عليها.

وقد يؤيد الله الرسل بآيات أخرى، ولكن أبرز الآيات وأعظمها يكون من جنس ما شاع في عصر الرسول، ولذا أيد الله رسوله محمداً، صلى الله عليه وسلم ، بآيات كثيرة أبرزها وأعظمها هذا القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من

خلفه، تنزيل من حكيم حميد، لأنه شاع في عصر النــبي، صلى الله عليه وســلم ، فن البلاغـة، والفصـاحة، وصـار البيان والفصاحة معترك الفخر والسيادة كمـا يعلم ذلـك من تتبع التاريخ.

معجزات الأنبياء أو آيات الأنبياء

معجزات الأنبياء هي الآيات التي أعجـزوا بهـا البشـر أن يأتوا بمثلها والله تعالى يسميها آيـات، وهي علامـات دالة على صدق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيمـا جاؤوا به من الرسالة.

والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة أي جـار على خلاف العادة الكونيـة الـتي أجراهـا اللـه تعـالى في الكون سالم عن المعارضـة يظهـره اللـه تعـالى على يـد الرسول تأييداً له.

مثـال ذلـك: انشـقاق القمـر، ونبـع المـاء من أصـابع يـد النبي، صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما سيمر بك.

فالأمر الجاري على وفق العادة لا يسمى معجزة، كما لو قال قائل: أريكم معجزة أن لا يمضي ساعة حـتى تطلـع الشمس، وكان ذلك قبل طلوع الشمس بأقل من ساعة، فإن الشمس إذا طلعت في زمن طلوعها لا يعد طلوعها معجزة لهـذا القائـل، لأن طلوعهـا في وقتـه على وفـق العادة وليس خارقاً للعادة.

وإذا كان الشيء الخارق للعادة غير سـالم من المعارضـة فلا يسمى معجزة، مثـل الأمـور الـتي تقـع من السـحرة والمشعوذين ونحوهم، لأن الأمور التي يـأتون بهـا يمكن معارضتها بفعل ساحر أو مشعوذ آخر.

وإذا كان الشيء الخـارق للعـادة جاريـاً على يـد ولي من الأولياء فلا يسمى معجـزة، اصـطلاحاً، وإنمـا يسـمى كرامة، ولكن هذه الكرامة الحاصلة للولي هي في الواقع معجزة للرسول الـذي كـان الـولي متبعـاً لـه، إذ الكرامـة دليل على صحة طريقة ذلك الولي.

فوائد آيات الأنبياء ومعجزاتهم

1- 1- بيان قدرة الله تعالى فإن هذه الآيـات لابـد أن تكون أموراً خارقة للعـادة كشـاهدة دليـل على صـحة مـا جاء به الرسل، وإذا كانت خارقة للعـادة كـانت دليلاً على قدرة الخالق،وأنه قـادر على تغيـير مجـرى العـادة الـتي كان الناس يألفونها، ولذا تجـد المـرء ينـدهش عنـد هـذه الآيات، ولا يمكنه إلا أن يصدق برسالة الرسول الذي جاء بها حيث جاء بما لا يقدر عليه أحد سوى الله عز وجل.

2- 2- بيان رحمة الله بعباده فـإن هـذه الآيـات الـتي يرونها مؤيدة للرسل تزيـد إيمـانهم وطمـأنينتهم لصـحة الرسالة، ومن ثم يزداد يقينهم وثـوابهم ولا يحصـل لهم حيرة، ولا شك، ولا ارتباك.

3- 3- بيان حكمة الله البالغة حيث لم يرسـل رسـولاً فيدعه هملاً من غير أن يؤيده بما يـدل على صـدقه، وإن المـرء لـو أرسـل شخصـاً بـأمر مهم من غـير أن يصـحبه بدليل، أو أمارة على صحة إرساله إيـاه لعـد ذلـك سـفهاً منـه وموقفـاً سـلبياً من هـذا الرسـول، فكيـف برسـالة عظيمة من أحكم الحـاكمين؟ إنهـا لابـد أن تكـون مؤيـدة بالبراهين والآيات البينات.

4- 4- رحمة الله بالرسول الـذي أرسـله الخـالق حيث ييسـر قبـول رسـالته بمـا يجريـه على يديـه من الآيـات ليتسنى إقناع الخلق بأمور لا يسـتطيعون معارضـتها ولا يمكنهم ردها إلا جحوداً وعناداً قال الله تعالى:]فإنهم لا يكذبونك[[1] أي: لما يرون من الآيات الدالة على صدقك.

وقـــال تعـــالى عن فرعـــون وقومـــه:]وجحـــدوا بهـــا واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين[[2].

5- 5- إقامة الحجة على الخلق فإن الرسـول لـو أتى بدون آية دالة على صدقه لكان للناس حجة في رد قولـه وعدم الإيمان به، فإذا جاء بالآيـات المقنعـة الدالـة على رسالته لم يكن للناس أي حجة في رد قوله.

6- 6- بيان أن هذا الكون خاضع لقـدرة اللـه وتـدبيره ولـو كـان مـدبراً لنفسـه أو طبيعـة تتفاعـل مقوماتهـا وتتكـون من ذلـك نتائجهـا وآثارهـا لمـا تغـيرت فجـأة، واختلفت عادتها بمجرد دعوى شخص لتؤيده بمـا ادعـاه، فانظر إلى الأكوان الفلكية التي لا تتغير بعوامل الــزمن إلا بإرادة اللـه، ولقـد أجراهـا اللـه تعـالى كمـا قـدر لهـا تجري منذ خلقها الله حتى يإذاً بانتهائهـا، وفي ليلـة من الليالي طلبت قريش من النبي، صلى الله عليه وسـلم ، آية فأشار إلى القمر فانشق نصـفين متباعـدين يراهمـا

---

[1] سورة الأنعام، الآية: 33.

[2] سورة النمل، الآية: 14.

الناس بأعينهم، حتى ادعت قريش جحوداً وعناداً أن النبي، صلى الله عليه وسلم ، سحرهم، وسألوا القادمين إلى مكة عن ذلك فأخبروهم أنهم رأوا انشقاق القمر في تلك الليلة.. أفلا يدل هذا على أن هذا الكون العلوي منه والسفلي خاضع للرب الخالق العليم وقد سبق آنفاً ما ذكرناه من آيات موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام من كون العصا حية وضرب البحر بها حتى انفلق والحجر حتى انفجر، وإحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم آية لعيسى، صلى الله عليه وسلم.

آيات النبي محمد، صلى الله عليه وسلم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) قال: والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم ، كثيرة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويسميها من يسميها من النظار (معجزات) وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك، وهذه الألفاظ التي سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصد من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة، والبرهان قال رحمه الله: والآيات نوعان منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر، ومنها ما هو باق إلى اليوم كالقرآن، والإيمان، والعلم اللذين في اتباعه، وكشريعته التي جاء بها وذكر أمثلة أخرى لذلك سنعرض إن شاء الله لشيء منها تفصيلاً. فمن هذه الآيات:

1- القرآن الكريم وهو أعظم آيات النبي، صلى الله عليه وسلم ، لأنه الآية السابقة الباقية فمنذ أوحى الله إليه به حتى اليوم وهو آية شاهدة على نبوة محمد، صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن كلام الله تعالى لفظاً ومعنى، تكلم الله نفسه كلاماً حقيقياً فأوحاه إلى جبريل، ثم نزل به جبريل على قلب النبي، صلى الله عليه وسلم ، فوعاه، وحفظه وتكفل الله له بحفظه حيث قال:]إن علينا جمعه وقرآنه

. فإذا قرآناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينـا بيانه[[1]] وإذا كـان الله قد تكفل ببيانه فمعناه أن الرسول، صلى الله عليـه وسلم ، سيحفظه ويعيه حـتى يبلغـه النـاس ويبينـه لهم وقال تعالى:]إنا نحن نزلنا الـذكر وإنـه لـه لحـافظون[[2]] والقرآن آية من آيـات النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، الدالة على صدقه من عدة أوجه:

الأول: عجز الخلـق كلهم أن يـأتوا مجتمعين أو منفـردين بمثـل هـذا القـرآن قـال اللـه تعـالى:]قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثـل هـذا القـرآن لا يـأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[[3]] يعـني لا يمكن أن يـأتوا بمثلـه ولـو كـان بعضـهم معينـاً لبعض، وذلـك لأن القـرآن كلام اللـه ولا يمكن أن يشـبهه شـيء من كلام المخلوقين، لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، ولا من حيث التأثير، ولا من حيث الثمرة والآثار الحميدة.

الثـاني: من حيث اللفـظ في قوتـه، ورصـانته، وتركيبـه، وأسلوبه، ونظمه، وبيانـه، ووضـوحه، وشـموله للمعـاني العديــدة الواســعة الــتي لا تــزال تظهــر عنــد التأمــل والتفكير، حتى كأنك لتسمع الآية التي ما تـزال تقرؤهـا فينقدح لك منها معـنى جديـد كأنـك لم تسـمع الآيـة من قبل وكأن الآية نزلت لتوها من أجله.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، ولم يأت أحد بنظـير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الرسـائل، ولا الخطابـة، ولا نظمـه نظم شـيء من كلام الناس عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغتـه، هذا عجيب خـارق للعـادة ليس لـه نظـير في كلام جميـع الخلق. وقال الشيخ محمد رشيد رضا في كتابـه (الـوحي المحمـدي) تحت عنـوان: الفصـل الرابـع: إن القـرآن لـو أنزل بأساليب الكتب المألوفة المعهودة وترتيبهـا لفقـد أعظم مزايـا هدايتـه المقصـودة بالقصـد الأول. وأقـول أيضاً إنه لو أنزل هكذا لفقد بهـذا الـترتيب أخص مـراتب

---

[1] سورة القيامة، الآيات: 17-19.

[2] سورة الحجر، الآية: 9.

[3] سورة الإسراء، الآية: 88.

إعجازه المقصود بالدرجة الثانية. وقال : لو كان القـرآن مرتباً مبوباً كما ذكر لكان خاليـاً من أعظم مزايـاه شـكلاً وموضـوعاً يعلم هـذا وذاك ممـا نبينـه من فوائـد نظمـه وأسـلوبه الـذي أنزلـه بـه رب العـالمين، العليم، الحكيم، الـرحيم، وهـو مـزج تلـك المقاصـد كلهـا بعضـها ببعض، وتفريقها في سوره الكثـيرة الطويلـة منهـا، والقصـيرة بالمناســبات المختلفــة وتكرارهــا بالعبــارات البليغــة المؤثرة في القلوب المحركة للشـعور المنافيـة للسـآمة والملل إلى أن قال: والقابلـة لأنـواع أخـرى من الإلقـاء الخطـابي في الـترغيب والـترهيب، والتعجيب، والتعيب، والتكريــه، والتحــبيب، والزجــر، والتــأنيب، واســتفهام الإنكار، والتقرير، والتهكم، والتوبيخ، بما لا نظير لـه في كلام البشر من خطابة ولا شعر ولا رجز ولا سجع فبهـذا الأسلوب الرفيع في النظم البديع وبلاغة التعبير الرفيـع كان القرآن كما ورد في معنى وصـفه لا تبلى جدتـه ولا تخلقه كثرة الترديد. أهـ كلامه.

الوجه الثالث: من إعجاز القرآن من حيث أهدافه العاليــة وآدابـه الكاملـة وتشـريعاته المصـلحة فقـد جـاء بإصـلاح العقيدة من الإيمان بالله، وبما له من الأسماء والصفات والأفعــال، والإيمــان بجميــع ملائكتــه، وكتبــه، ورســله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يتعلق بذلك، وجاء بإخلاص العبادة لله، وتحريـر الفكـر، والعقـل، والشـعور من عبادة غـير اللـه والتعلـق بـه خوفـاً، ورجـاءً، ومحبـة، وتعظيمـاً، وجـاء بـالآداب الكاملـة الـتي يشـهد بكمالهـا، وصلاحها، وإصلاحها كل عقل سـليم أمـر بـالبر والصـلة، والصدق، والعدل، والرحمة، والإحسان، ونهى عن كل ما يخالف ويناقض من الظلم، والبغي، والعدوان.

أما تشريعاته فناهيك بها من نظم مصـلحة للعبـاد والبلاد في المعاش، والمعاد، وإصلاحاً في العبادة، وإصلاحاً في المعاملــة في الأحــوال الشخصــية، والاجتماعيــة، والاقتصادية، والفردية، والكمالية فيما لو اجتمـع الخلـق كلهم على سـن نظم تماثلهـا أو تقاربهـا مـا اسـتطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

الوجه الرابع: من إعجاز القرآن قوة تأثيره على النفوس والقلوب فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام كما شهد بذلك الموالي والمعادي، حتى إن الرجل العادي ـ فضلاً عن المتعلم ـ ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسراً، يعرف أن هذا ليس من كلام البشر، فقد سمع الوليد بن المغيرة عم أبي جهل القرآن مرة من رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، فقال لقومه من بني مخزوم: لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو وما يعلى. واجتمع مرة كبراء قريش فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ما يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فكلم النبي، صلى الله عليه وسلم ، وعرض عليه كل ما يمكن إغراؤه من المال والجاه، والنساء فلما أتم كلامه تلا عليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، أول سورة فصلت فلما بلغ قوله تعالى:]فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود[[1] قام عتبة فأمسك بفم النبي، صلى الله عليه وسلم ، وناشده الرحم أن يكف عنه فلما رجع عتبة بن ربيعة إلى قومه وجدوه متغيراً، وقص عليهم خبره وما وقع من الرعب في قلب بقراءة النبي، صلى الله عليه وسلم ، وقال لهم: لقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب ولقد كلمني بكلام ما سمعت إذااي بمثله قط فما دريت ما أقول. اهـ. ولقد كان بعض الكبراء من قريش يأتون ليلاً خفية يستمعون تلاوة النبي، صلى الله عليه وسلم ، للقرآن كما جرى ذلك لأبي جهل وأبي سفيان وغيرهما.

وهذه القصص وأمثالها تدل دلالة ظاهرة على تأثير القرآن في النفوس وأخذه بمجامع القلوب، ولكن هذا

([1]) سورة فصلت، الآية: 13.

التأثير قد لا يظهر لكل أحد إنما يظهر لمن كان لـه ذوق ومعرفة بأساليب الكلام، وبلاغة اللسان.

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر أنواعاً من إعجاز القرآن : وهذه الأمور من ظهرت لـه من أهـل العلم والمعرفة ظهر له إعجازه من هـذا الوجـه ومن لم يظهـر لـه ذلـك اكتفى بـالأمر الظـاهر الـذي يظهـر لـه ولأمثاله كعجز جميع الخلق عن الإتيان بمثلـه مـع تحـدي النبي صلى الله عليه وسلم وإخبـاره بعجـزهم فـإن هـذا أمر ظاهر لكل أحد.

الوجه الخامس: من إعجاز القرآن تلك الآثار الجليلة التي حصلت لأمة القـرآن باتباعـه والعمـل بأهدافـه السـامية، وتعاليمه الرشيدة، فقد ارتقى بأمة القرآن الـتي اعتنت به لفظاً، وفهماً، وتطبيقـاً ارتقى بهـا إلى أوج العلا في العبادة والآداب، والكرامة، والعزة لقد عرف سـلف هـذه الأمة قيمة هذا القرآن الكريم فكانوا لا يتجاوزون عشـر آيـات حـتى يتعلموهـا، ومـا فيهـا من العلم والعمـل، فتعلموا القرآن، والعلم، والعمل جميعـاً، فسـادوا جميـع العالم وصارت لهم العزة، والغلبـة، والظهـور، والتمكين في الأرض، والعلـوم النافعـة مـع أنهم كـانوا قبـل ذلـك متفرقين، ضالين، أميين، مغلوبين بين الأمم، ولن يعـود لأمة القرآن ذلك العز، والظهـور، والغلبـة حـتى يرجعـوا إلى المعين الذي روي به أسلافهم، فيأخذوا منـه صـافياً من غير كدر، لن يعود لهم ذلك حـتى يرجعـوا إلى كتـاب اللـه، وسـنة رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، ويتفهموهما ويطبقوهما اعتقاداً، وقولاً، وعلمـاً، وعملاً، وكيفاً، مؤمنين بذلك، معتقدين أن هذا هو طريق الصلاح والإصـلاح والسـلامة، وإن من المؤسـف حقـاً أن تـرى الكثـير من المسـلمين اليـوم لا يلتفتـون إلى الكتـاب والسنة، ولا يتفهمونهما، ولا يطبقونهمـا بـل أكـثرهم لا يقرأ من القرآن في عامه كله إلا ما يقـرؤه في صـلاته، هذا مع قلة تفهم في اللغة العربية، وآدابها، وأسـاليبها، فلم يكن عنـدهم ذوق لغـوي، ولا شـرعي لكتـاب اللـه،

وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم ، ولذلك ابتعدوا عن مقومات الدين، وآثاره ونتائجه بقدر ما ابتعدوا عن كتاب الله وسنة رسـول اللـه، وإنـا لـنرجو من اللـه تعـالى أن يهيئ لأمة القرآن من أمرها رشـداً، وأن يبعث لهـا قـادة فكر وسياسة لما فيه الخـير والصـلاح، والرجـوع إلى مـا كان عليه السلف الصالح فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

2- ومن آيات النبي، صلى الله عليـه وسـلم ، مـا أظهـره اللـه شـاهداً على صـدقه من الآيـات الأفقيـة كمـا قـال تعالى:]سـنريهم آياتنـا في الآفـاق وفي أنفسـهم حـتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنـه على كـل شـيء شهيد[[1] ولذلك أمثلة:

المثال الأول: انشقاق القمر، فقـد انشـق القمـر وصـار فرقتين وشاهد الناس ذلك وقد أشار اللـه إلى ذلـك في القرآن قال الله تعالى:]اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[[2] وقد أجمـع العلماء على وقوع ذلك في عهد النبي، صلى اللـه عليـه وسلم ، قبل الهجرة، وقد رآه الناس بمكة. وقال النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، حين رآه: "اشـهدوا اشـهدوا" وقدم المسافرون من كل وجه فأخبروا أنهم رأوه. قـال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجعل الآية في انشقاق القمــر دون الشمس وسائر الكواكب لأنه أقــرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سـائر أجـزاء الفلك إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر الانشقاق فيـه لكـل من يـراه ظهـوراً لا يتمـارى فيـه، وأنـه إذا قبـل الانشقاق فقبـول محلـه أولى بـذلك وقـد عاينـه النـاس وشاهدوه، وكان النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم ، يقـرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة العيدين، وكل الناس يقر بذلك، ولا ينكره ولو لم يكن قد انشق لأسـرع الناس إلى تكذيب ذلك. ا.هـ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وقد استبعد أناس وقوع انشقاق القمر وحاولوا تحريــف معنى القرآن في ذلك، وقد أخطؤوا خطأ كبيراً في هـذا

---

(1) سورة فصلت، الآية: 53.

(2) سورة القمر، الآيتان:1-2.

الإنكـار فـالقرآن لا يتحمـل المعـنى الـذي حرفـوه إليـه، والنصــوص الثابتــة الكثــيرة من الأحــاديث صــريحة في انشقاقه انشقاقاً حسياً مشهوداً، ولا يقدح في ذلـك مـا زعمه بعضهم من كونه لم ينقل في تـاريخ غـير التـاريخ الإسلامي فإن نقله في التاريخ الإسلامي كاف في ذلك، وقد جاء به القرآن الكريم ولعل الناس الذين لم ينقلـوه لم يشـاهدوه، لعلـه وقـع وهم نيـام أو كـانوا في النهـار ولم يشعروا به، أو كان في تلك الساعة مانع من سحاب أو غــيره، وقــد أخــبر المســافرون الــذين قــدموا مكــة بمشاهدته، وهو لم يسـتمر فيمـا يظهـر وإنمـا كـان آيـة شاهدها الناس ثم عاد إلى حاله الأولى.

المثال الثاني: المعراج فإنه من أكبر الآيات فلقد أسـري بالنبي، صلى الله عليه وسلم ، في ليلة واحـدة إلى بيت المقدس، واجتمع هناك بالأنبياء، وصلى بهم، ثم عرج به جبريل حتى بلـغ سـدرة المنتهى فـوق سـبع السـموات، وأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، وشاهد، صلى الله عليه وسلم ، من آيات الله الكبرى ما شاهد، ومر بالأنبياء في كل سماء، ورجع إلى مكة، كل ذلك في ليلـة واحـدة مـع بعد المسـافة الأرضـية بين مكـة وبين بيت المقـدس، ثم البعـد العظيم بين السـماء والأرض وبين السـماء الـدنيا وما فوقها إلى سدرة المنتهى، وقد أخبر الله تعالى في القـرآن عن الإسـراء في سـورة الإسـراء وعن المعـراج في سورة النجم إذا هوى.

المثال الثالث: نزول المطر باستسقائه مباشـرة، وإقلاع المطر باستصحائه مباشرة ففي صحيح البخاري وصـحيح مسلم عن أنس بن مالك رضـي اللـه عنـه قـال: أصـابت سنة أي جـدب على عهـد رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسلم ، فبينا النبي، صلى الله عليه وسـلم ، يخطب في يـوم الجمعـة قـام أعـرابي فقـال: يـا رسـول اللـه هلـك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديـه ومـا نـرى في السماء قزعـة (أي قطعـة سـحاب) فوالـذي نفسـي بيده ما وضعها حتى ثـار السـحاب أمثـال الجبـال، ثم لم ينزل عن منـبره حـتى رأيت المطـر يتحـادر على لحيتـه، فمطرنــا يومنــا ذلــك، ومن الغــد، ومن بعــد الغــد حــتى

الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه وقال: "اللهم حوالينا ولا علينا" فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت فأقلع المطر وخرجنا نمشي في الشمس.

ومن آيات النبي، صلى الله عليه وسلم ، ما وقع مطابقاً لما أخبر به، صلى الله عليه وسلم ، من أمور الغيب التي وقعت في عهده، وبعده ولذلك أمثلة أيضاً:

المثال الأول: ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، يرينا مصارع أهل بدر قبل ابتداء القتال يقول: "هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، هذا مصرع فلان" فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حددها رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

المثال الثاني: إخباره، صلى الله عليه وسلم ، عن ظهور نار في أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى". فقد خرجت هذه النار في جمادى الآخرة سنة 654هـ شرقي المدينة فأقامت نحواً من شهر وملأت تلك الأودية وشاهد الناس أعناق الإبل ببصرى وهي بلدة بالشام. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذه النار كانت تحرق الحجر.

ومن أمثلة ذلك ما أخبر به النبي، صلى الله عليه وسلم ، مما سيكون من الفتن، وتغير أحوال الناس وغير ذلك.

ومن آيات النبي، صلى الله عليه وسلم ، ما رواه البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله، صلى الله عليه وسلم ، بين يديه ركوة (إناء للماء) فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه فقالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب إلا ما في الركوة التي عندك، فوضع النبي، صلى الله عليه وسلم ، يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين

أصابعه كأمثال العيون قال: فشربنا وتوضأنا. قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مئة ألف لكفانا، كنا ألفاً وخمسمائة.

ومن آيات النبي، صلى الله عليه وسلم ، تكثير الطعام كما جرى ذلك يوم الخندق وجرى ذلك لأبي هريرة مع أهل الصفة وآياته، صلى الله عليه وسلم ، كثيرة جداً، وقد ذكر أهل العلم من ذلك الشيء الكثير، ومن أوسع ما رأيت في ذلك تاريخ ابن كثير رحمه الله حيث كتب في آيات النبي، صلى الله عليه وسلم ، مجلداً كبيراً وذلك أن جميع آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جرى مثلها للنبي، صلى الله عليه وسلم ، وأمته أو ما هو أعظم منها.

وهذه الآيات التي يجريها الله على أيدي أنبيائه وأوليائه كلها شاهدة بما له تعالى من كمال العلم، والقدرة، والرحمة، وأن الأمور كلها بيده يجريها كما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ونصلي ونسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات وقد أثار هذا النبأ تساؤلات وأخذاً ورداً بين الناس.

فمن قائل: إن هذا باطل مخالف للقرآن، ومن قائل : إن هذا ثابت والقرآن يؤيده، فالذين ظنوا أنه مخالف للقرآن قالوا : إن الله أخبر أن القمر في السماء فقال:

]تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً[[1]. وقال:]وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً[[2]. وإذا كان القمر في السماء فإنه لا يمكن الوصول إليه، لأن الله جعل السماء سقفاً محفوظاً، والنبي، صلى الله عليه وسلم، أشرف الخلق ومعه جبريل أشرف الملائكة وكان يستإذاً ويستفتح عند كل سماء ليلة المعراج ولا يحصل لهما دخول السماء إلا بعد أن يفتح لهما فكيف يمكن لمصنوعات البشر أن تنزل على سطح القمر وهو في السماء المحفوظة.

والذين ظنوا أن القرآن يؤيده قالوا : إن الله قال في سورة الرحمن:]يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان[[3]. والسلطان العلم وهؤلاء استطاعوا أن ينفذوا من أقطار الأرض بالعلم فكان عملهم هذا مطابقاً للقرآن وتفسيراً له.

وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه فليس في صريح القرآن ما يخالفه، كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده.

1- أما كون القرآن لا يخالفه فلأن القرآن كلام الله تعالى المحيط بكل شيء علماً فهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون من الأمور الماضية والحاضرة، والمستقبلة، سواء منها ما كان من فعله، أو من خلقه فكل ما حدث أو يحدث في السموات أو في الأرض من أمور صغيرة، أو كبيرة ظاهرة، أو خفية فإن الله ـ تعالى ـ عالم به ولم يحدث إلا بمشيئته وتدبيره لا جدال في ذلك.

فإذا كان كذلك فالقرآن كلامه وهو سبحانه أصدق القائلين ومن أصدق من الله قيلاً، وكلامه أحسن الكلام وأبلغه في البيان، ومن أحسن من الله حديثاً فلا يمكن أن يقع في كلامه الصادر عن علمه، والبالغ في الصدق والبيان غايته لا يمكن أن يقع في كلام هذا شأنه ما

---

[1] سورة الفرقان، الآية: 61.

[2] سورة نوح، الآية: 16.

[3] سورة الرحمن، الآية: 33.

يخــالف الواقــع المحســوس أبــداً، ولا أن يقــع في المحسوس ما يخالف صريحه أبداً.

ومن فهم أن في القـرآن مـا يخـالف الواقـع، أو أن من المحسوس ما يقع مخالفاً للقرآن ففهمه خطأ بلا ريب.

والآيات التي يظنها بعض الناس دالة على أن القمـر في السماء نفسها ليس فيهـا التصـريح بأنـه مرصـع في السماء نفسها الـتي هي السـقف المحفـوظ نعم ظـاهر اللفــظ أن القمــر في الســماء نفســها، ولكن إن ثبت وصول السفن الفضائية إليه ونزولهـا على سـطحه فـإن ذلك دليـل على أن القمـر ليس في السـماء الـدنيا الـتي هي السقف المحفـوظ وإنمـا هـو في فلـك بين السـماء والأرض كما قال ـ تعالى ـ:]وهو الذي خلق الليل والنهار والشـمس والقمـر كـل في فلـك يسـبحون[[1]. وقـال ـ تعالى ـ:]لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليــل سابق النهار وكل في فلك يسبحون[[2]. قال ابن عباس ـ رضـي اللـه عنهمـا ــ : "يـدورون كمـا يـدور المغـزل في الفلكة، وذكر الثعلبي والماوردي عن الحسن البصري أنه قال: "الشـمس والقمـر والنجـوم في فلـك بين السـماء والأرض غير ملصقة به ولو كـانت ملصـقة بـه مـا جـرت" ذكره عنهما القرطبي في تفسير سورة يس.

والقــول بــأن الشـمس والقمــر في فلـك بين السـماء والأرض لا ينافي ما ذكـر اللـه من كونهمـا في السـماء، فإن السماء يطلق تارة على كل ما علا قـال ابن قتيبـة: "كـل مـا علاك فهـو سـماء" فيكـون معـنى كونهمـا في السماء أي في العلو أو على تقدير مضـاف أي في جهـة السماء.

وقد جاءت كلمة السماء في القرآن مراداً بها العلـو كمـا في قوله تعالى:]ونزلنا من السماء ماء مباركاً[[3]. يعـني المطر، والمطر ينزل من السحاب المسـخر بين السـماء والأرض.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 33.

(2) سورة يس، الآية: 40.

(3) سورة ق، الآية: 9.

وإذا ثبت ما ذكروا عن سطحية القمر فإن ذلك يزيدنا معرفة في آيات الله العظيمة حيث كان هذا الجرم العظيم وما هو أكبر منه وأعظم يجري بين السماء والأرض إلى الأجل الذي عينه الله تعالى لا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر عن السير الذي قدره له العزيز العليم، ومع ذلك فتارة يضيء كله فيكون بدراً ، وتارة يضيء بعضه فيكون قمراً أو هلالاً ذلك تقدير العزيز العليم.

وأما ما اشتهر من كون القمر في السماء الدنيا، وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة، والشمس في الرابعة، والمريخ في الخامسة، والمشتري في السادسة، وزحل في السابعة فإن هذا مما تلقي عن علماء الفلك والهيئة وليس فيه حديث صحيح عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ويدل على ذلك أن ابن كثير رحمه الله مع سعة اطلاعه لما تكلم على أن الشمس في الفلك الرابع قال: "وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه". ا.هـ فقوله: "وليس في الشرع ما ينفيه". واستدلاله على ثبوته بالحس دليل على أنه ليس في الشرع ما يثبته أي ما يثبت أن الشمس في الفلك الرابع والله أعلم.

2- وأما كون القرآن لا يدل على وصول السفن الفضائية إلى القمر فلأن الذين ظنوا ذلك استدلوا بقوله تعالى:]يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان[[1]. وفسروا السلطان بالعلم.

وهذا الاستدلال مردود من وجوه:

الأول: أن سياق الآية يدل على أن هذا التحدي يكون يوم القيامة ويظهر ذلك جلياً لمن قرأ هذه السورة من أولها فإن الله ذكر فيها ابتداء خلق الإنسان والجان، وما سخر للعباد في آفاق السموات والأرض، ثم ذكر فناء من عليها ثم قال:]سنفرغ لكم أيُّهَ الثقلان[[2]. وهذا الحساب ثم تحدى الجن بأنه لا مفر لهم ولا مهرب من أقطار السموات والأرض فيستطيعون الهروب ولا قدرة

---

(1) سورة الرحمن، الآية: 33.

(2) سورة الرحمن، الآية: 31.

لهم على التناصـر فينصـروا وينجـوا من المرهـوب، ثم أعقب ذلـك بـذكر الجـزاء لأهـل الشـر بمـا يسـتحقون، ولأهل الخير بما يؤملون ويرجون.

ولا شك أن السياق يبين المعنى ويعينـه فـرب كلمـة أو جملـة صـالحة لمعـنى في موضـع ولا تصـلح لـه في موضع آخر، وأنت تـرى أحيانـاً كلمـة واحـدة لهـا معنيـان متضادان يتعين المراد منهمـا بواسـطة السـياق كمـا هـو معروف في كلمات الأضداد في اللغة.

فلو قدر أن الآية الكريمة تصلح أن تكـون في سـياق ما خبراً لما سيكون في الدنيا فإنهـا في هـذا الموضـع لا تصـلح لـه بـل تتعين أن تكـون للتهديـد والتعجـيز يـوم القيامة وذلك لما سبقها ولحقها من السياق.

الثـاني : أن جميـع المفسـرين ذكـروا أنهـا للتهديـد والتعجيز وجمهورهم على أن ذلك يوم القيامة وقد تكلم الشـيخ محمـد الأمين الشـنقيطي على هـذه الآيـة في سورة الحجر عند قوله ـ تعـالى ـ:]ولقـد جعلنـا في السـماء بروجـاً وزيناهـا للنـاظرين . وحفظناهـا من كـل شـيطان رجيم[[1]. ووصـف من زعم أنهـا تشـير إلى الوصول إلى السماء وصفه بأنه لا علم عنده بكتاب الله.

الثالث: أنه لو كان معناها الخـبر عمـا سـيحدث لكـان معناها يا معشر الجن والإنس إنكم لن تنفذوا من أقطـار السموات والأرض إلا بعلم وهذا تحصيل حاصل فـإن كـل شـيء لا يمكن إدراكـه إلا بعلم أسـباب إدراكـه والقـدرة على ذلـك، ثم إن هـذا المعـنى يسـلب الآيـة روعتهـا في معناها وفي مكانها فإن الآية سبقها الإنذار البليغ بقوله ـتعالىـ:]سنفرغ لكم أيه الثقلان[[2]. وتلاها الوعيد الشـديد في قولـه:]يرسـل عليكمـا شـواظ من نـار ونحـاس فلا تنتصران[[3].

الرابع: أن دلالة الآية على التحدي ظاهرة جداً.

أولاً: لما سبقها ويتلوها من الآيات.

---

[1] سورة الحجر، الآيتان: 16-17.

[2] سورة الرحمن، الآية: 31.

[3] سورة الرحمن، الآية: 35.

ثانياً: أن ذكر معشـر الجن والإنس مجتمعين معشـراً واحـداً فهـو قـريب من مثـل قولـه ــ تعـالى:]قـل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القـرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[[4].

ثالثـاً: أن قولـه:]إن اسـتطعتم[ظـاهر في التحـدي خصوصـاً وقـد أتى بـــ "إن" دون "إذا" تـدل على وقـوع الشرط بخلاف "إن".

الخامس: إنه لـو كـان معناهـا الخـبر لكـانت تتضـمن التنويه بهؤلاء والمدح لهم حيث عملوا وبحثوا فيما سـخر الله لهم حتى وصلوا إلى النفوذ وفاتت النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الذين هم أسرع الناس امتثـالاً لمـا دعا إليه القرآن.

الســادس: أن الآيــة الكريمــة علقت الحكم بــالجن والإنس ومن المعلوم أن الجن حين نـزول القـرآن كـانوا يستطيعون النفوذ من أقطار الأرض إلى أقطـار السـماء كما حكى الله عنهم]وأنا لمسنا السـماء فوجـدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منهـا مقاعـد للسـمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً[[5]. فكيف يعجـزهم الله بشيء كانوا يسـتطيعونه، فـإن قيـل : إنهم كـانوا لا يسـتطيعونه بعـد بعثـة النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قلنا:هذا أدل على أن المراد بالآية التعجيز لا الخبر.

الســابع: أن الآيــة علقت الحكم بــالنفوذ من أقطــار السموات والأرض ومن المعلوم أنهم ما اســتطاعوا ولن يستطيعوا أن ينفـذوا من أقطـار السـموات مهمـا كـانت قوتهم.

الثامن: أن الآية الكريمـة أعقبت بقولـه ــ تعـالى ــ:]يرسل عليكمـا شـواظ من نـار ونحـاس فلا تنتصـران[[1]. ومعناهــا واللــه أعلم انكم يــا معشــر الجن والإنس لــو حاولتما النفوذ من ذلك لكـان يرسـل عليكمـا شـواظ من نار ونحاس والمعروفأإن هذه الصواريخ لم يرسـل عليهـا

---

[4] سورة الإسراء، الآية: 88.

[5] سورة الجن، الآيتان: 8-9.

[1] سورة الرحمن، الآية: 35.

شـواظ من نـار ولا نحـاس فكيـف تكـون هي المقصـود بالآية.

التاسع: أن تفسيرهم السلطان هنا بالعلم فيه نظـر فـإن السـلطان مـا فيـه سـلطة للواحـد على مـا يريـد السيطرة عليه والغلبة ويختلف باختلاف المقام فإذا كان في مقام العمل ونحوه فالمراد به القوة والقـدرة ومنـه قوله تعالى عن إبليس:]إنه ليس له سـلطان على الـذين آمنـوا وعلى ربهم يتوكلـون . إنمـا سـلطانه على الـذين يتولونه والذين هم به مشركون[[2]. فالسـلطان في هـذه الآية بمعنى القدرة ولا يصح أن يكون بمعنى العلم، ومنه السـلطان المـذكور في الآيـة الـتي نحن بصـددها فـإن النفوذ عمل يحتاج إلى قوة وقدرة والعلم وحده لا يكفي وهؤلاء لم يتوصلوا إلى ما ذكـر عنهم بمجـرد العلم ولكن بالعلم والقـدرة والأسـباب الـتي سـخرها اللـه لهم، وإذا كان السلطان في مقام المحاجة والمجادلة كـان المـراد به البرهان والحجة التي يخصم بهـا خصـمه ومنـه قولـه تعـالى:]إن عنــدكم من ســلطان بهـذا[[3]. أي من حجـة وبرهان ولم يأت السـلطان في القـرآن مـراداً بـه مجـرد العلم والاشتقاق يـدل على أن المـراد بالسـلطان مـا بـه سلطة للعبد وقدرة وغلبة.

فتبين بهذا أن الآية الكريمة لا يـراد بهـا الإشـارة إلى مـا ذكـر من السـفن الفضـائية وإنزالهـا إلى القمـر وهـذه الوجوه التي ذكرناها منها ما هو ظاهر ومنهـا مـا يحتـاج إلى تأمل وإنمـا نبهنـا على ذلـك خوفـاً من تفسـير كلام الله بما لا يراد به لأن ذلك يتضمن محذورين:

أحدهما: تحريف الكلم عن مواضعه حيث أخرج عن معنـاه المراد به.

الثاني: التقول على اللـه بلا علم حيث زعم أن اللـه أراد هذا المعـنى مـع مخالفتـه للسـياق وقـد حـرم اللـه على عباده أن يقولوا عليه ما لا يعلمون.

---

(2) سورة النحل، الآيتان: 99-100.

(3) سورة يونس، الآية: 68.

بقي أن يقــال : إذا صــح مــا ذكــر من إنــزال المركبــة الفضائية على سطح القمر فهل بالإمكان إنـزال إنسـان على سطحه؟.
فالجواب : أن ظاهر القـرآن عـدم إمكـان ذلـك وأن بـني آدم لا يحيون إلاّ في الأرض يقول الله ـ تعالى ــ:]فيهـا تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجـون[[1]. فحصـر الحيـاة في الأرض والموت فيها والإخراج منها، وطريـق الحصـر فيها تقـديم مـا حقـه التـأخير، ونحـو هـذه الآية قولـه ـ تعالى ـ:]منها خلقنـاكم وفيهـا نعيـدكم ومنهـا نخـرجكم تارة أخرى[[2]. حيث حصر ابتداء الخلق من الأرض، وأنهــا هي التي نعاد فيها بعد الموت ونخرج منها يوم القيامـة، كمــا أن هنــاك آيــات تــدل على أن الأرض محــل عيشــة الإنســان]ولقــد مكنــاكم في الأرض وجعلنــا لكم فيهــا معايش[[3]. فظاهر القرآن بلا شك يـدل على أن لا حيـاة للإنسان إلا في هذه الأرض التي منها خلق، وإليها يعـاد، ومنها يخرج، فالواجب أن نأخذ بهذا الظـاهر وأن لا تبعـد أوهامنا في تعظيم صناعة المخلـوق إلى حـد نخـالف بـه ظاهر القرآن رجماً بالغيب، ولو فرض أن أحـداً من بــني آدم تمكن من النزول على سطح القمر وثبت ذلك ثبوتــاً قطعياً أمكن حمل الآية على أن المراد بالحياة المذكورة الحيـاة المسـتقرة الجماعيـة كحيـاة النـاس على الأرض، وهذا مستحيل والله أعلم.
وبعد فإن البحث في هذا الموضوع قد يكـون من فضـول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ الناس في رده وإنكاره، وغلا بعضهم في قبوله وإثباتـه، فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن، والآخرون جعلوه مؤيـداً بالقرآن فأحببت أن أكتب ما حررته هنـا على حسـب مـا فهمته بفهمي القاصر وعلمي المحدود.
وأسأل اللـه أن يجعـل ذلـك خالصـاً لوجهـه نافعـاً لعبـاده والحمد لله رب العالمين، وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمد، وآله، وصحبه أجمعين.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: 25.
[2] سورة طه، الآية: 55.
[3] سورة الأعراف، الآية: 10.

تم بحمد الله ـ تعالى ـ المجلد الخامس
ويليه بمشيئة الله ـ عز وجل ـ المجلد السادس